الثمر الدانى من لطائف التفسير والسبع المثانى

بقلم

السيد مختار

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

{الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجَا * قَيِّماً لِّيُنذِرَ بَأْساً شَدِيداً مِن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً حَسَناً }[1] {ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ }[2] {لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ }[3] ، { مَا كَانَ حَدِيثاً يُفْتَرَى وَلَـكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ }[4] {تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً }[5]

وبعد: لقد منَّ الله تعالى على الأمة المحمدية بأن أنزل عليهم القرآن الكريم أعظم كتبه والمهيمن عليها، وهو المصدر الأساسي لهذا الدين والنبع الصافي الذي تستمد منه الأمة منهجها وقوتها وحياتها وقوامها ووحدتها،ولقد سطرت القرون الثلاثة الأولى المفضلة من هذه الأمة أنصع صفحات التاريخ لقوة ارتباطهم وتمسكهم بالقرآن، ولن نكون مثلهم إلا إذا حذونا حذوهم وعدنا للقرآن وتعاليمه.
فإذا علم هذا، عُلم احتياج كل مكلف لمعرفة معانيه والاهتداء بها.
وكان حقيقًا بالعبد أن يبذل جهده، ويستفرغ وسعه في تعلمه وتفهمه بأقرب الطرق الموصلة إلى ذلك.لذا رأيت أن أقوم بتفسير ما ييسره الله تعالى لي من كتابه الكريم مع ذكر بعض ما يتعلق به من الفوائد واللطائف المنثورة في كتب العلماء والمفسرين عسى أن ينتفع بذلك من يقرؤه .
وأبدأ مستعينا بالله تعالى في هذا الجزء بذكر:

1- مباحث في القرآن الكريم.
2- مباحث في التفسير.
3- تفسير سورة الفاتحة.

والله من وراء القصد وهو حسبنا ونعم الوكيل.والحمد لله أولا وآخرا..

بقلم
السيد مختار

---

[1] - سورة الكهف:الآيتان 1-2
[2] - سورة البقرة: الآية 2
[3] - سورة فصلت: الآية 42
[4] - سورة يوسف: الآية 111
5 - سورة الفرقان:الآية 1

*** مباحث في القرآن ***

المبحث الأول: في معني القرآن وأشهر أسمائه

*** لفظ (القرآن) : هو في اللغة مصدر مرادف للقراءة ومنه قوله تعالى : { إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ * فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ}[سورة القيامة:الآيتان(17– 18)]**

- ثم نقل من هذا المعنى المصدري وجعل اسما للكلام المعجز المنزل على النبي صلى الله عليه وسلم من باب إطلاق المصدر على مفعوله. ذلك ما نختاره استنادًا إلى موارد اللغة وقوانين الاشتقاق وإليه ذهب اللحياني وجماعة. أما القول بأنه وصف من القرء بمعنى الجمع أو أنه مشتق من القرائن. أو أنه مشتق من قرنت الشيء بالشيء أو أنه مرتجل أي موضوع من أول الأمر علمًا على الكلام المعجز المنزل غير مهموز ولا مجرد من أل فكل أولئك لا يظهر له وجه وجيه ولا يخلو توجيه بعضه من كلفة ولا من بُعد عن قواعد الاشتقاق وموارد اللغة.
وعلى الرأي المختار فلفظ قرآن مهموز وإذا حذف همزه فإنما ذلك للتخفيف وإذا دخلته أل بعد التسمية فإنما هي للمح الأصل لا للتعريف.

القرآن في الاصطلاح[1]
هو كلام الله تعالى المعجز المُنَزَّلُ على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم بلفظه العربي، المُتَعَبَّدُ بتلاوته، المكتوبُ في المصاحف، المنقول بالتواتر،المبدوء بسورة الفاتحة المختوم بسورة الناس[2]

---

[1] - محمد علي الصابوني/التبيان في علوم القرآن.ص:10، د. محمد سليمان الأشقر/الواضح في أصول الفقه ص:72 وانظر بتوسع :الحاوي في تفسير القرآن

[2] - معلوم أن القرآن كلام الله وأن كلام الله غير كلام البشر ، ومعلوم أيضا أن الإنسان له كلام قد يراد به المعنى المصدري أي التكلم وقد يراد به المعنى الحاصل بالمصدر أي المتكلم به. وكل من هذين المعنيين لفظي ونفسي. فالكلام البشري اللفظي بالمعنى المصدري : هو تحريك الإنسان للسانه وما يساعده في إخراج الحروف من المخارج. والكلام اللفظي بالمعنى الحاصل بالمصدر : هو تلك الكلمات المنطوقة التي هي كيفية في الصوت الحسي وكلا هذين ظاهر لا يحتاج إلى توضيح. أما الكلام النفسي بالمعنى المصدري فهو تحضير الإنسان في نفسه بقوته المتكلمة الباطنة للكلمات التي لم تبرز إلى الجوارح فيتكلم بكلمات متخيلة يرتبها في الذهن بحيث إذا تلفظ بها بصوت حسي كانت طبق كلماته اللفظية. والكلام النفسي بالمعنى الحاصل بالمصدر : هو تلك الكلمات النفسية والألفاظ الذهنية المترتبة ترتبا ذهنيا منطبقا عليه الترتب الخارجي.
ومن الكلام البشري النفسي بنوعيه قوله تعالى : {فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قال أَنْتُمْ شَرٌّ مَكَاناً}[يوسف:77]
. ومنه الحديث الشريف الذي رواه الطبراني عن أم سلمة أنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد سأله رجل فقال " إني لأحدث نفسي بالشيء لو تكلمت به لأحبطت أجري " فقال عليه السلام : " لا يلقى ذلك الكلام إلا مؤمن " فأنت ترى أن النبي سمى ذلك الشيء الذي تحدثت به النفس كلاما مع

أنه كلمات ذهنية لم ينطق بها الرجل مخافة أن يحبط بها أجره. وهذا الإطلاق من الرسول يحمل على الحقيقة لأنها الأصل ولا صارف عنها.
كذلكم القرآن كلام الله - ولله المثل الأعلى- قد يطلق ويراد به الكلام النفسي وقد يطلق ويراد به الكلام اللفظي والذين يطلقونه إطلاق الكلام النفسي هم المتكلمون فحسب لأنهم المتحدثون عن صفات الله تعالى النفسية من ناحية والمقررون لحقيقة أن القرآن كلام الله غير مخلوق من ناحية أخرى. أما الذين يطلقونه إطلاق الكلام اللفظي فالأصوليون والفقهاء وعلماء العربية وإن شاركهم فيه المتكلمون أيضا بإطلاق ثالث عندهم كما يتبين لك بعد. وإنما عني الأصوليون والفقهاء بإطلاق القرآن على الكلام اللفظي لأن غرضهم الاستدلال على الأحكام وهو لا يكون إلا بالألفاظ. وكذلك علماء العربية يعنيهم أمر الإعجاز فلا جرم كانت وجهتهم الألفاظ.
والمتكلمون يعنون أيضا بتقرير وجوب الإيمان بكتب الله المنزلة ومنها القرآن وبإثبات نبوة الرسول صلى الله عليه وسلم بمعجزة القرآن. وبدهي أن ذلك كله مناطه الألفاظ فلا بدع أن ساهموا في هذا الإطلاق الثالث.

القرآن عند المتكلمين

ثم إن المتكلمين حين يطلقونه على الكلام النفسي يلاحظون أمرين :
أحدهما : أن القرآن علم أي كلام ممتاز عن كل ما عداه من الكلام الإلهي.
ثانيهما : أنه كلام الله وكلام الله قديم غير مخلوق فيجب تنزهه عن الحوادث وأعراض الحوادث.
وقد علمت أن الكلام النفسي البشري يطلق بإطلاقين أحدهما : على المعنى المصدري وثانيهما على المعنى الحاصل بالمصدر. فكذلك كلام الله النفسي. يطلق بإطلاقين أحدهما على نظير المعنى المصدري للبشر
وثانيهما على نظير المعنى الحاصل بالمصدر للبشر.وإنما قلنا على نظير لما هو مقرر من وجوب تنزه الكلام الإلهي النفسي عن الخلق وأشباه الخلق. فعرفوه بالمعنى الأول الشبيه بالمعنى المصدري البشري. وقالوا : إنه الصفة القديمة المتعلقة بالكلمات الحكمية. من أول الفاتحة إلى آخر سورة الناس.
وهذه الكلمات أزلية مجردة عن الحروف اللفظية والذهنية والروحية. وهي مترتبة غير متعاقبة. كالصورة تنطبع في المرآة مترتبة غير متعاقبة. وقالوا : في تعريفهم هذا : إنها حكمية لأنها ليست ألفاظا حقيقية مصورة بصورة الحروف والأصوات. وقالوا : إنها أزلية ليثبتوا لها معنى القدم. وقالوا : إنها مجردة عن الحروف اللفظية والذهنية والروحية لينفوا عنها أنها مخلوقة. وكذلك قالوا : إنها غير متعاقبة لأن التعاقب يستلزم الزمان والزمان حادث. وأثبتوا لها الترتب ضرورة أن القرآن حقيقة مترتبة بل ممتازة بكمال ترتبها وانسجامها.
إذا عرفت هذا الإطلاق الأول عند المتكلمين سهل عليك أن تعرف إطلاقهم الثاني للقرآن الكريم : وهو أنه تلك الكلمات الحكمية الأزلية المترتبة في غير تعاقب المجردة عن الحروف اللفظية والذهنية والروحية. وهو تعريف للقرآن كلام الله بما يشبه المعنى الحاصل بالمصدر لكلام البشر النفسي. ذانك إطلاقان اختص بهما المتكلمون كما رأيت.
وهناك إطلاق ثالث للقرآن يقول به المتكلمون أيضا لكن يشاركهم فيه الأصوليون والفقهاء وعلماء العربية.
ذلك أنه هو :
هو اللفظ المنزل على النبي صلى الله عليه وسلم من أول الفاتحة إلى آخر سورة الناس الممتاز بخصائصه التي سنذكرها بعد قليل. فالذين أطنبوا عرفوه بأنه الكلام المعجز المنزل على النبي صلى الله عليه وسلم المكتوب في المصاحف المنقول بالتواتر المتعبد بتلاوته وأنت ترى أن هذا التعريف جمع بين الإعجاز والتنزيل على النبي صلى الله عليه وسلم والكتابة في المصاحف والنقل بالتواتر والتعبد بالتلاوة. وهي الخصائص العظمى التي امتاز بها القرآن الكريم. وإن كان قد امتاز بكثير سواها. ولا يخفى عليك أن هذا التعريف كان يكفي فيه ذكر بعض تلك الأوصاف ويكون جامعا مانعا غير أن مقام

وبهذا التعريف يخرج كلُّ ما كان كلامًا لله تعالى وليس قرآنًا كالتوراة والإنجيل والزبور، والأحاديث القدسية، ويخرج بذلك أيضًا ترجمات معاني القرآن إلى لغات العجم، وكذلك التفسير المتضمن لمعاني القرآن بلغة العرب، فكل ذلك ليس قرأنًا. وخرج أيضًا جميع ما هو منسوخ التلاوة والقراءات غير المتواترة.

**** <u>ويقال للقرآن</u> : فرقان أيضًا وأصله مصدر كذلك ثم سمي به النظم الكريم تسمية للمفعول أو الفاعل بالمصدر باعتبار أنه كلام فارق بين الحق والباطل أو مفروق بعضه عن بعض في النزول أو في السور والآيات. قال تعالى : {تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا}[الفرقان :آية (1)]**

ثم إن هذين الاسمين هما أشهر أسماء النظم الكريم. بل جعلهما بعض المفسرين مرجع جميع أسمائه كما ترجع صفات الله على كثرتها إلى معنى الجلال والجمال. ويلي هذين الاسمين في الشهرة هذه الأسماء الثلاثة: الكتاب ،والذكر، والتنزيل. وقد تجاوز صاحب البرهان حدود التسمية فبلغ بعدتها خمسة وخمسين، وأسرف غيره في ذلك حتى بلغ بها نيفا وتسعين كما ذكره صاحب التبيان. واعتمد هذا

التعريف مقام إيضاح وبيان فيناسبه الإطناب لغرض زيادة ذلك والبيان. لذلك استباحوا لأنفسهم أن يزيدوا فيه ويسهبوا.

والذين اختصروا وأوجزوا في التعريف : منهم من اقتصر على ذكر وصف واحد هو الإعجاز. ووجهة نظرهم في هذا الاقتصار أن الإعجاز هو الوصف الذاتي للقرآن. وأنه الآية الكبرى على صدق النبي صلى الله عليه وسلم والشاهد العدل على أن القرآن كلام الله.

ومنهم من اقتصر على وصفين : هما الإنزال والإعجاز وحجتهم أن ما عدا هذين الوصفين ليس من الصفات اللازمة للقرآن. بدليل أن القرآن قد تحقق فعلا بهما دون سواهما على عهد النبوة.

ومنهم من اقتصر على وصفي النقل في المصاحف والتواتر لأنهما يكفيان في تحصيل الغرض وهو بيان القرآن وتمييزه عن جميع ما عداه.

والذين توسطوا : منهم من عرض لإنزال الألفاظ وللكتابة في المصاحف وللنقل بالتواتر فحسب موجها رأيه بأن المقصود هو تعريف القرآن لمن لم يدركه زمن النبوة وأن ما ذكره من الأوصاف هو من اللوازم البينة لأولئك الذين لم يدركوها بخلاف الإعجاز فإنه غير بين بالنسبة لهم وليس وصفا لازما لما كان أقل من سورة من القرآن.

ومن أولئك الذين توسطوا من عرض للإنزال والنقل بالتواتر والتعبد بالتلاوة فقط مستندا إلى أن ذلك هو الذي يناسب غرض الأصوليين. وعرفوه بأنه : اللفظ المنزل على النبي صلى الله عليه وسلم المنقول عنه بالتواتر المتعبد بتلاوته فاللفظ جنس في التعريف يشمل المفرد والمركب. ولا شك أن الاستدلال على الأحكام كما يكون بالمركبات يكون بالمفردات كالعام والخاص والمطلق والمقيد. وخرج بالمنزل على النبي صلى الله عليه وسلم ما لم ينزل أصلا مثل كلامنا ومثل الحديث النبوي وما نزل على غير النبي صلى الله عليه وسلم كالتوراة والإنجيل. وخرج بالمنقول تواترا جميع ما سوى القرآن من منسوخ التلاوة والقراءات غير المتواترة سواء أكانت مشهورة نحو قراءة ابن مسعود (متتابعات) عقيب قوله تعالى : {فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ}

أم كانت آحادية كقراءة ابن مسعود أيضا لفظ متتابعات عقيب قوله سبحانه : {وَمَنْ كَانَ مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ}

فإن شيئا من ذلك لا يسمى قرآنا ولا يأخذ حكمه. وخرجت الأحاديث القدسية إذا تواترت بقولهم المتعبد بتلاوته.أهـ الحاوي في تفسير القرآن الكريم للشيخ عبد الرحمن القماش.بتصرف يسير

وذاك على إطلاقات واردة في كثير من الآيات والسور وفاتهما أن يفرقا بين ما جاء من تلك الألفاظ على أنه اسم وما ورد على أنه وصف ويتضح ذلك لك على سبيل التمثيل في عدهما من الأسماء لفظ (قرآن) ولفظ (كريم) أخذا من قوله تعالى : { إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ } [الواقعة:77] كما عدّا من الأسماء لفظ (ذِكر) ولفظ (مبارك) اعتمادًا على قوله تعالى : { وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ } [الأنبياء:50]

على حين أن لفظ (قرآن) و(ذكر) في الآيتين مقبول كونهما اسمين. أما لفظ (كريم) و(مبارك) فلا شك أنهما وصفان كما ترى. والخَطب في ذلك سهل يسير بيد أنه مسهب طويل حتى لقد أفرده بعضهم بالتأليف.وفيما ذكرناه كفاية [1]

****

المبحث الثاني: في جمع القرآن

كيف جُمع القرآن في العهدين: عهد النبوة، وعهد الخلفاء الراشدين؟.
جمع القرآن على نوعين:
الأول: الجمع في الصدورعن طريق الحفظ والاستظهار.
هذه الأمة المباركة قد فضلها الله تعالى بهذه الخاصية التي لم تكن لغيرها، حتى أنهم كانوا قبل الإسلام يحفظون الأشعار والأحساب والأنساب، ويستظهرونها، بل تجد منهم الجم الغفير الذي يحفظ المعلقات العشر على كثرة أشعارها وصعوبة حفظها.فلما نزل القرآن تبادر إليه الصحابة وتداعت الهمم لحفظه، بما لم يحصل لغيره، حتى حَفِظه في حياة النبي الكثير منهم، ويكفي أن تعرف أنه قد قتل من الحفاظ سبعون ببئر معونة في حياته صلى الله عليه وسلم ومثلهم يوم اليمامة بعد موته بقليل.هذا بخلاف الجم الغفير الذي لم يقتل.وكان الصحابة يتلون القرآن آناء الليل وأطراف النهار، حتى أنه كان يسمع لهم دويٌّ كدويّ النحل.وكان مَن يمر بمنازلهم يسمع ذلك، ففي الصحيحين:البخاري(3991) ومسلم(2499) عَنْ أَبِي مُوسَى الأشعري رضي الله عنه قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنِّي لَأَعْرِفُ أَصْوَاتَ رُفْقَةِ الْأَشْعَرِيِّينَ بِالْقُرْآنِ حِينَ يَدْخُلُونَ بِاللَّيْلِ، وَأَعْرِفُ مَنَازِلَهُمْ مِنْ أَصْوَاتِهِمْ بِالْقُرْآنِ بِاللَّيْلِ، وَإِنْ كُنْتُ لَمْ أَرَ مَنَازِلَهُمْ حِينَ نَزَلُوا بِالنَّهَارِ"
الثاني: الجمع في السطور:
وذلك عن طريق الكتابة والنقش. فقد كان لرسول الله كتابٌ للوحي كلما نزل شيء من القرآن أمرهم بكتابته، مبالغة في تسجيله وتقييده، وزيادةً في التوثيق والضبط، حتى تؤيد الكتابةُ الحفظ، ويعضد المسطورُ ما حفظ في الصدور، ومن كتاب الوحي للرسول صلى الله عليه وسلم :الخلفاء الراشدين الأربعة، وزيد بن

[1] - انظر الحاوى فى تفسير القرآن الكريم للقماش (7 / 7)

ثابت وأبي بن كعب، ومعاذ بن جبل، ومعاوية بن أبي سفيان. وغيرهم من الصحابة الأجلاء رضي الله عنهم أجمعين. وكان من الصحابة من يكتب ما نزل من القرآن في مصحف لنفسه كعبد الله بن مسعود وأبي بن كعب وغيرهما .وفي الصحيحين وغيرهما[1] عن قتادة عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: جَمَعَ الْقُرْآنَ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرْبَعَةٌ كُلُّهُمْ مِنْ الْأَنْصَارِ: أُبَيٌّ وَمُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ وَأَبُو زَيْدٍ وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ، قُلْتُ لِأَنَسٍ مَنْ أَبُو زَيْدٍ؟ قَالَ: أَحَدُ عُمُومَتِي".

فبالحفظ والكتابة معًا جُمع القرآن في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وأيضًا في عهد أبي بكر وعثمان.ولكن لم يكن جمع القرآن في السطور(بالكتابة) في حياة الرسول في مصحف واحد على نحو ما هو الآن في الترتيب وإنما كان يجمع ويكتب ما نزل من القرآن إلى يومها، وذلك لأن القرآن لم ينزل على الرسول صلى الله عليه وسلم جملة واحدة بل كان ينزل مفرقًا، وأيضًا كانت بعض الآيات معرضة للنسخ، وقد تنزل آية متأخرة ويكون ترتيبها في سورة متقدمة، وأيضًا لم يتكامل نزول القرآن إلا في أواخر حياته صلى الله عليه وسلم، فيصعب لكل ذلك أن يجمع القرآن في مصحف واحد على الترتيب الأخير.فلما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم، زالت الموانع السابقة من جمع القرآن في مصحف واحد، بل وتوفر من الدواعي ما يعضد جمعه في مصحفٍ واحد كقتل القراء والتنازع الذي حدث بسبب الاختلاف في القراءات.وخوف الفتنة على من يأتي بعد الصحابة خاصة بعدما اتسعت بلاد الإسلام.

* جمع القرآن في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه:
وكان السبب فيه قتل سبعين من قراء القرآن يوم اليمامة فاختار الصديق لهذه المهمة زيد بن ثابت لأمانته وضبطه وعلمه وذكائه، ولأنه كان من كتاب الوحي وأيضًا قد حضر العرضة الأخيرة التى بين فيها جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم ما نسخ من القرآن،وترتيب الآيات والسور على النحو الأخير.ولنترك صحيح البخاري(4701) يبين لنا القصة:عن زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ:
أَرْسَلَ إِلَيَّ أَبُو بَكْرٍ مَقْتَلَ أَهْلِ الْيَمَامَةِ فَإِذَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ عِنْدَهُ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إِنَّ عُمَرَ أَتَانِي فَقَالَ إِنَّ الْقَتْلَ قَدْ اسْتَحَرَّ يَوْمَ الْيَمَامَةِ بِقُرَّاءِ الْقُرْآنِ وَإِنِّي أَخْشَى أَنْ يَسْتَحِرَّ الْقَتْلُ بِالْقُرَّاءِ بِالْمَوَاطِنِ فَيَذْهَبَ كَثِيرٌ مِنْ الْقُرْآنِ، وَإِنِّي أَرَى أَنْ تَأْمُرَ بِجَمْعِ الْقُرْآنِ، قُلْتُ لِعُمَرَ: كَيْفَ تَفْعَلُ شَيْئًا لَمْ يَفْعَلْهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ عُمَرُ: هَذَا وَاللَّهِ خَيْرٌ فَلَمْ يَزَلْ عُمَرُ يُرَاجِعُنِي حَتَّى شَرَحَ اللَّهُ صَدْرِي لِذَلِكَ وَرَأَيْتُ فِي ذَلِكَ الَّذِي رَأَى عُمَرُ ، و قَالَ زَيْدٌ :قَالَ أَبُو بَكْرٍ إِنَّكَ رَجُلٌ شَابٌّ عَاقِلٌ لَا نَتَّهِمُكَ، وَقَدْ كُنْتَ تَكْتُبُ الْوَحْيَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَتَتَبَّعْ الْقُرْآنَ

[1] - رواه أحمد(13972) والبخاري(3599) ومسلم (2465)والترمذي(3794) وابن حبان(7130) وغيرهم.

فَاجْمَعْهُ، فَوَاللَّهِ لَوْ كَلَّفُونِي نَقْلَ جَبَلٍ مِنْ الْجِبَالِ مَا كَانَ أَثْقَلَ عَلَيَّ مِمَّا أَمَرَنِي بِهِ مِنْ جَمْعِ الْقُرْآنِ، قُلْتُ: كَيْفَ تَفْعَلُونَ شَيْئًا لَمْ يَفْعَلْهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: هُوَ وَاللَّهِ خَيْرٌ، فَلَمْ يَزَلْ أَبُو بَكْرٍ يُرَاجِعُنِي حَتَّى شَرَحَ اللَّهُ صَدْرِي لِلَّذِي شَرَحَ لَهُ صَدْرَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فَتَتَبَّعْتُ الْقُرْآنَ أَجْمَعُهُ مِنْ الْعُسُبِ وَاللِّخَافِ وَصُدُورِ الرِّجَالِ، حَتَّى وَجَدْتُ آخِرَ سُورَةِ التَّوْبَةِ مَعَ أَبِي خُزَيْمَةَ الْأَنْصَارِيِّ لَمْ أَجِدْهَا مَعَ أَحَدٍ غَيْرِهِ { لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ }حَتَّى خَاتِمَةِ بَرَاءَةَ، فَكَانَتْ الصُّحُفُ عِنْدَ أَبِي بَكْرٍ حَتَّى تَوَفَّاهُ اللَّهُ ، ثُمَّ عِنْدَ عُمَرَ حَيَاتَهُ، ثُمَّ عِنْدَ حَفْصَةَ بِنْتِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ" وفي رواية له:" مع خزيمة أو أبي خزيمة"

وليس المقصود بقول زيد في هذا الحديث: (حَتَّى وَجَدْتُ آخِرَ سُورَةِ التَّوْبَةِ مَعَ أَبِي خُزَيْمَةَ الْأَنْصَارِيِّ لَمْ أَجِدْهَا مَعَ أَحَدٍ غَيْرِهِ) أنها لم تكن محفوظة لأن زيدًا نفسه كان يحفظها وكذا غيره ،وإنما أراد الكتابة لأنه كان يجمع بين الحفظ والكتابة زيادةً في الاحتياط.

وقد انتهج زيد بن ثابت في جمع القرآن خطة رشيدة في غاية الدقة والإحكام على ما رسمه له الصديق رضي الله عنه. فلم يكتف بما حفظه بنفسه ولا بما سمعته أذنه من النبي ولا بما كتبه هو، بل ظل يستقصي ويتتبع آخذاً على نفسه أن يعتمد في جمع القرآن على مصدرين معًا:

أولاً: ما كان محفوظًا في الصدور
ثانيًا: ما كان مكتوبًا بين يدي الرسول صلى الله عليه وسلم .

وبلغ من شدة حرصه على أنه كان لا يقبل شئًا من المكتوب إلا بعد أن يشهد عليه شاهدان عدلان أنه كتب بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم. يدل على ذلك ما رواه ابن أبي داود أن عمر بن الخطاب قَدِمَ فقال:من كان تلقى من رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئًا من القرآن فليأت به، وكانوا يكتبون ذلك في الصحف والألواح والعُسب، وكان لا يقبل من أحدٍ شيئًا حتى يشهد شهيدان". وما رواه أيضًا ابن أبي داود- في المصاحف- أن أبا بكر قال لعمر ولزيد: اقعدا على باب المسجد فمن جاءكما بشاهدين على شيءٍ من كتاب الله فاكتباه" قال السخاوي: المراد أنهما يشهدان على أن ذلك المكتوب كتب بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم[1].

أهم مزايا مصحف أبي بكر الصديق:

أولاً: التحري الدقيق التام والتثبت الكامل.
ثانيًا: لم يُسجل في المصحف إلاّ ما ثبت عدم نسخ تلاوته.

[1] - التبيان في علوم القرآن ص:63

ثالثًا: إجماع الصحابة عليه،و تواتر ما سجل فيه من الآيات القرآنية.
رابعًا: شموله للقراءات التي نقلت بالنقل الثابت الصحيح. [1]

هذا وقد كان لبعض الصحابة مصاحف خاصة بهم كما سبق أن بيَّنا، وروي أنه كان لعلي بن أبي طالب أيضًا مصحف خاص به ، ولكن كلّ هذه المصاحف كانت تحتوي على الناسخ والمنسوخ، ولم يثبت لها التواتر ولا إجماع الصحابة كما هو الحال في المصحف الذي أمر بجمعه أبو بكر رضي الله عنه.
ولذلك أصبح جمع القرآن منقبة خالدة للصديق أبي بكر ومن أهم أعماله رضي الله عنه، وأيضًا لزيد بن ثابت. وقد روى غير واحد من الأئمة منهم وَكِيع وابن زيد وقبيصة عن سفيان الثوري عن إسماعيل بن عبد الرحمن السدي الكبير عن عبد خير، عن علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، أنه قال: أعظم الناس أجرًا في المصاحف أبو بكر، إن أبا بكر كان أول من جمع القرآن بين اللوحين "[2] .

*** جمع القرآن في عهد عثمان :**

وكان سببه ما نشأ من النزاع والشقاق بسبب اختلاف القراءات وذلك حيث اتسعت الفتوحات الاسلامية وتفرق الصحابة في الأمصار وكان بين بعضهم اختلاف في حروف الأداء ووجوه القراءات وصار كل واحد منهم يعلم تلاميذه بقراءته.فدبّ الخلاف والنزاع بسبب ذلك. فجمع عثمان أعلام الصحابة واستشارهم في ذلك[3]، فأجمعوا أمرهم على أن يستنسخ أمير المؤمنين مصاحف عديدة ويرسل بها إلى الأمصار ليأخذوا بها ويتركوا ما سواها، فأتى بالصحف التي جمع فيها أبو بكر القرآن وكانت عند حفصة أم المؤمنين رضي الله عنها، وأمر بجمع القرآن ونسخه وأرسل إلى كل مصر بنسخة، وأمر بإحراق أي مصحف آخر سوى هذه المصاحف التي أرسل بها وأجمع الصحابة على ما فيها وبذلك قضى على الفتنة.
روى البخاري(4702) عن أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ: أَنَّ حُذَيْفَةَ بْنَ الْيَمَانِ قَدِمَ عَلَى عُثْمَانَ وَكَانَ يُغَازِي أَهْلَ الشَّأْمِ فِي فَتْحِ إِرْمِينِيَةَ وَأَذْرَبِيجَانَ مَعَ أَهْلِ الْعِرَاقِ فَأَفْزَعَ حُذَيْفَةَ اخْتِلَافُهُمْ فِي الْقِرَاءَةِ فَقَالَ حُذَيْفَةُ لِعُثْمَانَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَدْرِكْ هَذِهِ الْأُمَّةَ قَبْلَ أَنْ يَخْتَلِفُوا فِي الْكِتَابِ اخْتِلَافَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى فَأَرْسَلَ عُثْمَانُ إِلَى حَفْصَةَ أَنْ أَرْسِلِي

---

1 - التبيان في علوم القرآن ص:64
2 -إسناده صحيح.ورواه أبو عبيد في فضائل القرآن (ص 156) وابن أبي داود في المصاحف (ص 49).

3 - روى ابن أبي داود في كتاب المصاحف عن علي رضي الله عنه أنه قال :" والله ما فعل- أي عثمان- في المصاحف إلا عن ملاء منا ، قال : أرى أن نجمع الناس على مصحف واحد ، فلا تكون فرقة ولا اختلاف، قلنا ، فنِعمَ ما رأيت " وأخرجه الخطيب في كتاب فضائل القرآن 2 / 954 .

إِلَيْنَا بِالصُّحُفِ نَنْسَخُهَا فِي الْمَصَاحِفِ ثُمَّ نَرُدُّهَا إِلَيْكَ فَأَرْسَلَتْ بِهَا حَفْصَةُ إِلَى عُثْمَانَ فَأَمَرَ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ وَعَبْدَ اللهِ بْنَ الزُّبَيْرِ وَسَعِيدَ بْنَ الْعَاصِ وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ فَنَسَخُوهَا فِي الْمَصَاحِفِ وَقَالَ عُثْمَانُ لِلرَّهْطِ الْقُرَشِيِّينَ الثَّلَاثَةِ: إِذَا اخْتَلَفْتُمْ أَنْتُمْ وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ فِي شَيْءٍ مِنْ الْقُرْآنِ فَاكْتُبُوهُ بِلِسَانِ قُرَيْشٍ، فَإِنَّمَا نَزَلَ بِلِسَانِهِمْ ، فَفَعَلُوا حَتَّى إِذَا نَسَخُوا الصُّحُفَ فِي الْمَصَاحِفِ رَدَّ عُثْمَانُ الصُّحُفَ إِلَى حَفْصَةَ وَأَرْسَلَ إِلَى كُلِّ أُفُقٍ بِمُصْحَفٍ مِمَّا نَسَخُوا وَأَمَرَ بِمَا سِوَاهُ مِنْ الْقُرْآنِ فِي كُلِّ صَحِيفَةٍ أَوْ مُصْحَفٍ أَنْ يُحْرَقَ".

ومما سبق يتضح جلياً مدى عناية الصحابة بجمع القرآن، وأن هذا الكتاب الكريم جمع وحفظ بدقة وعناية لم ينلها كتاب قبله ولا بعده، وقد اعترف غير المسلمين من المستشرقين وغيرهم بذلك. والقول بأن عليًا رضي الله عنه هو الذي جمع القرآن الحقيقي كله، وتركه مع الأوصياء بعده كما يزعم الشيعة فهو كذب محض ، بل إن عليًا رضي الله عنه قال:"أعظم الناس أجرًا في المصاحف أبو بكر ..." ولكن الشيعة أعماهم الهوى عن اتباع الحق، فكم من المسائل والأقوال التي خالفوا فيها عليًا رضي الله عنه ويزعمون حبه واتباعهوهو منهم براء.

****

المبحث الثالث: في عدد سور القرآن وآياته وكلماته وحروفه

قال الزركشي:قَالَ الْإِمَامُ أَبُو بَكْرٍ أَحْمَدُ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ مِهْرَانَ الْمُقْرِئُ:
عَدَدُ سُوَرِ الْقُرْآنِ مِائَةٌ وَأَرْبَعَ عَشْرَةَ سُورَةً .وَقَالَ: بَعَثَ الْحَجَّاجُ بْنُ يُوسُفَ إِلَى قُرَّاءِ الْبَصْرَةِ فَجَمَعَهُمْ وَاخْتَارَ مِنْهُمُ الْحَسَنَ الْبَصْرِيَّ وَأَبَا الْعَالِيَةِ وَنَصْرَ بْنَ عَاصِمٍ وَعَاصِمًا الْجَحْدَرِيَّ وَمَالِكَ بْنَ دِينَارٍ رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِمْ وَقَالَ عُدُّوا حُرُوفَ الْقُرْآنِ فَبَقَوْا أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ يَعُدُّونَ بِالشَّعِيرِ فَأَجْمَعُوا عَلَى أَنَّ كَلِمَاتِهِ سَبْعٌ وَسَبْعُونَ أَلْفَ كَلِمَةٍ وَأَرْبَعُمِائَةٍ وَتِسْعٌ وَثَلَاثُونَ كَلِمَةً وَأَجْمَعُوا عَلَى أَنَّ عَدَدَ حُرُوفِهِ ثَلَاثُمِائَةِ أَلْفٍ وَثَلَاثَةٌ وَعِشْرُونَ أَلْفًا وَخَمْسَةَ عَشَرَ حَرْفًا انْتَهَى
وَقَالَ غَيْرُهُ أَجْمَعُوا عَلَى أَنَّ عَدَدَ آيَاتِ الْقُرْآنِ سِتَّةُ آلَافِ آيَةٍ، ثُمَّ اخْتَلَفُوا فِيمَا زَادَ عَلَى ذَلِكَ عَلَى أَقْوَالٍ :فَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ يَزِدْ عَلَى ذَلِكَ، وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ وَمِائَتَا آيَةٍ وَأَرْبَعُ آيَاتٍ، وَقِيلَ وَأَرْبَعَ عَشْرَةَ آيَةً ،وَقِيلَ مِائَتَانِ وَتِسْعَ عَشْرَةَ آيَةً ،وَقِيلَ مِائَتَانِ وَخَمْسٌ وَعِشْرُونَ آيَةً أَوْ سِتٌّ وَعِشْرُونَ آيَةً، وَقِيلَ مِائَتَانِ وَسِتٌّ وَثَلَاثُونَ حَكَى ذَلِكَ أَبُو عَمْرٍو الدَّانِيُّ فِي كِتَابِ الْبَيَانِ
وَأَمَّا كَلِمَاتُهُ: فَقَالَ الْفُضَيْلُ بْنُ شَاذَانَ عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ سَبْعٌ وَسَبْعُونَ أَلْفَ كَلِمَةٍ وَأَرْبَعُمِائَةٍ وَسَبْعٌ وَثَلَاثُونَ كَلِمَةً

وَأَمَّا حُرُوفُهُ فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جُبَيْرٍ عَنْ مُجَاهِدٍ ثَلَاثُمِائَةِ أَلْفِ حَرْفٍ وَأَحَدٌ وَعِشْرُونَ أَلْفَ حَرْفٍ [1]

** فإن قيل ما سبب اختلافهم في العد؟

فالجواب كما قال الزركشي:اعْلَمْ أَنَّ سَبَبَ اخْتِلَافِ الْعُلَمَاءِ فِي عَدِّ الْآيِ وَالْكَلِمِ وَالْحُرُوفِ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عليه وَسَلَّمَ كَانَ يَقِفُ عَلَى رُءُوسِ الْآيِ لِلتَّوْقِيفِ فَإِذَا عُلِمَ مَحَلُّهَا وَصَلَ لِلتَّمَامِ فَيَحْسَبُ السَّامِعُ أَنَّهَا لَيْسَتْ فَاصِلَةً

وَأَيْضًا الْبَسْمَلَةُ نَزَلَتْ مَعَ السُّورَةِ فِي بَعْضِ الْأَحْرُفِ السَّبْعَةِ فَمَنْ قَرَأَ بِحَرْفٍ نَزَلَتْ فِيهِ عَدَّهَا وَمَنْ قَرَأَ بِغَيْرِ ذَلِكَ لَمْ يَعُدَّهَا.

وَسَبَبُ الِاخْتِلَافِ فِي الْكَلِمَةِ أن الكلمة لها حقيقة ومجاز وَرَسْمٌ وَاعْتِبَارُ كُلٍّ مِنْهَا جَائِزٌ وَكُلٌّ مِنَ الْعُلَمَاءِ اعْتَبَرَ أَحَدَ الْجَوَائِزِ

وَأَطْوَلُ سُورَةٍ فِي الْقُرْآنِ هِيَ الْبَقَرَةُ وَأَقْصَرُهَا الْكَوْثَرُ

وَأَطْوَلُ آيَةٍ فِيهِ آيَةُ الدَّيْنِ [سورةالبقرة :آية رقم 282] مِائَةٌ وَثَمَانِيَةٌ وَعِشْرُونَ كَلِمَةً وَخَمْسُمِائَةٍ وَأَرْبَعُونَ حَرْفًا

وَأَقْصَرُ آيَةٍ فِيهِ: {وَالضُّحَى} ثُمَّ: {وَالْفَجْرِ} كُلُّ كَلِمَةٍ خَمْسَةُ أَحْرُفٍ تَقْدِيرًا ثُمَّ لَفْظًا سِتَّةٌ رَسْمًا ، لَا {مُدْهَامَّتَانِ} [الرحمن : 64] لِأَنَّهَا سَبْعَةُ أَحْرُفٍ لَفْظًا وَرَسْمًا وَثَمَانِيَةٌ تَقْدِيرًا، وَلَا {ثم نظر}[المدثر : 21] لِأَنَّهُمَا كَلِمَتَانِ خَمْسَةُ أَحْرُفٍ رَسْمًا وَكِتَابَةً وَسِتَّةُ أَحْرُفٍ تَقْدِيرًا خِلَافًا لِبَعْضِهِمْ.

وَأَطْوَلُ كَلِمَةٍ فِيهِ لفظا وكتابة بلا زيادة: { " فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ } {الحجر : 22} أحد عشر لفظا ،ثم { اقْتَرَفْتُمُوهَا }{التوبة : 24} عشرة وكذا: {أَنُلْزِمُكُمُوهَا } {هود : 28 } {وَالْمُسْتَضْعَفِينَ } {النساء : 75}، ثم{ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ }{النور : 55}تِسْعَةٌ لَفْظًا وَعَشَرَةٌ تَقْدِيرًا.

وَأَقْصَرُهَا: نَحْوَ بَاءِ الْجَرِّ حَرْفٌ وَاحِدٌ ، لَا أَنَّهَا حَرْفَانِ خِلَافًا للداني فيهم أهـ[2]

- **فائدة في تجزئة القرآن:**

روى أبو بكر بن أبي داود السجستاني بسنده عن أبي مُحَمَّدٍ الْحِمَّانِيُّ (واسمه سَلَّام وقيل راشد) قَالَ: " جَمَعَ الْحَجَّاجُ بْنُ يُوسُفَ الْحُفَّاظَ وَالْقُرَّاءَ قَالَ: فَكُنْتُ فِيهِمْ، فَقَالَ: " أَخْبِرُونِي عَنِ الْقُرْآنِ كُلِّهِ، كَمْ هُوَ مِنْ حَرْفٍ؟ قَالَ: فَجَعَلْنَا نَحْسُبُ،

[1] - البرهان في علوم القرآن للزركشي (1/249-250) تحقيق:محمد أبو الفضل إبراهيم- دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه.وانظر الموسوعة القرآنية(1/379) لإبراهيم بن إسماعيل الأبياري- الناشر: مؤسسة سجل العرب.

[2] - البرهان في علوم القرآن (1/251-252)

حَتَّى أَجْمَعُوا أَنَّ الْقُرْآنَ كُلَّهُ ثَلَاثُمِائَةِ أَلْفِ حَرْفٍ وَأَرْبَعُونَ أَلْفًا وَسَبْعُمِائَةٍ وَنَيِّفٌ وَأَرْبَعُونَ حَرْفًا. قَالَ: فَأَخْبِرُونِي إِلَى أَيِّ حَرْفٍ يَنْتَهِي نِصْفُ الْقُرْآنِ، فَحَسَبُوا فَأَجْمَعُوا أَنَّهُ يَنْتَهِي فِي الْكَهْفِ {وَلْيَتَلَطَّفْ} [الكهف: 19] فِي الْفَاءِ.

قَالَ: فَأَخْبِرُونِي بِأَسْبَاعِهِ عَلَى الْحُرُوفِ- أو عَلَى عَدَدِ الْحُرُوفِ - قَالَ:

فَإِذَا أَوَّلُ سُبُعٍ فِي النِّسَاءِ: {فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مِنْ صَدَّ} [النساء: 55] فِي الدَّالِ.

وَالسُّبُعُ الثَّانِي: فِي الْأَعْرَافِ {أُولَئِكَ حَبِطَتْ }{آية 147 } فِي التَّاءِ .

وَالسُّبُعُ الثَّالِثُ: فِي الرَّعْدِ {أُكُلُهَا دَائِمٌ} [الرعد: 35] فِي الْأَلِفِ آخِرِ {أُكُلُهَا} ،

وَالسُّبُعُ الرَّابِعُ: فِي الْحَجِّ {لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا} [الحج: 67] فِي الْأَلِفِ.

وَالسُّبُعُ الْخَامِسُ: فِي الْأَحْزَابِ {وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ} [الأحزاب: 36] فِي الْهَاءِ.

وَالسُّبُعُ السَّادِسُ: فِي الْفَتْحِ {الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوءِ} [الفتح: 6] فِي الْوَاوِ.

وَالسَّابِعُ: مَا بَقِيَ مِنَ الْقُرْآنِ.

قَالَ-أي الحجاج- فَأَخْبِرُونِي بِأَثْلَاثِهِ، قَالُوا: الثُّلُثُ الْأَوَّلُ: رَأْسُ مِائَةِ آيَةٍ مِنْ بَرَاءَةَ، وَالثُّلُثُ الثَّانِي: رَأْسُ إِحْدَى وَمِائَةٍ مِنْ طسم الشُّعَرَاءِ، وَالثُّلُثُ الثَّالِثُ: مَا بَقِيَ مِنَ الْقُرْآنِ "

قَالَ أَبو مُحَمَّدٍ الْحِمَّانِيِّ: " وَسَأَلْنَا عَنْ أَرْبَاعِهِ، فَإِذَا أَوَّلُ رُبُعٍ خَاتِمَةُ سُورَةِ الْأَنْعَامِ، وَالرُّبُعُ الثَّانِي الْكَهْفُ {وَلْيَتَلَطَّفْ} [الكهف: 19] ، وَالرُّبُعُ الثَّالِثُ خَاتِمَةُ الزُّمَرِ، وَالرَّابِعُ مَا بَقِيَ مِنَ الْقُرْآنِ " قَالَ: عَلِمْنَاهُ فِي أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ.أهـ1.

كانت هذه نظرة الحجاج مع القراء والحفاظ، وكانت تجزئته للقرآن بوفق عدد حروفه، ولقد رأيناه كيف جزّأه نصفين، ثم أسباعا، ثم أثلاثا، ثم أرباعًا.وأظنه أراد هذه التجزئة من أجل التيسير على القراء، فجعله نصفين على القارىء المجد، ثم أثلاثا على اللاحق، ثم أرباعًا على من يتلو اللاحق، ثم أسباعًا على من يريد أن يتمه فى أسبوع،ولم يجزئه لأقل من ذلك لأنه لم يرد أن يُختم في أكثرمن أسبوع. وما وقف التيسير عند هذا الحد ، بل نرى الميسّرين أرخوا للقارئين إلى أن بلغوا بهم الثلاثين، فجزؤا القرآن إلى ثلاثين جزءا ، غير أن هذه المراحل التى جاءت بعد الحجاج لم تتم فى يوم وليلة، بل امتدّت بامتداد الأيام.ونرى ابن أبي داود السّجستانى يروى أخباره في تجزئة القرآن تلك التجزئة الثانية عن رواة تنحصر

1 - كتاب المصاحف لابن أبي داود (1/276-279) تحقيق: محمد بن عبده-الناشر: الفاروق الحديثة - القاهرة

وفاتهم فى القرن الثانى للهجرة، ثم نرى ابن النديم وهو يتكلم عن الكتب المؤلفة في أجزاء القرآن يذكر لنا[1] :

1- كتاب أسباع القرآن لحمزة بن حبيب بن عمارة الزيات. ولقد كانت وفاة حمزة سنة 158 هـ.

2- كتاب أجزاء ثلاثين، عن أبى بكر بن عياش، ولقد كانت وفاة أبى بكر بن عياش سنة 193 هـ .

ولا يعنينا الكتاب الأول ، فلقد علمنا أن تجزئة القرآن أسباعا، كانت على يد الحجاج حروفا، وقد تكون على يد حمزة آيات لا حروفا

والذي يعنينا الكتاب الثاني، فهو يدلنا على أن تجزئة القرآن إلى ثلاثين جزءا، وهى التجزئة التى عليها مصاحفنا اليوم، تجزئة قديمة انتهت إلى أبى بكر بن عياش(وهو شعبة المقرىء)، بهذا يشعرنا أسلوب ابن النديم، إذ لم يعز الكتاب لأبى بكر وإنما قال: عن أبى بكر بن عياش.

إذن فتجزئة القرآن ثلاثين جزءا لم تغب عن القرن الثانى الهجرى، ولا يبعد أن تكون دون منتهاه بكثير، فقد كان مولد أبى بكر بن عياش سنة ست وتسعين من الهجرة، والرجل يصلح للتلقّى والرواية مع الخامسة والعشرين من عمره، أى إن أبا بكر بن عياش كان رجل رواية وتلقّ مع العام العشرين بعد المائة الأولى من الهجرة.

وهذه التجزئة الأخيرة، أعنى تجزئة القرآن ثلاثين جزءا، هى التجزئة التى غلبت وعاشت، ولعل ما ساعد على غلبتها يسرها، ثم ارتباطها بعدد أيام الشهر، ونحن نعلم كم تجد هذه التجزئة إقبالاً عظيما فى شهر رمضان من كل عام، وما نظن الذين جزءوا انتهوا إلى هذه التجزئة الأخيرة فى مرحلة واحدة متجاوزين التجزئة العشرية إلى التجزئة الثلاثينية، والذى نقطع به أنه كانت ثمة تجزئات بين هاتين المرحلتين لا ندرى تدرجها، ولكن يعنينا أن نقيّد أن ثمة تجزئة تقع في عشرين جزءا، تحتفظ بها مكتبة دار الكتب المصرية.

وبهذه التجزئة- أى إلى ثلاثين جزءًا- أصبح القرآن يعرض أجزاء منفصلة كل جزء على حدة، وأصبحنا نراه فى المساجد- لا سيما فى شهر رمضان- محفوظا فى صناديق بأجزائه الثلاثين، كل مجموعة فى صندوق، يقدمه الراغبون فى الثواب إلى المختلفين إلى المساجد رغبة فى تلاوة نصيب من القرآن.

ولكن هذا التيسير الأخير جر إلى تيسير آخر يتصل به، وما نشك فى أن الدافع إليه كان التيسير هنا على الحافظين، بعد أن كان التيسير قبل على القارئين، وفرق بين أن تيسّر على قارئ وبين أن تيسر على حافظ.

[1] - في كتابه الفهرست (ص: 55) طبعة مصر.

من أجل هذه فيما نظن كان تقسيم الأجزاء الثلاثين إلى أحزاب، كل جزء ينقسم إلى حزبين، ثم تقسيم الحزب إلى أرباع، كل حزب ينقسم إلى أربعة أرباع.
وعلى هذا التقسيم الأخير طبعت المصاحف، واعتمد هذا التقسيم على الجانب الراجح بين القراء فى عدد الآيات[1]. وقد انبرى لهذا «السّفاقسى» فى كتابه «غيث النفع» . ولقد اعتمد السفاقسى على رجلين سبقاه فى هذه الصناعة، هما: أبو العباس أحمد بن محمد بن أبى بكر القسطلانى فى كتابه «لطائف الإشارات فى علم القراءات» ، والقادرى محمد، وكتابه «مسعف المقرئين معبين المشتغلين بمعرفة الوقف والابتداء» ، وانتهى إلى الرأى الراجح أو المتّفق عليه[2]، وبهذا أخذ الذين أشرفوا على طبع المصحف طبعته الأخيرة فى مصر، وخرج يحمل الإشارات الجانبية الدالّة على مكان الأجزاء والأحزاب وأرباع الأحزاب[3].

فائدة في تفصيل حروف القرآن

ذكرها الإمام النسفي في كتابه مجمع العلوم ومطلع النجوم.
الألف : ثمانية وأربعون الفاً وسبعمائة وأربعون
الباء : أحد عشر ألفاً وأربعمائة وعشرون
التاء : ألف وأربعمائة وأربعة
الثاء : عشرة آلاف ومائة وثمانية وثلاثون
الجيم : ثلاثة آلاف وثلاثمائة واثنان وعشرون
الحاء : أربعة آلاف ومائة وثمانية وثلاثون
الخاء : ألفان وخمسمائة وثلاثة
الدال : خمسة آلاف وتسعمائة وثمانية وتسعون
الذال : أربعة آلاف وتسعمائة وأربعة وثلاثون
الراء : ألفان ومائتان وستة
الزاي : ألف وستمائة وثمانون
السين : خمسة آلاف وسبعمائة وتسع وتسعون
الشين : ألفان ومائة وخمسة عشر
الصاد : ألفان وسبعمائة وثمانون
الضاد : ألف وثمانمائة واثنان وثمانون

---

[1] ـ فأنت تعلم هذا الخلاف الذى بينهم:فالمدنيون الأولون يعدون آيات القرآن 6000 آية والمدنيون المتأخرون يعدون آيات القرآن 6124 آية والمكيون المتأخرون يعدون آيات القرآن 6219 آية والكوفيون يعدون آيات القرآن 6263 آية-وهو ما رجحوه- والبصريون يعدون آيات القرآن 6204 آية والشاميون يعدون آيات القرآن 6225 آية وفى هذا الخلاف كان ثمة ترجيح، وثمة اتفاق وثمة تغليب

[2] ـ فأنت تعلم هذا الخلاف الذى بينهم:فالمدنيون الأولون يعدون آيات القرآن 6000 آية والمدنيون المتأخرون يعدون آيات القرآن 6124 آية والمكيون المتأخرون يعدون آيات القرآن 6219 آية والكوفيون يعدون آيات القرآن 6263 آية والبصريون يعدون آيات القرآن 6204 آية والشاميون يعدون آيات القرآن 6225 آية وفى هذا الخلاف كان ثمة ترجيح، وثمة اتفاق وثمة تغليب

[3] ـ الموسوعة القرآنية (1/ 381-382) لإبراهيم بن إسماعيل الأبياري-الناشر: مؤسسة سجل العرب.

الطاء : ألف ومائتان وأربعة
الظاء : ثمانمائة واثنان وأربعون
العين : تسعة آلاف وأربعمائة وسبعون
الغين : ألف ومائتان وتسعة وعشرون
الفاء : تسعة آلاف وثمانمائة وثلاثة عشر
القاف : ثمانية آلاف وتسعة وتسعون
الكاف : ثمانية آلاف واثنان وعشرون
اللام : ثلاثة وثلاثون ألفاً وتسعمائة واثنان وعشرون
الميم : ثمانية وعشرون ألفاً وتسعمائة واثنان وعشرون
النون : سبعة عشر ألفاً
الهاء : ستة وعشرون ألفاً وتسعمائة وخمسة وعشرون
الواو : خمسة وعشرون ألفاً وخمسمائة وستة
لام ألف : أربعة عشر ألفاً وسبعمائة وسبعة
الياء : خمسة وعشرون الفاً وسبعمائة وسبعة عشر أهـ[1].

- **فائدة في أول من نقط المصحف:**

َقال الزركشي:
أَسْنَدَ الزُّبَيْدِيُّ فِي كِتَابِ الطَّبَقَاتِ عَنِ الْمُبَرِّدِ: أَوَّلُ مَنْ نَقَطَ الْمُصْحَفَ أَبُو الْأَسْوَدِ الدُّؤَلِيُّ، وَذَكَرَ أَيْضًا أَنَّ ابْنَ سِيرِينَ كَانَ لَهُ مُصْحَفٌ نَقَطَهُ لَهُ يَحْيَى بْنُ يَعْمَرَ، وَذَكَرَ أَبُو الْفَرَجِ: أَنَّ زِيَادَ بْنَ أَبِي سُفْيَانَ أَمَرَ أَبَا الْأَسْوَدِ أَنْ يَنْقُطَ الْمَصَاحِفَ، وَذَكَرَ الْجَاحِظُ -فِي كِتَابِ الْأَمْصَارِ- أَنَّ نَصْرَ بْنَ عَاصِمٍ أَوَّلُ مَنْ نَقَطَ الْمَصَاحِفَ وَكَانَ يُقَالُ لَهُ نَصْرُ الْحُرُوفِ أهـ.[2]

ويبدو أن أول من فعل ذلك أبو الأسود الدؤلى (67 هـ) فى خلافة عبد الله بن الزبير.وبدأ «أبو الأسود» فى شَكل المصحف، وعهد «أبو الأسود» - فيما يقال- إلى كاتب يحسن الكتابة ، بأن يتولى الشَكْل، وقال له: خذ المصحف وصبغًا يخالف لون المداد، فإذا رأيتنى فتحت شفتى بالحرف فانقط واحدة فوقه، وإذا كسرتها فانقط واحدة أسفله، وإذا ضممتها فاجعل النقطة بين يدى الحرف، فإن أتبعت شيئا من هذه الحركات غنّة فانقط نقطتين. وأخذ الناس هذه الطريقة عن أبى الأسود، وكانوا يسمون النقط شكلاً.وجاء من بعد «أبى الأسود» نصرُ بن عاصم، ثم أتباعه من بعده، فحوروا فى شكل النقط، فمنهم من جعلها مربعة، ومنهم من جعلها مدورة مطموسة، ومنهم من جعلها مدورة غير مطموسة. ثم زيدت علامات أخرى فى الشكل،.

ولقد عاش الناس زمن بنى أمية على النهج الذى رسمه «أبو الأسود» ثم من بعده «نصر بن عاصم» ، حتى إذا كانت أيام الدولة العباسية أخذ الناس يجعلون

---

[1] - الفتوحات الإلهية - حـ1 - صـ12
[2] - البرهان في علوم القرآن للزركشي (1/250-251)

الشكل من مداد الكتابة، للتيسير على الكاتب، غير أن ذلك جر إلى صعوبة، وهى اختلاط الشكل بالإعجام، لأن كلا منهما أصبح بمداد واحد، فكان لا بد من تغيير ثالث، وهذا ما انتهى إليه «الخليل بن أحمد» ، فوضع تلك الطريقة التى عليها الناس الآن، وأصبح للشكل ثمانى علامات: الفتحة، والضمة، والكسرة، والسكون، والشدة، والمدة، والصلة، والهمزة[1].

****

المبحث الرابع: في نزول القرآن وترتيبه

اعلم أن الله تعالى أنزل القرآن المجيد في اللوح المحفوظ جملة واحدة إلى سماء الدنيا في شهر رمضان في ليلة القدر ، ثم كان ينزله مفرقاً على لسان جبريل عليه السلام إلى النبي " صلى الله عليه وسلم " مدة رسالته نجومًا عند الحاجة ، وبحدوث ما يحدث على ما يشاء الله ، عن ابن عباس قال : فُصِلَ الْقُرْآنُ مِنَ الذِّكْرِ فَوُضِعَ فِي بَيْتِ الْعِزَّةِ فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَجَعَلَ جِبْرِيل ينزل على النبي صلى اللَّهُ عليه وسلم يُرَتِّلُهُ تَرْتِيلا "[2]

وترتيب نزول القرآن على النبي صلى الله عليه وسلم غير ترتيبه في تلاوة المصحف، فإن ترتيبه الموجود الآن في المصحف فهو وفق ما تم في جمعه وكتابته في عصر الخليفة الراشد الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه.وعليه إجماع الصحابة.

أما ترتيب نزوله على رسوله " صلى الله عليه وسلم " فأول سوَرِه ما نزل بمكة ثم ما نزل بالمدينة.

- فإن قيل بمَ يُقصد بقولهم: القرآن المكي و القرآن المدني؟

فالجواب: للناس فى ذلك أقوال، تجملها فيما يلى:

1- أن المكى ما نزل بمكة، والمدنى ما نزل بالمدينة.
2- أن المكى ما نزل قبل الهجرة، والمدنى ما نزل بعد الهجرة، وإن كان بمكة.
3- أن المكى ما وقع خطابًا لأهل مكة، والمدنى ما وقع خطابا لأهل المدينة، وإذ كان الغالب على أهل مكة الكفر فخوطبوا ب «يأيّها النّاس» ، وإن كان غيرهم داخلا فيهم، وإذ كان الغالب على أهل المدينة الإيمان فخوطبوا بـ «يأيّها الّذين آمنوا» وإن كان غيرهم داخلاً فيهم.

وهذا القول إن أخذ على إطلاقه ففيه نظر:فإن سورة البقرة مدنية، وفيها: {يا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ} [الآية: 21]، ومنها: {يا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلالًا طَيِّباً} [الآية: 168].

---

[1] - الموسوعة القرآنية (1/394-395)

[2] - رواه النسائي في الكبرى(7991) والحاكم (2/ 242رقم 2881) وصححه ووافقه الذهبي

وسورة النساء مدنية، وفيها: {يا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ }[الآية: 1]، وفيها: {إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ} [الآية: 133].

وسورة الحج مكية، وفيها: {يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا}[الآية: 77].

فإن أراد المفسرون أن الغالب ذلك، فهو صحيح.

4- **وقيل: كل سورة ذكرت فيها الحدود والفرائض فهى مدنية، وكل ما كان فيه ذكر القرون الماضية فهى مكية.**

5- **وقيل: ما نزل بمكة، وما نزل فى طريق المدينة، قبل أن يبلغ النبي صلّى الله عليه وسلم المدينة، فهو من المكى، وما نزل على النبى صلّى الله عليه وسلم بعد ما قدم المدينة فهو من المدنى.**

6- **وقيل: لمعرفة المكى والمدنى طريقان:**

أ- سماعى، وهو ما وصل إلينا نزوله.

ب- قياسى، ومرده إلى أن كل سورة فيها يا أَيُّهَا النَّاسُ فقط، أو «كلا» ، أو أولها حرف تهج، سوى الزهراوين، وهما البقرة وآل عمران، والرعد فى وجه، أو فيها قصة آدم وإبليس، سوى الطولى، وهى سورة البقرة، فهى مكية، وإلى أن كل سورة فيها قصص الأنبياء والأمم الخالية فهى مكية، وإلى أن كل سورة فيها فريضة أو حد فهى مدنية[1]

وترتيب ما نزل من القرآن بمكة كالتالي :

1- اقرأ باسم ربك 2- ن. والقلم 3- يأيها المزمل 4- يأيها المدثر 5- تبت يدا أبى لهب 6- إذا الشمس كورت 7- سبح اسم ربك الأعلى 8- والليل إذا يغشى 9- والفجر 10- والضحى 11- ألم نشرح 12- والعصر 13- والعاديات 14- إنا أعطيناك الكوثر 15- ألهاكم التكاثر 16- أرأيت الذى(الماعون) 17- يأيها الكافرون 18- سورة الفيل 19- سورة الفلق 20- سورة الناس 21- قل هو الله أحد. 22- والنجم إذا هوى. 23- عبس وتولى 24- إنا أنزلناه(القدر) 25- والشمس وضحاها 26- والسماء ذات البروج 27- والتين والزيتون 28- لإيلاف قريش 29- القارعة 30- لا أقسم بيوم القيامة 31- سورة الهمزة 32- سورة المرسلات 33- ق والقرآن 34- لا أقسم بهذا البلد 35- الطارق 36- اقتربت الساعة 37- ص والقرآن 38- سورة الأعراف 39- سورة الجن 40- يس

[1] - الموسوعة القرآنية (3/ 172-173)

41 - سورة الفرقان 42- سورة الملائكة(فاطر) 43- سورة مريم 44- سورة طه 45- سورة الواقعة 46- سورة الشعراء 47- سورة النمل 48- سورة القصص 49- سورة بنى إسرائيل(الإسراء) 50- سورة يونس 51- سورة هود 52- سورة يوسف 53- سورة الحجر 54- سورة الأنعام 55- سورة الصافات 56- سورة لقمان 57- سورة سبأ 58- سورة الزمر 59- حم المؤمن (غافر) 60- حم تنزيل- حم السجدة(فصلت) 61- حم عسق(الشورى) 62- حم الزخرف 63- حم الدخان 64- حم الجاثية 65- حم الأحقاف 66- الذاريات 67- سورة الغاشية 68- سورة الكهف . 69- سورة النحل 70- سورة نوح 71- سورة إبراهيم 72- سورة الأنبياء 73- سورة المؤمنون 74- ألم تنزيل(السجدة) 75- والطور 76- سورة الملك 77- الحاقة 78- سأل سائل(المعارج) 79- عم يتساءلون 80- والنازعات 81- إذا السماء انفطرت 82- إذا السماء انشقت 83- سورة الروم.

واختلفوا فى آخر ما نزل بمكة، فقيل: العنكبوت، وقيل: المؤمنون، وقيل: ويل للمطففين.
فهذا ترتيب ما نزل من القرآن بمكة، وعليه استقرت الرواية من الثقات، وهى خمس وثمانون سورة.
وأما ترتيب ما نزل بالمدينة، وهو تسع وعشرون سورة:
فأول ما نزل فيها: سورة البقرة، ثم الأنفال، ثم آل عمران، ثم الأحزاب، ثم محمد، ثم الممتحنة، ثم النساء، ثم إذا زلزلت الأرض، ثم الحديد، ثم الرعد، ثم الرحمن، ثم هل أتى، ثم الطلاق، ثم لم يكن، ثم الحشر، ثم إذا جاء نصر الله، ثم النور، ثم الحج، ثم المنافقون، ثم المجادلة، ثم الحجرات، ثم يا أيها النبى لم تحرم، ثم الصف، ثم الجمعة، ثم التغابن، ثم الفتح، ثم التوبة، ثم المائدة.ومنهم من يقدم المائدة على التوبة.[1]،ومنهم من جعل سورة النصر آخر السور نزولاً، فهذا ترتيب ما نزل من القرآن بالمدينة.على خلاف في البعض.
وأما ما اختلفوا فيه:ففاتحة الكتاب، قيل: إنها مكية، وقيل: إنها مدنية.
وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ قيل: إنها مدنية، وقيل هى آخر ما نزل بمكة.

وإذا شئت مزيدًا من الحصر فعدد آيات السور المدنية: (1623) ثلاث وعشرون وستمائة وألف آية، وعدد آيات السور المكية:(1623) ثلاث عشرة وستمائة وأربعة آلاف آية ، فيكون مجموع آيات القرآن- مدنيَّه ومكيَّه-:(6236) ستّا وثلاثين ومائتين وستة آلاف .

[1] - الموسوعة القرآنية (3/173-175) وانظر: نفسير الخازن (9/1) : دار الكتب العلمية – بيروت.

- **فوائد ذات صلة [1]:**

1- ما نزل بمكة وحكمه مدنيّ:

1- {يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْناكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثى وَجَعَلْناكُمْ شُعُوباً وَقَبائِلَ..} [الحجرات: 13]، وكان نزولها بمكة يوم فتحها، وهى مدنية لأنها نزلت بعد الهجرة.

2- {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلامَ دِيناً فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ. يَسْئَلُونَكَ ماذا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّباتُ وَما عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسابِ. الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّباتُ وَطَعامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَناتُ مِنَ الْمُؤْمِناتِ وَالْمُحْصَناتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسافِحِينَ وَلا مُتَّخِذِي أَخْدانٍ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخاسِرِينَ}[المائدة: 3- 5]، فإنها نزلت يوم الجمعة والناس وقوف بعرفات، وهى مدنية لنزولها بعد الهجرة.

2- ما نزل بالمدينة وحكمه مكيٌّ، منه:

1- الممتحنة إلى آخرها، فهى خطاب لأهل مكة.

2- {وَالَّذِينَ هاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ ما ظُلِمُوا ...} [النحل: 41]، إلى آخر السورة، فهى مدنيات، يخاطب أهل مكة.

3- سورة الرعد، يخاطب بها أهل مكة، وهى مدنية.

4- من أول براءة إلى قوله تعالى: {إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ..} [الآية: 28]، خطاب لمشركى مكة، وهى مدنية.

3- ما نزل بالحجفة، وهى قرية على طريق المدينة على أربع مراحل من مكة:

1- {إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرادُّكَ إِلى مَعادٍ}[القصص: 85]، نزلت بالحجفة والنبى صلّى الله عليه وسلم مهاجر.

[1] - الموسوعة القرآنية (3/176- 179)

4- ما نزل ببيت المقدس:

1- {وَسْئَلْ مَنْ أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنا أَجَعَلْنا مِنْ دُونِ الرَّحْمنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ }[الزخرف: 45]، نزلت عليه، صلّى الله عليه وسلم، ليلة أسرى به.

5- ما نزل بالطائف:

1- {أَلَمْ تَرَ إِلى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ ...} [الفرقان: 45].

2- { بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِما يُوعُونَ. فَبَشِّرْهُمْ بِعَذابٍ أَلِيمٍ } [الانشقاق 22- 24]، يعنى كفار مكة.

6- ما نزل بالحديبية:

1- {وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمنِ }[الرعد: 30]، نزلت بالحديبية، حين صالح النبى صلّى الله عليه وسلم أهل مكة.

7- ما نزل ليلا:

1- {يا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ}[الحج: 1]، نزلت ليلا فى غزوة بنى المصطلق، وهم حى من خزاعة والناس يسيرون.

2- {وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ } [المائدة: 67]، نزلت فى بعض غزواته صلى الله عليه وسلم، وذلك أن النبى صلّى الله عليه وسلم كان يُحرَس كل ليلة، وكان رسول الله صلّى الله عليه وسلم فى خيمة من أدم، فباتوا على باب الخيمة، فلما أن كان بعد هزيع من الليل أنزل الله عليه الآية، فأخرج رسول الله صلّى الله عليه وسلم رأسه من الخيمة فقال: يا أيها الناس، انصرفوا فقد عصمنى الله.

2- {إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ ...} [القصص: 56]، قالت عائشة، رضى الله عنها: نزلت هذه الآية على رسول الله صلّى الله عليه وسلم، وأنا معه فى اللحاف.

8- ما حمل من مكة إلى المدينة:

1- سورة يوسف، وهى أول سورة حملت من مكة إلى المدينة، انطلق بها عوف بن عفراء فى الثمانية الذين قدموا على رسول الله صلّى الله عليه وسلم مكة، فعرض عليهم الإسلام فأسلموا.

2- قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ.. إلى آخرها، سورة الإخلاص، حملت إلى المدينة بعد سورة يوسف.
3- {قُلْ يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ لا إِلهَ إِلَّا هُوَ يُحيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِماتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ}[الأعراف: 158]، حملت بعد التى قبلها إلى المدينة، فأسلم عليها طوائف من أهل المدينة.

9- ما حمل من المدينة إلى مكة:
1- {يَسْئَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرامِ قِتالٍ فِيهِ ...}[البقرة 217]، وكان عبد الله ابن جحش أورد كتاب مسلمى مكة على رسول الله صلّى الله عليه وسلم بأن المشركين عيروهم قتل ابن الحضرمي وأخذ أموال الأسارى فى الشهر الحرام.
2- { يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا ما بَقِيَ مِنَ الرِّبا..} [البقرة: 278]، حملت من المدينة إلى مكة، وقرأها عتاب بن أسيد، عامل رسول الله صلّى الله عليه وسلم على مكة، فقرأها عتابا على ثقيف وبنى المغيرة.

10- ما حمل من المدينة إلى الحبشة ست آيات:
بعث رسول الله صلّى الله عليه وسلم إلى جعفر بن أبى طالب فى خصومة الرهبان والقسيسين: { يا أَهْلَ الْكِتابِ تَعالَوْا إِلى كَلِمَةٍ سَواءٍ بَيْنَنا وَبَيْنَكُمْ..}[آل عمران: 64] ، فقرأها جعفر بن أبى طالب عليهم عند النجاشى، فلما بلغ قوله:{ ما كانَ إِبْراهِيمُ يَهُودِيًّا وَلا نَصْرانِيًّا..}[آل عمران: 67]، قال النجاشى: صدقوا، ما كانت اليهودية والنصرانية إلا من بعده، ثم قرأ جعفر: { إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْراهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ ...} [آل عمران: 68]، قال النجاشى: اللهم إنى ولى لأولياء إبراهيم.

****

المبحث الخامس: في فضل تلاوة القرآن و مدارسته

قال تعالى:{الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاَوَتِهِ أُوْلَـئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمن يَكْفُرْ بِهِ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ }{البقرة:121}
وقال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرّاً وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ }[فاطر:29]
وقال تعالى:{وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ } {النحل:89}

وقال تعالى: {كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ}{ص:29}
وقال تعالى: {قَدْ جَاءكُم مِّنَ اللّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ * يَهْدِي بِهِ اللّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلاَمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنِ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ }{المائدة:15-16}
وفي صحيح البخاري(4739) وغيره عَنْ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ".
وفي صحيح مسلم (2699) وغيره عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمْ السَّكِينَةُ وَغَشِيَتْهُمْ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمْ الْمَلَائِكَةُ وَذَكَرَهُمْ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ".

وروى الترمذي (2910) وصححه عن مُحَمَّدَ بْنَ كَعْبٍ الْقُرَظِيَّ قَالَ سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ يَقُولُ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، لَا أَقُولُ الم حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ وَلَامٌ حَرْفٌ وَمِيمٌ حَرْفٌ".

وروى أحمد(6799) والترمذي(2914) وغيرهماعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: يُقَالُ لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ اقْرَأْ وَارْتَقِ وَرَتِّلْ كَمَا كُنْتَ تُرَتِّلُ فِي الدُّنْيَا فَإِنَّ مَنْزِلَتَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرَأُ بِهَا" وقَالَ الترمذي: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.
وأخرج أحمد وابن ماجة وغيرهما عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- « يُقَالُ لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ إِذَا دَخَلَ الْجَنَّةَ اقْرَأْ وَاصْعَدْ.فَيَقْرَأُ وَيَصْعَدُ بِكُلِّ آيَةٍ دَرَجَةً حَتَّى يَقْرَأَ آخِرَ شَىْءٍ مَعَهُ »[1].

وروى البخاري(5427)ومسلم(797)عَنْ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - مَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الأُتْرُجَّةِ ، رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا طَيِّبٌ ، وَمَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِى لاَ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ التَّمْرَةِ لاَ رِيحَ لَهَا

[1] - رواه أحمد(11360-ت الأرنؤوط)وفي سنده عطية العوفي وهو ضعيف ، لكن الحديث صحيح لغيره كما ذكر الأرنؤوط..وصححه الألباني.
وأخرجه ابن ماجه (3780) ، وأبو يعلى (1094) من طريق عبيد الله بن موسى، عن شيبان النحوي، بهذا الإسناد.
وقد رواه أحمد في مسند أبي هريرة (10087) عن وكيع، عن الأعمش، عن أبي صالح السمان، عن أبي هريرة، أو أبي سعيد. شك الأعمش، ولهذا إسناد صحيح على شرط الشيخين.
وله شاهد آخر من حديث عبد الله بن عمرو، سلف في مسنده برقم (6799) بإسناد حسن.
قال السندي: قوله: "اقرأ واصعد"، أي: ارتق في الدرج على قدر ما كنت تقرأ من القرآن، فمن استوفى جميع آياته استوى على أقصى درج الجنة، ومن قرأ جزءاً منها كان صعوده في الدرج على قدر ذلك، وهذا معنى ما جاء في بعض الروايات: "فإن منزلتك آخر آية".

وَطَعْمُهَا حُلْوٌ ، وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِى يَقْرَأُ الْقُرْآنَ مَثَلُ الرَّيْحَانَةِ ، رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ ، وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِى لاَ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الْحَنْظَلَةِ ، لَيْسَ لَهَا رِيحٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ »

وفي الصحيحين عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- « الْمَاهِرُ بِالْقُرْآنِ مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَرَةِ وَالَّذِى يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَيَتَتَعْتَعُ فِيهِ وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌّ لَهُ أَجْرَانِ » "[1].

وروى مسلم أن عُمَرُ بن الخطاب قَالَ: أَمَا إِنَّ نَبِيَّكُمْ - صلى الله عليه وسلم- قَدْ قَالَ « إِنَّ اللَّهَ يَرْفَعُ بِهَذَا الْكِتَابِ أَقْوَامًا وَيَضَعُ بِهِ آخَرِينَ »[2].
وروى مسلم عن أبي أُمَامَةَ الْبَاهِلِىّ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- يَقُولُ « اقْرَءُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِى يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لأَصْحَابِهِ »[3]

وفي الصحيحين وغيرهما عن عبد الله بن عمر عَنِ النَّبِىِّ - صلى الله عليه وسلم - قَالَ « لاَ حَسَدَ إِلاَّ فِى اثْنَتَيْنِ رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الْقُرْآنَ فَهُوَ يَتْلُوهُ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالاً فَهُوَ يُنْفِقُهُ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ »[4]

---

[1] - أخرجه عبد الرزاق (491/2 ، رقم 4194) ، والبخارى (4937) ، ومسلم (549/1 ، رقم 798) ، وأبو داود (70/2 ، رقم 1454) ، وابن ماجه (1242/2 ، رقم 3779) . وأخرجه أيضًا : أحمد (98/6 ، رقم 24711) ، وعبد الرزاق (491/2 ، رقم 4194) ، والنسائى فى الكبرى (506/6 ، رقم 11646) .
شرح الفاظ الحديث: (الماهر بالقرآن) هو الحاذق الكامل الحفظ الذي لا يتوقف ولا يشق عليه القراءة لجودة حفظه وإتقانه (مع السفرة الكرام البررة) السفرة :جمع سافر ككتبة وكاتب، والسافر الرسول والسفرة الرسل لأنهم يسفرون إلى الناس برسالات الله .وقيل :السفرة الكتب والبررة المطيعون من البر وهو الطاعة (ويتتعتع فيه) هو الذي يشق عليه قراءته ويتردد في تلاوته لضعف حفظه ، فله أجران: أجر بالقراءة وأجر بتتعته في تلاوته ومشقته
[2] - أخرجه أحمد (35/1 ، رقم 232) ، والدارمى (536/2 ، رقم 3365) ومسلم (559/1 ، رقم 817) ، وابن ماجه (79/1 ، رقم 218) ، وأبو عوانة (444/2 ، رقم 3762) ، وابن حبان (49/3 ، رقم 772) . وأخرجه أيضًا : عبد الرزاق عن معمر فى الجامع (439/11 ، رقم 20944) ، والبزار (371/1 ، رقم 249) ، والبيهقى (89/3 ، رقم 4904) .
[3] - أورده أبو عبيد فى غريب الحديث (93/1) ، وأخرجه أحمد (249/5 ، رقم 22200) ، ومسلم (553/1 ، رقم 804) ، وابن الضريس فى فضائل القرآن (ص 59 ، رقم 98) ، وابن حبان (322/1 ، رقم 116) ، والطبرانى (118/8 ، رقم 7542) ، الطبرانى فى الأوسط (150/1 ، رقم 468) رقم 2071) ، والبيهقى (395/2 ، رقم 3862) . وأخرجه أيضاً :الروياني (305/2 ، رقم 1254) والحاكم (752/1)،
[4] - أخرجه أحمد (8/2 ، رقم 4550) ، والبخارى (7529) ، ومسلم (558/1 ، رقم 815) ، والترمذى (330/4 ، رقم 1936) وقال : حسن صحيح . وابن ماجه (1408/2 ، رقم 4209) ، وابن حبان (332/1 ، رقم 125)

وروى مسلم وغيره عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ قَالَ خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- وَنَحْنُ فِي الصُّفَّةِ فَقَالَ « أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ يَغْدُوَ كُلَّ يَوْمٍ إِلَى بُطْحَانَ أَوْ إِلَى الْعَقِيقِ فَيَأْتِيَ مِنْهُ بِنَاقَتَيْنِ كَوْمَاوَيْنِ فِي غَيْرِ إِثْمٍ وَلاَ قَطْعِ رَحِمٍ » .
فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ نُحِبُّ ذَلِكَ. قَالَ: « أَفَلاَ يَغْدُو أَحَدُكُمْ إِلَى الْمَسْجِدِ فَيَعْلَمَ أَوْ يَقْرَأَ آيَتَيْنِ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ خَيْرٌ لَهُ مِنْ نَاقَتَيْنِ وَثَلاَثٌ خَيْرٌ لَهُ مِنْ ثَلاَثٍ وَأَرْبَعٌ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَرْبَعٍ وَمِنْ أَعْدَادِهِنَّ مِنَ الإِبِلِ »1.
وعن أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم- « مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا نَفَّسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلاَّ نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ الْمَلاَئِكَةُ وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ وَمَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ ».
."2
عَنْ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- « يَقُولُ الرَّبُّ عَزَّ وَجَلَّ مَنْ شَغَلَهُ الْقُرْآنُ وَذِكْرِي عَنْ مَسْأَلَتِي أَعْطَيْتُهُ أَفْضَلَ مَا أُعْطِي السَّائِلِينَ وَفَضْلُ كَلاَمِ اللَّهِ عَلَى سَائِرِ الْكَلاَمِ كَفَضْلِ اللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ "3
وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- « إِنَّ الَّذِي لَيْسَ فِي جَوْفِهِ شَىْءٌ مِنَ الْقُرْآنِ كَالْبَيْتِ الْخَرِبِ »4.

و عَنْ سَهْلِ بْنِ مُعَاذٍ الْجُهَنِيِّ عَنْ أَبِيهِ معاذ بن أنس أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ « مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ وَعَمِلَ بِمَا فِيهِ أُلْبِسَ وَالِدَاهُ تَاجًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ضَوْؤُهُ أَحْسَنُ مِنْ ضَوْءِ الشَّمْسِ فِي بُيُوتِ الدُّنْيَا لَوْ كَانَتْ فِيكُمْ فَمَا ظَنُّكُمْ بِالَّذِي عَمِلَ بِهَذَا »5.

---

[1] - رواه مسلم (552/1 ، رقم 803) ، عن شيخه أبي بكر بن أبي شيبة وكذا أخرجه ابن أبى شيبة (133/6 ، رقم 30074) ، وأحمد (154/4 ، رقم 17444) ، وأبو نعيم فى الحلية (341/1) .
[2] - أخرجه أحمد (252/2 ، رقم 7421) ، ومسلم (2074/4 ، رقم 2699) ، وأبو داود (287/4 ، رقم 4946) ، والترمذى (195/5 ، رقم 2945) ، وابن ماجه (82/1 ، رقم 225) ، وابن حبان (292/2 ، رقم 534) .
[3] - أخرجه الدارمى (533/2 ، رقم 3356) والترمذى (184/5 ، رقم 2926) وقال : حسن غريب . والحكيم (259/3) والبيهقى فى شعب الإيمان (353/2 ، رقم 2015) .
[4] - أخرجه أحمد (223/1 ، رقم 1947) ، والترمذى (177/5 ، رقم 2913) وقال : حسن صحيح . وابن الضريس فى فضائل القرآن (ص 158رقم 337) ، والطبرانى (109/12 ، رقم 12619) ، والحاكم (741/1 ، رقم 2037) وقال : صحيح الإسناد . والبيهقى فى شعب الإيمان (328/2 ، رقم 1943) ، والضياء (537/9 ، رقم 525) وأخرجه أيضًا : الدارمى (521/2 ، رقم 3306) .
[5] - أخرجه أحمد (440/3 ، رقم 15683) ، وأبو داود (70/2 ، رقم 1453) ، والحاكم (756/1 ، رقم 2085) وقال : صحيح الإسناد . والبيهقى فى شعب الإيمان (329/2 ، رقم 1948) . وأخرجه أيضًا : أبو يعلى (65/3 ، رقم 1493) .وضعفه الألباني.

وعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ أن النَّبِىّ-صلى الله عليه وسلم- قَالَ: « يَجِىءُ الْقُرْآنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَقُولُ يَا رَبِّ حَلِّهِ فَيُلْبَسُ تَاجَ الْكَرَامَةِ ثُمَّ يَقُولُ يَا رَبِّ زِدْهُ فَيُلْبَسُ حُلَّةَ الْكَرَامَةِ ثُمَّ يَقُولُ يَا رَبِّ ارْضَ عَنْهُ فَيَرْضَى عَنْهُ فَيُقَالُ لَهُ اقْرَأْ وَارْقَ وَتُزَادُ بِكُلِّ آيَةٍ حَسَنَةً » "[1].

وعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ الْجُهَنِىِّ ومعاذ بن جبل رضي الله عنهما أن رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- قال: « الْجَاهِرُ بِالْقُرْآنِ كَالْجَاهِرِ بِالصَّدَقَةِ وَالْمُسِرُّ بِالْقُرْآنِ كَالْمُسِرِّ بِالصَّدَقَةِ "[2].

وعن بُرَيْدَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- « يَجِىءُ الْقُرْآنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَالرَّجُلِ الشَّاحِبِ فَيَقُولُ أَنَا الَّذِى أَسْهَرْتُ لَيْلَكَ وَأَظْمَأْتُ نَهَارَكَ »[3].

و روى مسلم وغيره عَنْ أَبِى مَسْعُودٍ الأَنْصَارِىِّ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- « يَؤُمُّ الْقَوْمَ أَقْرَؤُهُمْ لِكِتَابِ اللَّهِ» [4]

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه " أن رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَجْمَعُ بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ مِنْ قَتْلَى أُحُدٍ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ ثُمَّ يَقُولُ أَيُّهُمْ أَكْثَرُ أَخْذًا لِلْقُرْآنِ فَإِذَا أُشِيرَ لَهُ إِلَى أَحَدٍ قَدَّمَهُ فِي اللَّحْدِ وَقَالَ أَنَا شَهِيدٌ عَلَى هَؤُلَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ " [5]

---

[1] - أخرجه الترمذى (178/5 ، رقم 2915) وقال : حسن صحيح . والحاكم (738/1 ، رقم 2029) وقال : صحيح الإسناد . والبيهقى فى شعب الإيمان (347/2 ، رقم 1997) .

[2] - حديث عقبة بن عامر : أخرجه الترمذى (180/5 ، رقم 2919) ، وقال : حسن غريب . والنسائى (41/2 ، رقم 2342) ، وابن حبان (8/3 ، رقم 734) . وأخرجه أيضًا : أحمد (151/4 ، رقم 1740) ، والطبرانى فى الشاميين (189/2 ، رقم 1164) ، والبيهقى (13/3 ، رقم 4488) ، والديلمى (119/2 ، رقم 2623) .وصححه الألباني.

حديث معاذ : أخرجه الحاكم (741/1 ، رقم 2038) وقال : صحيح على شرط البخارى . والبيهقى فى شعب الإيمان (384/2 ، رقم 2131) .

[3] - أخرجه ابن ماجه (1242/2 ، رقم 3781) قال البوصيرى (126/4) : هذا إسناد رجاله ثقات . والحاكم (742/1 ، رقم 2043) وقال : صحيح الإسناد . وقال الشيخ الألباني : ضعيف يحتمل التحسين شرح ألفاظ الحديث: - (كالرجل الشاحب) قال السيوطي: هو المتغير اللون والجسم لعارض من العوارض كمرض أو سفر ونحوهما وكأنه يجيء على هذه الهيئة ليكون أشبه بصاحبه في الدنيا . أو للتنبيه له على أنه كما تغير لونه في الدنيا لأجل القيام بالقرآن كذلك القرآن لأجله في السعي يوم القيامة . حتى ينال صاحبه الغاية القصوى في الآخرة . (فيقول) أي لصاحبه .

[4] - أخرجه ابن أبى شيبة (301/1 ، رقم 3451) ، وأحمد (118/4 ، رقم 17104) ، وعبد الرزاق (389/2 ، رقم 3809) ، ومسلم (465/1 ، رقم 673) ، وأبو داود (159/1 ، رقم 582) ، والترمذى (458/1 ، رقم 235) وقال : حسن صحيح . والنسائى (77/2 ، رقم 780) ، وابن ماجه (313/1 ، رقم 980) ، والبيهقى (90/3 ، رقم 4911) . وأخرجه أيضًا : الحميدى (217/1 ، رقم 457) ، وابن الجارود (ص 85 ، رقم 308) ، وأبو عوانة (376/1 ، رقم 1363) وابن حبان (500/5 ، رقم 2127) .

[5] - رواه البخاري(1347و 4079) وأخرجه ابن أبى شيبة (367/7 ، رقم 36753) وأبو داود(3138) والترمذي(1036) والنسائي(1955)

وعَنْ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم- « إِنَّ مِنْ إِجْلاَلِ اللهِ إِكْرَامَ ذِى الشَّيْبَةِ الْمُسْلِمِ ،وَحَامِلِ الْقُرْآنِ غَيْرِ الْغَالِى فِيهِ وَالْجَافِى عَنْهُ، وَإِكْرَامَ ذِى السُّلْطَانِ الْمُقْسِطِ »1 .

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- « مَنْ قَامَ بِعَشْرِ آيَاتٍ لَمْ يُكْتَبْ مِنَ الْغَافِلِينَ وَمَنْ قَامَ بِمِائَةِ آيَةٍ كُتِبَ مِنَ الْقَانِتِينَ وَمَنْ قَامَ بِأَلْفِ آيَةٍ كُتِبَ مِنَ الْمُقَنْطَرِينَ »2

وعن أَنَسٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- :« إِنَّ لِلَّهِ أَهْلِينَ مِنَ النَّاسِ ». قِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ هُمْ؟ قَالَ :« أَهْلُ الْقُرْآنِ »3.
وذكر أبو بكر الأنباري بسنده عن العوام بن حوشب: أن أبا عبد الرحمن السلمى رحمه الله كان إذا ختم عليه الخاتم القرآن أجلسه بين يديه ووضع يده على رأسه وقال له: يا هذا، اتق الله ! فما أعرف أحدا خيرا منك إن عملت بالذي علمت[4].
وروى الدارمي بسنده عَنْ وَهْبٍ الذِّمَارِيِّ قَالَ :" مَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْقُرْآنَ فَقَامَ بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ وَعَمِلَ بِمَا فِيهِ وَمَاتَ عَلَى الطَّاعَةِ بَعَثَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعَ السَّفَرَةِ وَالأَحْكَامِ.- قَالَ سَعِيدٌ (أحد رواة السند): السَّفَرَةُ الْمَلاَئِكَةُ ، وَالأَحْكَامُ الأَنْبِيَاءُ.- قَالَ : وَمَنْ كَانَ عَلَيْهِ حَرِيصاً وَهُوَ يَتَفَلَّتُ مِنْهُ وَهُوَ لاَ يَدَعُهُ أُوتِىَ أَجْرَهُ مَرَّتَيْنِ ، وَمَنْ كَانَ عَلَيْهِ حَرِيصاً وَهُوَ يَتَفَلَّتُ مِنْهُ وَمَاتَ عَلَى الطَّاعَةِ فَهُوَ مِنْ أَشْرَافِهِمْ ، وَفُضِّلُوا عَلَى النَّاسِ كَمَا فُضِّلَتِ النُّسُورُ عَلَى سَائِرِ الطَّيْرِ ، وَكَمَا فُضِّلَتْ مَرْجَةٌ خَضْرَاءُ عَلَى مَا حَوْلَهَا مِنَ الْبِقَاعِ"[5]
وعن عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - : قال : « كان القُرَّاءُ أصحابَ مَجْلِسِ عمر ومَشُورَتِه ، كُهُولا كانوا أو شُبَّابا". [6]

عن ابْنِ عَبَّاسٍ ، قَالَ : مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ وَاتَّبَعَ مَا فِيهِ ، هَدَاهُ اللَّهُ مِنَ الضَّلالَةِ ، وَوَقَاهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ سُوءَ الْحِسَابِ ، وَذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ يَقُولُ : { فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَى }[سورة طه:123]1.

---

1 - أخرجه ابن المبارك (130/1 ، رقم 388) ، وابن أبى شيبة (421/6 ، رقم 32561) ، وأبو داود (261/4 ، رقم 4843) ، والبيهقى (163/8 ، رقم 16435) . وأخرجه أيضًا : البخارى فى الأدب المفرد (130/1 ، رقم 357) .وحسنه الألباني.
[2] - أخرجه أبو داود (57/2 ، رقم 1398) ، وابن حبان (310/6 ، رقم 2572) ، والبيهقى فى شعب الإيمان (400/2 ، رقم 2194) . وأخرجه أيضًا : ابن خزيمة (181/2 ، رقم 1144) وصححه الألباني
.
[3] - أخرجه الدارمى (524/2 ، رقم 3323) وانظر : تحفة 241 إتحاف 374
[4] -
5 - سنن الدارمي(537/2 رقم 3369) وقال حسين سليم أسد : وهب الذماري ترجمة ابن أبي حاتم وما رأيت فيه جرحا ولا تعديلا ، فهو على شرط ابن حبان
[6] - رواه البخاري في صحيحه(رقم 7286)

وقَالَ : ضَمِنَ اللَّهُ لمن قَرَأَ الْقُرْآنَ أَلاَّ يَضِلَّ فِي الدُّنْيَا وَلا يَشْقَى فِي الآخِرَةِ ثم تلا : {فَمَنَ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَى} [2]
وروى الدارمي باسناده عَنْ أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ قَالَ : اقْرَءُوا الْقُرْآنَ وَلاَ يَغُرَّنَّكُمْ هَذِهِ الْمَصَاحِفُ الْمُعَلَّقَةُ ، فَإِنَّ اللهَ لاَ يُعَذِّبُ قَلْباً وَعَى الْقُرْآنَ"3.
وروى أيضًا عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه كَانَ يَقُولُ :"إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ مَأْدُبَةُ اللَّهِ ، فَمَنْ دَخَلَ فِيهِ فَهُوَ آمِنٌ".وأنه قَالَ :" مَنْ أَحَبَّ الْقُرْآنَ فَلْيُبَشِرْ"4
وعن الحميدي الجمالي قال : سألت سفيان الثوري عن الرجل يغزو أحب إليك أو يقرأ القرآن ؟ فقال يقرأ القرآن لأن النبي صلى الله عليه و سلم قال: "خيركم من تعلم القرآن وعلمه " [5]
وقال الليث: يقال ما الرحمة إلى أحد بأسرع منها إلى مستمع القرآن، لقول الله جل ذكره: { وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ}[الأعراف: 204]6.
والآثار في معنى هذ الباب كثيرة، وفيما ذكرنا كفاية، والله الموفق للهداية.

قال النووي : واعلم أن المذهب الصحيح المختار الذي عليه من يعتمد من العلماء أن قراءة القرآن أفضل من التسبيح والتهليل وغيرها من الأذكار وقد تظاهرت الأدلة على ذلك والله أعلم.أهـ[7]

****

المبحث السادس: في كيفية التلاوة لكتاب الله تعالى، وما يكره منها وما يحرم، واختلاف الناس في ذلك .

---

[1] - أخرجه ابن أبي شيبة(120/6 رقم 29955)(تحقيق الحوت -مكتبة الرشد) وأخرجه الحاكم وصححه ، والبيهقي في شعب الإيمان(400/3 رقم 1871)
[2] - أخرجه ابن أبي شيبة برقم(30576).بعد الخبر السابق مباشرة في طبعة دار القبلة و طبعة الدار السلفية الهندية القديمة.
[3] - حديث أبي أمامة موقوفا: أخرجه الدارمى (524/2 ، رقم 3319) وتمام (261/2 ، رقم 1690) ، و الحكيم الترمذي(253/3) وابن عساكر (7/62) . وأخرجه أيضاً : ابن أبى شيبة (133/6 ، رقم 30079) ، وقوله: "وعى القرآن" : أى حفظه وتدبره وعمل بما فيه.
4 - أخرج الأثران الدارمى (524/2 ، رقم 3321-3322)
[5] - ذكره النووي في كتابه التبيان (ص21)
[6] - ذكره القرطبي في تفسيره(9/1) تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش-الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة
[7] - التبيان في آداب حملة القرآن للإمام النووي (10/1)

روى البخاري عن قَتَادَةُ قَالَ: سُئِلَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ كَيْفَ كَانَتْ قِرَاءَةُ رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم- قَالَ: كَانَتْ مَدًّا ثُمَّ قَرَأَ (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) يَمُدُّ بِـ(بِسْمِ اللَّهِ) وَيَمُدُّ بِـ(الرَّحْمَنِ) وَيَمُدُّ بِـ(الرَّحِيمِ). "[1] .

وروى أبو داود عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ أَنَّهَا ذَكَرَتْ قِرَاءَةَ رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ *الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ* الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ *مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ) يَقْطَعُ قِرَاءَتَهُ آيَةً آيَةً"2.

ومعنى:يقطع قراءته آية آية: أي يقف على كل آية.

وهذاالحديث رواه الترمذي عنها بلفظ:" كَانَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- يُقَطِّعُ قِرَاءَتَهُ، يَقُولُ (الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) ثُمَّ يَقِفُ ،(الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)، ثُمَّ يَقِفُ وَكَانَ يَقْرَؤُهَا (مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ)"[3]

وعن جابر قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: « إِنَّ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ صَوْتًا بِالْقُرْآنِ، الَّذِي إِذَا سَمِعْتُمُوهُ يَقْرَأُ، حَسِبْتُمُوهُ يَخْشَى اللَّهَ» [4] .

ويستحب تحسين الصوت بالقرآن ففي صحيح مسلم وغيره عَنْ أَبِي مُوسَى الأشعري قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- لأَبِي مُوسَى « لَوْ رَأَيْتَنِي وَأَنَا أَسْتَمِعُ لِقِرَاءَتِكَ الْبَارِحَةَ،لَقَدْ أُوتِيتَ مِزْمَارًا مِنْ مَزَامِيرِ آلِ دَاوُدَ »[5].

وروى البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:" لَمْ يَأْذَنْ اللَّهُ لِشَيْءٍ مَا أَذِنَ لِلنَّبِيِّ أَنْ يَتَغَنَّى بِالْقُرْآنِ" وَقَالَ صَاحِبٌ لَهُ: يُرِيدُ يَجْهَرُ بِهِ"[6] ثم أخرجه بعده من طريق سفيان وزاد في آخره: قَالَ سُفْيَانُ: تَفْسِيرُهُ يَسْتَغْنِي بِهِ"[1]

---

[1] - رواه البخاري(5046) وغيره

[2] - رواه أبو داود(4001) وصححه الألباني

[3] -الترمذي(2927)

[4] - رواه ابن ماجة(1339) قال في الزوائد: إسناده ضعيف لضعف إبراهيم بن إسماعيل بن مجمع والراوي عنه .والحديث له شواهد منها ما رواه الطبراني في الأوسط (311/2رقم 2074) عن عبد الله بن عمر.وما رواه أبو نعيم في "الحلية" (3 / 317) عن ابن عباس ،والبزار عن أبي الطفيل.وصححه الألباني.

[5] - مسلم(546/1 رقم 793) والبيهقى (12/3 ، رقم 4484)

شرح الحديث: (أعطي مزمارا من مزامير آل داود) شبه حسن الصوت وحلاوة نغمته بصوت المزمار وداود هو النبي عليه السلام وإليه المنتهى في حسن الصوت بالقراءة ،والآل في قوله آل داود مقحمة، قيل معناه ههنا الشخص كذا في النهاية وقال النووي قال العلماء: المراد بالمزمار هنا الصوت الحسن وأصل الزمر الغناء

وقوله:(لو رأيتني وأنا أستمع) الواو فيه للحال وجواب لو محذوف أي لأعجبك ذلك .

[6] - رواه البخاري(5023) وأخرجه عبد الرزاق (482/2 ، رقم 4167) ، وأحمد (450/2 ، رقم 9804) ،، ومسلم (545/1 ، رقم 792) ، وأبو داود (75/2 ، رقم 1473) ، والنسائى (180/2 ، رقم 1017) ، وابن حبان (30/3 ، رقم 752) . شرح (ما أذن الله لشيء ما أذن لنبي) ما الأولى نافية والثانية مصدرية أي ما استمع لشيء كاستماعه لنبي قال العلماء معنى أذن في اللغة الاستماع ومنه قوله تعالى { وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ }[الانشقاق:2]ولا يجوز أن تحمل هنا على الاستماع بمعنى الإصغاء فإنه يستحيل على الله تعالى بل هو مجاز ومعناه الكناية عن تقريبه القارئ وإجزال ثوابه

وروى ابن أبي شيبة عن عُبَيْدُ اللهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ ، أَنَّ زِيَادًا النُّمَيْرِيَّ جَاءَ مَعَ الْقُرَّاءِ إِلَى أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ فقيل لَهُ : اقْرَأْ ، فَرَفَعَ صَوْتَهُ ، وَكَانَ رَفِيعَ الصَّوْتِ ، فَكَشَفَ أَنَسٌ عَنْ وَجْهِهِ الْخِرْقَةَ ، وَكَانَ عَلَى وَجْهِهِ خِرْقَةٌ سَوْدَاءُ ، فَقَالَ : مَا هَذَا ؟ مَا هَكَذَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ، وَكَانَ إِذَا رَأَى شَيْئًا يُنْكِرُهُ كَشَفَ الْخِرْقَةَ عَنْ وَجْهِهِ" 2.

وعَنْ قَيْسِ بْنِ عُبَادة ، قَالَ : كَانَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَكْرَهُونَ رَفْعَ الصَّوْتِ عِنْدَ الذِّكْرِ" 3.

وروى ابن أبي شيبة عن عِمْرَانُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ طَلْحَةَ ، أَنَّ رَجُلاً قَرَأَ فِي مَسْجِدِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فِي رَمَضَانَ فَطَرَّبَ فَأَنْكَرَ ذَلِكَ الْقَاسِمُ ، وَقَالَ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى : {وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ لاَ يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ}الآية[4].[قصلت:41-42].

وعن سعيد بن المسيب أنه سمع عمر بن عبد العزيز يؤم الناس فطرب في قراءته، فأرسل إليه سعيد يقول: أصلحك الله ! إن الأئمة لا تقرأ هكذا.
فترك عمر التطريب بعد.
قال القرطبي: وممن روى عنه كراهة رفع الصوت عند قراءة القرآن سعيد بن المسيب وسعيد بن جبير والقاسم بن محمد والحسن وابن سيرين والنخعي وغيرهم، وكرهه مالك بن أنس وأحمد بن حنبل، كلهم كره رفع الصوت بالقرآن والتطريب فيه.

وروى عن مالك أنه سئل عن النبر في قراءة القرآن في الصلاة، فأنكر وكرهه كراهة شديدة، وأنكر رفع الصوت به.
وروى ابن القاسم عنه أنه سئل عن الألحان في الصلاة
فقال: لا يعجبني، وقال: إنما هو غناء يتغنون به ليأخذوا عليه الدراهم.

وأجازت طائفة رفع الصوت بالقرآن والتطريب به، وذلك لأنه إذا حسن الصوت به كان أوقع في النفس.وأسمع في القلوب، واحتجوا بقوله عليه السلام: « زَيِّنُوا الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ ». رواه البراء بن عازب[5].أخرجه أبو داود والنسائي.
وبقوله عليه السلام: " لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَتَغَنَّ بِالْقُرْآنِ" [1]أخرجه مسلم.

وقوله (يتغنى بالقرآن) معناه عند الشافعي وأصحابه وأكثر العلماء من الطوائف وأصحاب الفتوى يحسن صوته به وقال الشافعي وموافقوه معناه تحزين القراءة وترقيقها واستدلوا بالحديث الآخر "زينوا القرآن بأصواتكم" قال الهروي معنى يتغنى به يجهر به .

[1] - رواه البخاري(5024)
2 - أخرجه ابن ابي شيبة (119/6 رقم 29950)
3 - أخرجه ابن ابي شيبة (143/6 رقم 30174)
[4] - أخرجه ابن ابي شيبة (119/6 رقم 29948)
[5] - أبو داود(1468) والنسائي(1015) وصححه الألباني

وبقول أبي موسى للنبي صلى الله عليه وسلم: لو أعلم أنك تستمع لقراءتي لحبرته لك تحبيرا.[2]
وبما رواه عبد الله بن مغفل قال: قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفتح في مسير له سورة " الفتح " على راحلته فرجع في قراءته.
وممن ذهب إلى هذا أبو حنيفة وأصحابه والشافعي وابن المبارك والنظر بن شميل، وهو اختيار أبي جعفر الطبري وأبي الحسن بن بطال والقاضي أبي بكر بن العربي وغيرهم.
قلت: القول الأول أصح لما ذكرناه ويأتي.
وأما ما احتجوا به من الحديث الأول فليس على ظاهره وإنما هو من باب المقلوب، أي زينوا أصواتكم بالقرآن.
قال الخطابي: وكذا فسره غير واحد من أئمة الحديث: زينوا أصواتكم بالقرآن، وقالوا هو من باب المقلوب، كما قالوا: عرضت الحوض على الناقة، وإنما هو عرضت الناقة على الحوض.
قال: ورواه معمر عن منصور عن طلحة، فقدم الأصوات على القرآن، وهو صحيح.
قال الخطابي: ورواه طلحة عن عبد الرحمن بن عوسجة عن البراء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « زَيِّنُوا الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ » [3] أي الهجوا بقراءته واشغلوا به أصواتكم.
اتخذوه شعارا وزينة، وقيل: معناه الحض على قراءة القرآن والدءوب عليه.
وقد روى عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " زينوا أصواتكم بالقرآن ".
وروى عن عمر أنه قال: " حسنوا أصواتكم بالقرآن ".
قلت: وإلى هذا المعنى يرجع قوله عيله السلام: " و لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَتَغَنَّ بِالْقُرْآنِ " [4] أي ليس منا من لم يحسن صوته بالقرآن، كذلك تأوله عبد الله بن أبي مليكة.

---

[1] - رواه البخاري(7527)
[2] - رواه البيهقي في السنن الكبرى(12/3) وقدرواه مسلم في الصحيح عن داود بن رشيد الا انه لم يذكر قول ابي موسى واخرجه البخاري مختصرا من حديث بريد بن عبد الله بن ابي بردة عن جده
[3] - حديث البراء : أخرجه الطيالسى (ص 100 ، رقم 738) ، وأحمد (283/4 ، رقم 18517) ، وعبد الرزاق (484/2 ، رقم 4175) ، وابن أبى شيبة (257/2 ، رقم 8737) ، والدارمى (565/2 ، رقم 3500) ، وأبو داود (74/2 ، رقم 1468) ، والنسائى (179/2 ، رقم 1015) ، وابن ماجه (426/1 ، رقم 1342) ، وأبو يعلى (245/3 ، رقم 1686) ، وابن خزيمة (26/3 ، رقم 1556) ، وابن حبان (25/3 ، رقم 749) ، والروياني (242/1 ، رقم 353) ، والحاكم (761/1 ، رقم 2098) ، والبيهقى (53/2 ، رقم 2254) . وأخرجه أيضًا : البغوى فى الجعديات (307/1 ، رقم 2077) والحديث صححه الألباني.
وحديث ابن عباس : أخرجه أيضًا : ابن عدى (209/4 ، ترجمة 1016 عبد الله بن خراش بن حوشب)
.
[4] - وهو مروي عن جمع من الصحابة: حديث أبى هريرة : أخرجه البخارى (7527)، والخطيب (395/1) ، والبيهقى (229/10 ، رقم 20835) ، وابن عساكر (242/51) .

قال عبد الجبار ابن الورد: سمعت ابن أبي مليكة يقول: قال عبد الله بن أبي يزيد: مر بنا أبو لبابة فاتبعناه حتى دخل بيته، فإذا رجل رث الهيئة، فسمعته يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول، " ليس منا من لم يتغن بالقرآن ". قال فقلت لابن أبي مليكة: يا أبا محمد، أرأيت إذا لم يكن حسن الصوت ؟ قال: يحسنه ما استطاع.ذكره أبو داود، وإليه يرجع أيضا قول أبي موسى للنبي صلى الله عليه وسلم: إني لو علمت أنك تستمع لقراءتي لحسنت صوتي بالقرآن، وزينته ورتلته.

وهذا يدل على أنه كان يهذ [1] في قراءته مع حسن الصوت الذي جبل عليه.

والتحبير: التزيين والتحسين، فلو علم أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يسمعه لمد في قراءته ورتلها، كما كان يقرأ على النبي صلى الله عليه وسلم، فيكون ذلك زيادة في حسن صوته بالقراءة.

ومعاذ الله أن يتأول على رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقول: إن القرآن يزين بالأصوات أو بغيرها، فمن تأول هذا فقد واقع أمرا عظيما أن يحوج القرآن إلى من يزينه، وهو النور والضياء والزين الأعلى لمن ألبس بهجته واستنار بضيائه.

وقد قيل: إن الأمر بالتزيين اكتساب القراءات وتزيينها بأصواتنا وتقدير ذلك، أي زينو القراءة بأصواتكم، فيكون القرآن بمعنى القراءة، كما قال تعالى :{ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ} [آية 78 سورة الإسراء.] أي قراءة الفجر، وقوله: {فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ} [آية 18 سورة القيامة]. أي قراءته.

وكما جاء في صحيح مسلم عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ قَالَ:" إِنَّ فِي الْبَحْرِ شَيَاطِينَ مَسْجُونَةً أَوْثَقَهَا سُلَيْمَانُ يُوشِكُ أَنْ تَخْرُجَ فَتَقْرَأَ عَلَى النَّاسِ قُرْآنًا"[2]. أي قراءة.

وقال الشاعر [3] في عثمان رضى الله عنه:

حديث سعد بن أبى وقاص : أخرجه عبد الرزاق (483/2 ، رقم 4170) ، وابن أبى شيبة (119/6 ، رقم 29942) ، والطيالسى (28/1 ، رقم 201) ، وأحمد (179/1 ، رقم 1549) ، والدارمى (417/1 ، رقم 1490) ، وأبو داود (74/2 ، رقم 1469 ، 1470) ، وابن حبان (326/1 ، رقم 120) ، والحاكم (758/1 ، رقم 2091) وقال صحيح الإسناد ، والبيهقى (230/10 ، رقم 20836) ، والضياء (173/3 ، رقم 971) .

حديث أبى لبابة بن عبد المنذر : أخرجه أبو داود (74/2 ، رقم 1471) ، وابن قانع (97/1) ، والطبرانى (34/5 ، رقم 4514) ، والبيهقى (54/2 ، رقم 2257) .

حديث ابن عباس : أخرجه الطبرانى (121/11 ، رقم 11239) ، والحاكم (760/1 ، رقم 2095) .

وأخرجه أيضًا : القضاعى (208/2 ، رقم 1199) . قال الهيثمى (170/7) : رواه البزار ، والطبرانى ، ورجال البزار رجال الصحيح .

حديث ابن الزبير : أخرجه أيضًا : البزار (148/6 ، رقم 2192) . قال الهيثمى (170/7) : فيه محمد بن ماهان قال الدارقطنى : ليس بالقوى ، وبقية رجاله ثقات .

حديث عائشة : أخرجه الحاكم (760/1 ، بعد رقم 2095)

[1] ـ الهذ والهذذ: سزعة القطع وسرعة القراءة.

[2] ـ رواه مسلم في مقدمة صحيحه(12/1 رقم7)

[3] ـ هو حسان بن ثابت رضى الله عنه.

ضحوا بأشمط [1] عنوان السجود به ** يقطع الليل تسبيحا وقرآنا
أي قراءة.. فيكون معناه على هذا التأويل صحيحا إلا أن يخرج القراءة التي هي التلاوة عن حدها - على ما نبينه - فيمتنع.
وقد قيل: إن معنى يتغنى به، يستغنى به من الاستغناء الذي هو ضد الافتقار، لا من الغناء، يقال: تغنيت وتغانيت بنعنى استغنيت.
وفي الصحاح: تغنى الرجل بمعنى استغنى، واغناه الله.
وتغانوا أي استغنى بعضهم عن بعض.
قال المغيرة بن حبناء التميمي: كلانا غنى عن أخيه حياته * ونحن إذا متنا أشد تغانيا وإلى هذا التأويل ذهب سفيان بن عيينة ووكيع بن الجراح، ورواه سفيان عن سعد بن أبى وقاص.
وقد روى عن سفيان أيضا وجه آخر ذكره إسحاق بن راهويه، أي يستغني به عما سواه من الاحاديث.
والى هذا التأويل ذهب البخاري محمد بن إسماعيل لإتباعه الترجمة بقوله تعالى { أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ **}** [آية 51 سورة العنكبوت]. **.**
والمراد الاسستغناء بالقرآن عن علم أخبار الأمم، قاله أهل التأويل.
وقيل: إن معنى يتغنى به، يتحزن به، أي يظهر على قارئه الحزن الذي هو ضد السرور عند قراءته وتلاوته، وليس من الغنية، لأنه لو كان من الغنية لقال: يتغانى به، ولم يقل يتغنى به ذهب إلى هذا جماعة من العلماء: منهم الإمام أبو محمد ابن حبان البستي، واحتجوا بما رواه مطرف بن عبد الله بن الشخير عن أبيه قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى ولصدره أزيز كأزيز المرجل من البكاء.
الأزيز (بزايين): صوت الرعد وغليان القدر.
قالوا: ففي هذا الخبر بيان واضح على أن المراد بالحديث التحزن، وعضدوا هذا أيضا بما رواه الأئمة عن عبد الله قال قال النبي صلى الله عليه وسلم: " اقرأ على "

فقرأتُ عليه سورة " النساء " حتى إذا بلغتُ {فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا **}**[آية 41 سورة النساء]**.فنظرتُ إليه فإذا عيناه تدمعان "[2].**

فهذه أربع تأويلات، ليس فيها ما يدل على القراءة بالألحان والترجيع فيها.
وقال أبو سعيد بن الأعرابي في قوله صلى الله عليه وسلم: " ليس منا من لم يتغن بالقرآن " قال: كانت العرب تولع بالغناء والنشيد في أكثر أقوالها، فلما نزل القرآن

---

[1] - الشمط بالتحريك: بياض شعر الرأس يخالطه سواده. وقيل: الشمط في الرجل شيب اللحية.
[2] - رواه مسلم(800) وأبو داود(3668) والترمذي(3024)والنسائي في الكبرى(8075) وغيرهم.

أحبوا أن يكون القرآن هجيراهم[1] مكان الغناء، فقلا: " ليس منا من لم يتغن بالقرآن ".
التأويل الخامس - ما تأوله من استدل به على الترجيع والتطريب، فذكر عمر بن شبة قال: ذكرت لأبي عاصم النبيل تأول ابن عيينة في قوله: " يتغن " يستغنى، فقال: لم يضع ابن عيينة شيئا.

وسئل الشافعي عن تأويل ابن عيينة فقال: نحن أعلم بهذا، ولو أراد النبي صلى الله عليه وسلم الاستغناء لقال: من لم يستغن، ولكن قال " يتغن " علمنا أنه أراد التغني.
قال الطبري: المعروف عندنا في كلام العرب أن التغني إنما هو الغناء الذي هو حسن الصوت بالترجيع.
وقال الشاعر:
تغن بالشعر مهما كنت قائله ** إن الغناء بهذا الشعر مضمار
قال: وأما ادعاء الزاعم أن تغنيت بمعنى استغنيت فليس في كلام العرب وأشعارها، ولا نعلم أحد من أهل العلم قاله، وأما احتجاجه بقول الاعشى:
وكنت امرأ زمنا بالعراق * عفيف المناخ طويل التغن
وزعم أنه أراد الاستغناء فإنه غلط منه، وإنما عنى الأعشى في هذا الموضع الإقامة، من قول العرب: غني فلان بمكان كذا أي أقام، ومنه قوله تعالى: {كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا } [آية 92 سورة الأعراف]
**وأما استشهاده بقوله: * ونحن إذا متنا أشد تغانيا *
فإنه إغفال منه، وذلك أن التغاني تفاعل من نفسين إذا استغنى كل واحد منهما عن صاحبه، كما يقال: تضارب الرجلان، إذا ضرب كل واحد منهما صاحبه.**
ومن قال هذا في فعل الاثنين لم يجز أن يقول مثله في الواحد، فغير جائز أن يقال: تغانى زيد وتضارب عمرو، وكذلك غير جائز أن يقال: تغنى بمعنى استغنى.
قلت: ما ادعاه الطبري من أنه لم يرد في كلام العرب تغنى بمعنى استغنى، فقد ذكره الجوهري كما ذكرنا، وذكره الهروي أيضا.
وأما قوله: إن صيغة فاعل إنما تكون من اثنين فقد جاءت من واحد في مواضيع كثيرة، منها قول ابن عمر: وأنا يومئذ قد ناهزت الاحتلام.
وتقول العرب: طارقت النعل وعاقبت اللص وداويت العليل، وهو كثير، فيكون تغاني منها.
وإذا احتمل قوله عليه الصلاة والسلام: " يتغن " الغناء والاستغناء فليس حمله على أحدهما بأولى من الآخر، بل حمله على الاستغناء أولى لو لم يكن لنا تأويل غيره، لأنه مروي عن صحابي كبير كما ذكر سفيان.

[1] - هجيراهم: دأبهم وعادتهم

وقد قال ابن وهب في حق سفيان: ما رأيت أعلم بتأويل الأحاديث من سفيان بن عيينة، ومعلوم أنه رأى الشافعي وعاصره.
وتأويل سادس - وهو ما جاء من الزيادة في صحيح مسلم عن أبي هريرة حسن الصوت يتغنى بالقرآن يجهر به ".
قال الطبري ولو كان كما قال ابن عيينة لم يكن لذكر حسن الصوت والجهر به معنى.
قلنا قوله: " يجهر به " لا يخلو أن يكون من قول النبي صلى الله عليه وسلم، أو من قول أبي هريرة أو غيره، فإن كان الأول وفيه بعد، فهو دليل على عدم التطريب والترجيع، لأنه لم يقل: يطرب به، وإنما قال: يجهر به: أي يسمع نفسه ومن يليه، بدليل قوله عليه السلام للذي سمعه وقد رفع صوته بالتهليل: "أَيُّهَا النَّاسُ ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ فَإِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا... الحديث "[1] ، وسيأتي.
وكذلك إن كان من صحابي أو غيره
فلا حجة فيه على ما راموه، وقد اختار هذا التأويل بعض علمائنا فقال: وهذا أشبه، لأن العرب تسمي كل من رفع صوته ووالى به غانبا، وفعله ذلك غناء وإن لم يلحنه بتلحين الغناء.
قال: وعلى هذا فسره الصحابي، وهو أعلم بالمقال وأقعد بالحال.
وقد احتج أبو الحسن لمذهب الشافعي فقال: وقد رفع الإشكال في هذه المسألة ما رواه ابن أبي شيبة قال حدثنا زيد بن الحباب قال حدثنا موسى بن علي بن رباح عن أبيه عن عقبة بن عامر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " تعلموا القرآن وغنوا به واكتبوه فو الذي نفسي بيده لهو أشد تفصيًا من المخاض من العقل "[2].
قال علمائنا: وهذا الحديث وإن صح سنده فيرده ما يعلم على القطع والبتات من أقراءة القرآن بلغتنا متواترة عن كافة المشايخ، جيلا فجيلا إلى العصر الكريم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس فيها تلحين ولاتطريب، مع كثرة المتعمقين في مخارج الحروف وفي المد والإدغام والإظهار وغير ذلك من كيفية القراءات.

---

[1] - أخرجه البخارى (6610) ، ومسلم (2076/4 ، رقم 2704) ، وأبو داود (87/2 ، رقم 1526) . وأخرجه أيضًا : أحمد (394/4 ، رقم 19538) ، والنسائى فى الكبرى (398/4 ، رقم 7679) ، وأبو يعلى (231/13 ، رقم 7252) ، وابن أبى عاصم (274/1 ، رقم 618) . قوله: " اربعوا " أي كفوا وارفقوا

[2] - أخرجه ابن أبى شيبة (123/6 ، رقم 29991) ومن طريقه أخرجه ابن حبان(325/1 رقم 119) وقال شعيب الأرنؤوط : إسناده صحيح على شرط مسلم. وأخرجه أحمد (146/4 ، رقم 17355) ، قال الهيثمى (169/7) : رجاله رجال الصحيح . والطبرانى (290/17 ، رقم 800) ، والبيهقى فى شعب الإيمان (335/2 ، رقم 1967)
وشرح كلمات الحديث : "تفصيًا" : التفصى الانفصال والتفلت . والعقال هو الحبل الذى يربط به البعير .

ثم إن في الترجيع والتطريب همز ما ليس بمهموز ومد ما ليس بممدود، فترجيع الألف الواحدة ألفات والواو الواحدة واوات والشبهه[1] الواحدة شبهات، فيؤدي ذلك إلى زيادة في القرآن وذلك ممنوع، وإن وافق ذلك موضع نبر وهمز صيروها نبرات وهمزات، والنبرة حيثما وقعت من الحروف فإنما هي همزة واحدة لاغير، إما ممدودة وإما مقصورة.

فإن قيل: فقد روى عبد الله بن مغفل قال: قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسير له سُورَةَ الْفَتْحِ عَلَى رَاحِلَتِهِ فَرَجَّعَ فِى قِرَاءَتِهِ "[2]، وذكره البخاري وقال في صفة الترجيع: آء آءَ آء، ثلاث مرات.

قلنا: ذلك محمول على إشباع المد في موضعه، ويحتمل أن يكون صوته عند هز الراحلة، كما يعتري رافع صوته إذا كان راكبا من اضغاط صوته وتقطيعه لأجل هز المركوب، وإذا احتمل هذا فلاحجة فيه.

وقد خرج أبو محمد عبد الغني بن سعيد الحافظ من حديث قتادة عبد الرحمن بن أبي بكر عن أبيه قال: كانت قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم المد، ليس فيها ترجيع "[3] وروى ابن جريح عن عطاء عن ابن عباس قال: كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم مؤذن يطرب، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إن الأذان سهل سمح، فإن كان أذانك سهلاً سمحًا وإلا فلا تؤذن "[4].

أخرجه الدارقطني في سننه فإذا كان النبي صلى الله عليه وسلم قد منع ذلك في الأذان فأحرى ألا يجوزه في القرآن الذي حفظه الرحمن، فقال وقوله الحق: { إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ } [الحجر:9].

وقال تعالى: { لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ} [فصلت:42]

قلت: وهذا الخلاف إنما هو ما لم يفهم معنى القرآن بترديد الأصوات وكثرة الترجيعات، فإن زاد الأمر على ذلك لا يفهم معناه فذلك حرام باتفاق، كما يفعل

---

[1] - ذكر في باب (ذكر معنى الصورة والآية) الخ: أن الشبهات هي الحروف، ولم أر هذا التعبير لغيره.

[2] - رواه مسلم(1/ 547 رقم 794) وقوله (فرجع في قراءته) ذكر النووي في شرحه على مسلم ما حاصله:قال القاضي أجمع العلماء على استحباب تحسين الصوت بالقراءة وترتيلها، قال أبو عبيد :والأحاديث الواردة في ذلك محمولة على التحزين والتشويق، قال: واختلفوا في القراءة بالألحان فكرهها مالك والجمهور لخروجها عما جاء القرآن له من الخشوع والتفهم وأباحهم أبو حنيفة وجماعة من السلف والترجيع ترديد الصوت في الحلق وقد حكى عبدالله بن مغفل ترجيعه عليه السلام بمد الصوت في القراءة نحو آ آ آ قال ابن الأثير وهذا إنما حصل منه والله أعلم يوم الفتح لأنه كان راكبا فحدث الترجيع في صوته .

[3] - وذكره الهيثمي في المجمع (برقم 3604) وقال: رواه الطبراني في الكبير وفيه عمرو بن وجيه وهو ضعيف.أهـ وذكر الألباني أنه موضوع أنظر حديث رقم (4476)في ضعيف الجامع

[4] - أخرجه الدارقطنى (86/2) . وأخرجه أيضًا : ابن حبان فى الضعفاء (137/1 ترجمة 60 إسحاق بن أبى يحيى الكعبى) وقال : ليس لهذا الحديث أصل من حديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - .وذكره الألباني في السلسلة الضعيفة(2184) وقال: هذا إسناد ضعيف جدا

القراء بالديار المصرية الذين يقرءون أمام الملوك والجنائز، ويأخذون على ذلك الأجور والجوائز، ضل سعيهم، وخاب عملهم، فسيحتلون بذلك تغيير كتاب الله، ويهونون على أنفسهم الاجتراء على الله بأن يزيدوا في تنزيله ما ليس فيه، جهلا بدينهم، ومروقا عن سنة نبيهم، ورفضا لسير الصالحين فيه من سلفهم، ونزوعا إلى ما يزين لهم الشيطان من أعمالهم، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا، فهم في غيهم يترددون، وبكتاب الله يتلاعبون، فإنا لله وإنا إليه راجعون ! لكن أخبر الصادق أن ذلك يكون، فكان كما أخبر صلى الله عليه وسلم.

ذكر الامام الحافظ أبو الحسين رزين وأبو عبد الله الترمذي الحكيم في " نوادر الأصول " من حديث حذيفة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:"

اقرءوا القُرآنَ بِلُحُونِ العَرَبِ وأصواتِها ، وإيَّاكم ولُحون أَهْلِ العِشْق ، ولُحُون أهْلِ الكتابيْنِ ، وسيجيءُ بعدي قَوَمٌ يُرَجِّعُونَ بالقرآن تَرْجِيعَ الغِناءِ والنَّوْح ، لا يَجَاوِزُ حَناجِرَهم ، مَفْتُونَةٌ قُلُوبُ الدين يُعْجِبُهُمْ شَأْنُهُمْ"[1].

اللحون: جمع لحن، وهو التطريب وترجيع الصوت وتحسينه بالقراءة والشعر والغناء.

قال علمائنا: ويشبه أن يكون هذا الذي يفعله قراء زماننا بين يدي الوعاظ وفي المجالس من اللحون الأعجمية التي يقرءون بها، ما نهى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم.

والترجيع في القراءة: ترديد الحرف كقراءة النصارى.

والترتيل في القراءة هو التأني فيها والتمهل وتبيين الحروف والحركات تشبيها بالثغر المرتل، وهو المشبه بنور الاقحوان، وهو المطلوب في قراءة القرآن، قال الله تعالى: { وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا} [الزمر:4] .

وسئلت أم سلمة عن قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلاته، فقالت: مَا لَكُمْ وَصَلَاتَهُ ؟كَانَ يُصَلِّي ،ثُمَّ يَنَامُ قَدْرَ مَا صَلَّى، ثُمَّ يُصَلِّي قَدْرَ مَا نَامَ، ثُمَّ يَنَامُ قَدْرَ مَا صَلَّى حَتَّى يُصْبِحَ، ثُمَّ نَعَتَتْ لَهُ قِرَاءَتَهُ، فَإِذَا هِيَ تَنْعَتُ قِرَاءَةً مُفَسَّرَةً حَرْفًا حَرْفًا"[2] أخرجه النسائي وأبو داود والترمذي وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب.أهـ[3]

---

[1] - وأخرجه أيضاً : الطبرانى فى الأوسط (183/7 ، رقم 7223) ، قال الهيثمى (169/7) : فيه راو لم يسم ، وبقية [يعنى بن الوليد أحد الضعفاء المدلسين] أيضاً . وأخرجه ابن عدى (78/2 ترجمة 302 بقية بن الوليد) ، والبيهقى فى شعب الإيمان (540/2 ، رقم 2649) . وقال ابن الجوزى فى العلل المتناهية (118/1) : لا يصح وأبو محمد مجهول وبقية يروى عن حديث الضعفاء ويدلسهم . وقال الذهبى فى الميزان (313/2) والحافظ فى اللسان (319/2) : تفرد به بقية ليس بمعتمد ، والخبر منكر

[2] - رواه الترمذي(2923) وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب.وأخرجه النسائي(1629) وابن خزيمة(1158) والحاكم (1165) وقال : صحيح على شرط مسلم

[3] - تفسير القرطبي(1/ 10 -17) بتصرف يسير

➢ **الوقف والابتداء :**

ينبغي لقاريء القرآن أن يراعي عند قراءته متى يقف ومن أين يبدأ حتى لا يختل معنى الآيات التي يتلوها وليفهم المراد منها على أحسن وجه.

وينقسم الوقف والابتداء عند أكثر القراء إلى أربعة أقسام :
(1) تام مختار. (2) كافٍ جائز.
(3) حسن مفهوم. (4) قبيح متروك
وقسمه بعضهم إلى ثلاثة، وأسقط الحسن، وقسمه آخرون إلى اثنين وأسقط الكافى والحسن.
1- فالتام: هو الذى لا يتعلق بشيء مما بعده، فيحسن الوقف عليه والابتداء بما بعده، كقوله تعالى: {وَأُولئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}[البقرة: 5]، وأكثر ما يوجد عند رءوس الآى، كقوله تعالى: { وَأُولئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} ثم يبتدئ بقوله: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا} [البقرة: 6].
وقد يوجد قبل انقضاء الفاصلة، كقوله تعالى: {وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِها أَذِلَّةً} [النمل: 34]، فهنا التمام، لأنه انقضى كلام بلقيس، ثم قال تعالى: { وَكَذلِكَ يَفْعَلُونَ } [النمل: 34]، وهو رأس الآية.
وقد يوجد بعدها، كقوله تعالى: { مُصْبِحِينَ وَبِاللَّيْلِ } [الصافات: 137، 138]، {مُصْبِحِينَ} رأس الآية، {وبِاللَّيْلِ} التمام، لأنه معطوف على المعنى، أى: والصبح وبالليل.
وآخر كل قصة، وما قبل أولها تام، وآخر كل سورة تام، والأحزاب والأنصاف والأرباع والأثمان والأسباع والأتساع والأعشار والأخماس، وقبل ياء النداء، وفعل الأمر، والقسم، ولامه دون القول: و (الله) بعد رأس كل آية، والشرط ما لم يتقدم جوابه، و (كان الله) و (ما كان) و (ذلك) و (لولا) ، غالبهن تام، ما لم يتقدمهن قسم، أو قول، أو ما فى معناه.
2- والكافى: منقطع فى اللفظ متعلق فى المعنى، فيحسن الوقف عليه والابتداء أيضا بما بعده، نحو: {حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهاتُكُمْ} [النساء: 23]، هنا الوقف، ثم يبتدئ بما بعد ذلك.
وهكذا باقى المعطوفات، وكل رأس آية بعدها (لام كى) ، و (إلا) بمعنى (لكن) ، و (إن) المكسورة المشددة، والاستفهام، و (بل) ، و (ألا) المخففة، و (السين) ، و (سوف) على التهدد، (نعم) ، و (بئس) ، و (كيلا) . وغالبهن كاف، ما لم يتقدمهن قول أو قسم.
وقيل: «أن» المفتوحة المخففة فى خمسة لا غير:{ وَأَنْ تَصُومُوا} [البقرة: 184]، {وَأَنْ تَعْفُوا} [البقرة: 237]، {وَأَنْ تَصَدَّقُوا} [البقرة: 280]، {وَأَنْ تَصْبِرُوا} النساء: 25، {وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ} [النور: 60].

3- والحسن: هو الذى يحسن الوقوف عليه، ولا يحسن الابتداء بما بعده، لتعلقه به فى اللفظ والمعنى، نحو: الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ الحمد: 2، والرَّحْمنِ الرَّحِيمِ الحمد: 3، والوقف عليه حسن، لأن المراد مفهوم، والابتداء بقوله: رَبِّ الْعالَمِينَ، والرَّحْمنِ الرَّحِيمِ، ومالِكِ يَوْمِ الدِّينِ لا يحسن، لأن ذلك مجرور، والابتداء بالمجرور قبيح، لأنه تابع.
4- والقبيح: هو الذى لا يفهم منه المراد، نحو (الحمد) فلا يوقف عليه، ولا على الموصوف دون الصفة، ولا على البدل دون المبدل منه، ولا على المعطوف عليه دون المعطوف، ولا على المجرور دون الجار، ولا على النفى دون جرف الإيجاب.
وقيل: إن تعلقت الآية بما قبلها متعلقا لفظيّا كان الوقف كافيا، نحو: {اهْدِنَا الصِّراطَ الْمُسْتَقِيمَ. صِراطَ الَّذِينَ ...}[الفاتحة 6، 7]، وإن كان معنويّا فالوقف على ما قبلها حسن كاف، نحو: {الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ} [الفاتحة: 2]، وإن لم يكن لا لفظيّا ولا معنويّا فتام، كقوله تعالى: {وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ}[البقرة 274]، وبعده {الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبا} [البقرة: 275].[1]

****

المبحث السابع : تحذير أهل القرآن والعِلم من الرياء وغيره

قال الله تعالى:{ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا } [النساء:36]

وقال الله تعالى:{ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ } [البينة:5] أي الملة المستقيمة.

وقال تعالى { مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ } [الشورى:20] وقال تعالى { مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ } [الإسراء:18]

وفي الصحيحين وغيرهما عن عمر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال :" إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى" [2]

---

[1] - الموسوعة القرآنية (3/189-191)

[2] - أخرجه مالك فى رواية محمد بن الحسن (ص 338 ، رقم 983 طبعة دار ابن خلدون) ، وأحمد (25/1 ، رقم 168) ، والبخارى (3/1 ، رقم 1) ، ومسلم (1515/3 ، رقم 1907) ، والترمذى (179/4 ، رقم 1647) ، وأبو داود (262/2 ، رقم 2201) ، والنسائى (158/6 ، رقم 3437) ، وابن ماجه (1413/2 ، رقم 4227) . وأخرجه أيضاً : ابن المبارك (62/1 ، رقم 188) ، والحميدى (16/1 ، رقم 28) ، وابن حبان (113/2، رقم 388) والبيهقى (41/1 ، رقم 181) ، والطحاوى (96/3) ،

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم:" مَنْ تَعَلَّمَ عِلْمًا يَبْتَغِي بِهِ وَجْهَ اللَّهِ ، لا يَتَعَلَّمُهُ إِلا لَيُصِيبَ بِهِ عَرَضًا مِنَ الدُّنْيَا ، لَمْ يَجِدْ عَرْفَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ" 1.

ومثله أحاديث كثيرة وعن كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- يَقُولُ « مَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ لِيُجَارِىَ بِهِ الْعُلَمَاءَ أَوْ لِيُمَارِىَ بِهِ السُّفَهَاءَ أَوْ يَصْرِفَ بِهِ وُجُوهَ النَّاسِ إِلَيْهِ أَدْخَلَهُ اللَّهُ النَّارَ ». 2 ونحوه عن أنس و حذيفة وابن عمر وأم سلمة.

وروى مسلم عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ فَأُتِىَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا قَالَ فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا، قَالَ قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتُشْهِدْتُ. قَالَ كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لأَنْ يُقَالَ جَرِىءٌ. فَقَدْ قِيلَ.ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِىَ فِى النَّارِ.

وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ فَأُتِىَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا قَالَ فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا قَالَ تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ. قَالَ كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ عَالِمٌ. وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ هُوَ قَارِئٌ. فَقَدْ قِيلَ ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِىَ فِى النَّارِ.

وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ فَأُتِىَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا قَالَ فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا قَالَ مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلاَّ أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ

والطبرانى فى الأوسط (17/1 ، رقم 40) ، والخطيب (244/4) ، وابن عساكر (166/32) ، وابن منده فى الإيمان (363/1 ، رقم 201) ، وتمام فى الفوائد (205/1 ، رقم 483) ، ، وابن خزيمة (73/1، رقم 142) ، والدارقطنى (50/1) ، وأبو عوانة (487/4، رقم 7438) ، والبزار (380/1، رقم 257) ،

[1] ـ أخرجه أحمد (338/2 ، رقم 8438) ، وأبو داود (323/3 ، رقم 3664) ، وابن ماجه (92/1 ، رقم 252) ، والحاكم (60/1 ، رقم 288) وقال : صحيح سنده ثقات رواته على شرط الشيخين . والبيهقى فى شعب الإيمان (282/2 ، رقم 1770) . وأخرجه أيضًا : ابن أبى شيبة (285/5 ، رقم 26127) وأبو يعلى(6373) وقال محققه:اسناده حسن ، والخطيب (346/5) .وصححه الألباني وقوله في الحديث : "عرف الجنة" : أي ريحها .

[2] ـ حديث كعب أخرجه الترمذى (32/5 ، رقم 2654) وقال : غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه وإسحاق بن يحيى ليس بذاك القوى عندهم تكلم فيه من قبل حفظه . وأخرجه أيضًا : ابن أبى الدنيا فى الصمت (ص 106 ، رقم 141) ، والطبرانى (100/19 ، رقم 199) .وحسنه الألباني.

حديث ابن عمر : أخرجه ابن ماجه (93/1 ، رقم 253) قال البوصيرى (37/1) : هذا إسناد ضعيف .وحسنه الألباني.

حديث حذيفة : أخرجه ابن قانع (191/1) ، والخطيب (446/9)

حديث أنس أخرجه الطبرانى فى الأوسط (32/6 ، رقم 5708) ، قال الهيثمى (184/1) : فيه سليمان بن زياد الواسطى قال الطبرانى والبزار تفرد به سليمان ، زاد الطبرانى : ولم يتابع عليه وقال صاحب الميزان : لا ندرى من ذا . وأخرجه الضياء (72/7 ، رقم 2480) .و أبو نعيم فى المعرفة ، وابن عساكر (315/22) .

قَالَ كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ هُوَ جَوَادٌ. فَقَدْ قِيلَ ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ ثُمَّ أُلْقِيَ فِى النَّارِ » "[1].
قال ابن عبد البر: وَهَذَا الْحَدِيثُ فِيمَنْ لَمْ يُرِدْ بِعَمَلِهِ وَعِلْمِهِ وَجْهَ اللَّهِ تَعَالَى. [2]

فالذي يلزم حامل القرآن من التحفظ أكثر مما يلزم غيره، كما أن له من الأجر ما ليس لغيره.

في صحيح مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم- « قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ مَنْ عَمِلَ عَمَلاً أَشْرَكَ فِيهِ مَعِى غَيْرِى تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ »[3]

قَالَ عَبْدُ اللهِ بن مسعود : كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا لَبِسَتْكُمْ الفِتْنَةُ يَرْبُو فِيهَا الصَّغِيرُ ، وَيَهْرَمُ فِيهَا الْكَبِيرُ ، وَيَتَّخِذُهَا النَّاسُ سُنَّةً ، فَإِنْ غُيِّرَ مِنْهَا شَيْءٌ قِيلَ : غُيِّرَتِ السُّنَّةُ ، قَالُوا : مَتَى يَكُونُ ذَلِكَ يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ ؟ قَالَ : إِذَا كَثُرَتْ قُرَّاؤُكُمْ وَقَلَّتْ أُمَنَاؤُكُمْ ، وَكَثُرَتْ أُمَرَاؤُكُمْ ، وَقَلَّتْ فُقَهَاؤُكُمْ ، وَالْتُمِسَتِ الدُّنْيَا بِعَمَلِ الآخِرَةِ[4]."."
وروى عن أبي جعفر محمد بن علي في قول الله تعالى:{ فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ}[سورة الشعراء: آية 94].قال: قوم وصفوا الحق والعدل بألسنتهم، وخالفوه إلى غيره [5] .
روى الدارمي عن عَلِيٍّ بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قَالَ : يَا حَمَلَةَ الْعِلْمِ اعْمَلُوا بِهِ ، فَإِنَّمَا الْعَالِمُ مَنْ عَمِلَ بِمَا عَلِمَ وَوَافَقَ عِلْمُهُ عَمَلَهُ ، وَسَيَكُونُ أَقْوَامٌ يَحْمِلُونَ الْعِلْمَ لاَ يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ ، يُخَالِفُ عَمَلُهُمْ عِلْمَهُمْ ، وَتُخَالِفُ سَرِيرَتُهُمْ عَلاَنِيَتَهُمْ ، يَجْلِسُونَ حِلَقاً فَيُبَاهِى بَعْضُهُمْ بَعْضاً حَتَّى إِنَّ الرَّجُلَ لَيَغْضَبُ عَلَى جَلِيسِهِ أَنْ يَجْلِسَ إِلَى غَيْرِهِ وَيَدَعَهُ ، أُولَئِكَ لاَ تَصْعَدُ أَعْمَالُهُمْ فِى مَجَالِسِهِمْ تِلْكَ إِلَى اللَّهِ"[6] .

---

[1] - أخرجه أحمد (321/2 ، رقم 8260) ، ومسلم (1513/3 ، رقم 1905) ، والنسائى (23/6 ، رقم 3137) .
[2] - تفسير القرطبي (18/1)
[3] - أخرجه مسلم (2289/4 ، رقم 2985) ، وابن ماجه (1405/2 ، رقم 4202) .
[4] - أخرجه عبد الرزاق (359/11رقم 20742) وابن أبى شيبة (452/7 ، رقم 37156)و أبو نعيم (136/1) وقال : كذا رواه محمد بن بنهان مرفوعًا والمشهور من قول عبد الله موقوف . أخرجه أيضًا :الشاشى (90/2 ، رقم 613) ، والبيهقى فى شعب الإيمان (361/5 ، رقم 6951) والحاكم (560/4 رقم 8570) وقال: الذهبي: على شرط البخاري ومسلم
5 - ذكره القرطبي في التفسير(20/1).. وقال الطبري: وقوله:(فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ) يقول: فرمي ببعضهم في الجحيم على بعض، وطرح بعضهم على بعض منكبين على وجوههم. وأصل كبكبوا: كببوا، ولكن الكاف كرّرت كما قيل:(بِرِيحٍ صَرْصَرٍ) يعني به صرّأهزتفسير الطبري(367/19)تحقيق أحمد شاكر.ط:الرسالة

[6] - سنن الدارمي(118/1 رقم 382) وقال حسين سليم أسد عن بعض رواته: بشر بن سلم منكر الحديث، وثوير بن أبي فاخته ضعيف، ويحيى بن جعدة ما عرفنا له رواية عن علي فيما نعلم

وقد صح عن الإمام الشافعي رضي الله عنه أنه قال : وددت أن الخلق تعلموا هذا العلم -يعني عِلمه وكتبه- وأن لا ينسب إليَّ حرف منه

** ما ينبغي لصاحب القرآن أن يأخذ نفسه به ولا يغفل عنه:

فأول ذلك أن يخلص في طلبه لله عزوجل كما ذكرنا، وأن يأخذ نفسه بقراءة القرآن في ليله ونهاره، في الصلاة أو في غير الصلاة لئلا ينساه.

وفي الصحيح عَنِ ابْنِ عُمَرَ - رضى الله عنهما - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - قَالَ « إِنَّمَا مَثَلُ صَاحِبِ الْقُرْآنِ كَمَثَلِ صَاحِبِ الإِبِلِ الْمُعَقَّلَةِ إِنْ عَاهَدَ عَلَيْهَا أَمْسَكَهَا وَإِنْ أَطْلَقَهَا ذَهَبَتْ »[1]

وإذا قام صاحب القرآن فقرأه بالليل والنهار ذكره وإذا لم يقم به نسيه.

وينبغي له أن يكون لله حامدا، ولنعمه شاكرا، وله ذاكرا، وعليه متوكلا، وبه مستعينا وإليه راغبا، وبه معتصما، وللموت مستعدا.

وينبغي له أن يكون خائفا من ذنبه، راجيا عفو ربه، ويكون الخوف في صحته أغلب عليه، إذا لا يعلم بما يختم له، ويكون الرجاء عند حضور أجله أقوى في نفسه، لحسن الظن بالله، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لَا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يُحْسِنُ بِاللَّهِ الظَّنَّ "[2].أي أنه يرحمه ويغفر له.

وينبغي له أن يكون عالما بأهل زمانه، متحفظا من سلطانه، ساعيا في خلاص نفسه، ونجاة مهجته، مقدما بين يديه ما يقدر عليه من عرض دنياه، مجاهدا لنفسه في ذلك ما استطاع.

وينبغي له أن يكون أهم أموره عنده الورع في دينه، واستعمال تقوى الله ومراقبته فيما أمره به ونهاه عنه.

وينبغي له أن يأخذ نفسه بالتصاون عن طرق الشبهات، ويقل الضحك والكلام في مجالس القرآن وغيرها بما لا فائدة فيه، ويأخذ نفسه بالحلم والوقار.

وينبغي له أن يتواضع للفقراء، ويتجنب التكبر والإعجاب، ويتجافى عن الدنيا وأبنائها إن خاف على نفسه الفتنة، ويترك الجدال والمراء، ويأخذ نفسه بالرفق والأدب.

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ اسْتَدْرَجَ النُّبُوَّةَ بَيْنَ كتفيهِ إِلَّا أَنَّهُ لَا يُوحَى إِلَيْهِ، لَا يَنْبَغِي لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ أَنْ يَحِدَّ مَعَ مَنْ يَحِدُّ، وَلَا يَجْهَلَ مَعَ مَنْ يَجْهَلُ وَفِي جَوْفِهِ كَلَامُ اللهِ "[3]

أهـ.والأثر أخرجه الخطيب فى الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع (89/1 ، رقم 31) ، وابن عساكر (509/42) .

[1] - أخرجه مالك (202/1 ، رقم 474) ، وأحمد (30/2 ، رقم 4845) ، والبخارى (رقم 5031) ، ومسلم (543/1 ، رقم 789) ، والنسائى (154/2 ، رقم 942) ، وابن حبان (41/3 ، رقم 764) .

[2] - رواه مسلم(2205/4رقم 2877) وأحمد(293/3 رقم 14157)

[3] - أخرجه الحاكم (738/1 ، رقم 2028) وقال : صحيح الإسناد .ووافقه الذهبي.. وأخرجه البيهقى فى شعب الإيمان (522/2 ، رقم 2591) .

عن ابن مسعود رضي الله عنه : عن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال : كان الكتاب الأول ينزل من باب واحد وعلى حرف واحد ونزل القرآن من سبعة أبواب على سبعة أحرف : زاجر وآمر وحلال وحرام ومحكم ومتشابه وأمثال ، فأحلوا حلاله وحرموا حرامه وافعلوا ما أمرتم به وانتهوا عما نهيتم عنه واعتبروا بأمثاله واعملوا بمحكمه وآمنوا بمتشابهه، و قولوا :{ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا }[آل عمران:7] [1]

وروى أبو بكر بن ابي شيبة عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ ، قَالَ : يَنْبَغِي لِحَامِلِ الْقُرْآنِ أَنْ يُعْرَفَ بِلَيْلِهِ إِذَا النَّاسُ نَائِمُونَ ، وَبِنَهَارِهِ إِذَا النَّاسُ مُفْطِرُونَ ، وَبِحُزْنِهِ إِذَا النَّاسُ يَفْرَحُونَ ، وَبِبُكَائِهِ إِذَا النَّاسُ يَضْحَكُونَ ، وَبِصَمْتِهِ إِذَا النَّاسُ يَخْلِطُونَ ، وَبِخُشُوعِهِ إِذَا النَّاسُ يَخْتَالُونَ ، وَيَنْبَغِي لِحَامِلِ الْقُرْآنِ أَنْ يَكُونَ بَاكِيًا مَحْزُونًا حَلِيمًا حَكِيمًا سِكِّيتًا ، وَلاَ يَنْبَغِي لِحَامِلِ الْقُرْآنِ أَنْ يَكُونَ - قَالَ أَبُو بَكْرٍ ذَكَرَ كَلِمَةً -لاَ صَخَّابًا ، وَلاَ صَيَّاحًا ، وَلاَ حَدِيدًا"[2].

وينبغي لصاحب القرآن أن يكون ممن يؤمن شره، ويرجى خيره ويسلم من ضره، وألا يسمع ممن نمَّ عنده، ويصاحب من يعاونه على الخير ويدله على الصدق ومكارم الأخلاق ويزينه ولا يشينه، وينبغي له أن يتعلم أحكام القرآن، فيفهم عن الله مراده وما فرض عليه، فينتفع بما يقرأ ويعمل بما يتلو، فكيف يعمل بما لا يفهم معناه، وما أقبح أن يسأل عن فقه ما يتلوه ولايدريه، فما مثل من هذه حالته إلا كمثل الحمار يحمل أسفارا.

و قد روي الحديث موقوفاً على ابن عمرو : أخرجه أبو عبيد في "فضائل القرآن" (7-8) بإسناد رجاله ثقات رجال الشيخين كما قال الألباني في السلسلة الضعيفة(200/11) ثم قال:
ولعل هذا الموقوف هو الصواب ؛ فقد أخرجه ابن المبارك في "الزهد" (275-276) ، وابن أبي شيبة (10/ 467/ 1002) - مختصراً - عن إسماعيل بن رافع عن إسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر عن عبد الله بن عمرو موقوفاً نحوه .أهـ
وقوله في الحديث : ((يحد)) :أي يغضب . من الحِدَّة : وهى الغضب.. و قوله(لَا يَجْهَلَ) لا يتكلم بكلام سيء أو فاحش

1 - أخرجه ابن حبان (20/3 رقم 745) وقال محققه شعيب الأرنؤوط: رجاله ثقات إلا أنه منقطع.وأخرجه الحاكم(739/1رقم 2031) وقال:هذا حديث صحيح الإسناد .و.. وأخرجه أيضًا : الديلمى (273/3 ، رقم 4818) .وذكره الألباني في "السلسلة الصحيحة" 2 / 133 وذكر له شاهدًا حسنه به .
2 - ابن أبي شيبة (231/7 رقم 35584) والدينوري في المجالسة وجواهر العلم(428/5رقم 2300)والبيهقي في شعب الإيمان(290/2رقم 1807)

وقد ورد عن الضحاك في قوله تعالى: " وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ }[آل عمران:79] "قال: حَقٌّ عَلَى كُلِّ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ أن يكون فقيها [1].

وذكر ابن أبي الجوزي قَالَ: أَتَيْنَا فُضَيْلَ بْنَ عِيَاضٍ سَنَةَ خَمْسٍ وَثَمَانِينَ وَمِائَةٍ وَنَحْنُ جَمَاعَةٌ، فَوَقَفْنَا عَلَى الْبَابِ فَلَمْ يَأْذَنْ لَنَا بِالدُّخُولِ، فَقَالَ بَعْضُ الْقَوْمِ: إِنْ كَانَ خَارِجًا لِشَيْءٍ فَسَيَخْرُجُ لِتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ، فَأَمَرْنَا قَارِئًا فَقَرَأَ فَاطَّلَعَ عَلَيْنَا مِنْ كُوَّةٍ، فَقُلْنَا: السَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللهِ، فَقَالَ وَعَلَيْكُمُ السَّلَامُ، فَقُلْنَا: كَيْفَ أَنْتَ يَا أَبَا عَلِيٍّ، وَكَيْفَ حَالُكَ؟ فَقَالَ: أَنَا مِنَ اللهِ فِي عَافِيَةٍ وَمِنْكُمْ فِي أَذًى، وَإِنَّ مَا أَنْتُمْ فِيهِ حديث فِي الْإِسْلَامِ، فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ! مَا هَكَذَا كُنَّا نَطْلُبُ الْعِلْمَ، وَلَكِنَّا كُنَّا نَأْتِي الْمَشْيَخَةَ فَلَا نَرَى أَنْفُسَنَا أَهْلًا لِلْجُلُوسِ مَعَهُمْ، فَنَجْلِسُ دُونَهُمْ وَنَسْتَرِقُ السَّمْعَ، فَإِذَا مَرَّ الْحَدِيثُ سَأَلْنَاهُمْ إِعَادَتَهُ وَقَيَّدْنَاهُ، وَأَنْتُمْ تَطْلُبُونَ الْعِلْمَ بِالْجَهْلِ، وَقَدْ ضَيَّعْتُمْ كِتَابَ اللهِ، وَلَوْ طَلَبْتُمْ كِتَابَ اللهِ لَوَجَدْتُمْ فِيهِ شِفَاءً لِمَا تُرِيدُونَ، قَالَ: قُلْنَا قَدْ تَعَلَّمْنَا الْقُرْآنَ، قَالَ: إِنَّ فِي تَعَلُّمِكُمُ الْقُرْآنَ شُغْلًا لِأَعْمَارِكُمْ وَأَعْمَارِ أَوْلَادِكُمْ، قُلْنَا: كَيْفَ يَا أَبَا عَلِيٍّ؟ قَالَ: لَنْ تعلموا القرآن حتى تعرف إعرابه، ومحكمه من متشابهه، وناسخه من منسوخه، إذا عَرَفْتُمْ ذَلِكَ اسْتَغْنَيْتُمْ عَنْ كَلَامِ فُضَيْلٍ وَابْنِ عُيَيْنَةَ،، ثُمَّ قَالَ: أَعُوذُ بِاللَّهِ السَّمِيعِ الْعَلِيمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: { يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ * قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ} [يونس:آيتان 57و58] . اهـ[2]

وقَدْ يَبْتَدِئُ الطَّالِبُ لِلْعِلْمِ يُرِيدُ بِهِ الْمُبَاهَاةَ وَالشَّرَفَ فِي الدُّنْيَا، فَلَا يَزَالُ بِهِ فَهْمُ الْعِلْمِ حَتَّى يَتَبَيَّنَ أَنَّهُ عَلَى خَطَأٍ فِي اعْتِقَادِهِ فَيَتُوبَ مِنْ ذَلِكَ،وَيُخْلِصَ النِّيَّةَ لِلَّهِ تَعَالَى فَيَنْتَفِعَ بِذَلِكَ وَيَحْسُنَ حَالُهُ. قَالَ الْحَسَنُ: كُنَّا نَطْلُبُ الْعِلْمَ لِلدُّنْيَا فَجَرَّنَا إلى الآخرة. وقاله سفيان الثوري. وقال ابْنُ أَبِي ثَابِتٍ: طَلَبْنَا هَذَا الْأَمْرَ وَلَيْسَ لَنَا فِيهِ نِيَّةٌ ثُمَّ جَاءَتِ النِّيَّةُ بَعْدُ[3].

****

المبحث الثامن: في تنزيه ساحة القرآن عن التعارض

قال تعالى:{ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا } [سورة النساء آية رقم(82)]

1 - تفسير ابن المنذر(1/ 268رقم 645) تحقيق: سعد السعد-دار المآثر - المدينة النبوية .و انظر تفسير القرطبي(22/1)

2 - تفسير القرطبي(22/1)

3 - تفسير القرطبي(22/1)

قال الزركشي :
قال القاضي أبو بكر في " التقريب " : لا يجوز تعارض آي القرآن والآثار وما توجبه أدلة العقل ، فذلك لم يجعل قوله عز وجل : " اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ " {الزمر : 62} معارضاً لقوله : " وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا " {العنكبوت : 17} وقوله : " وإذ تخلق من الطين " {المائدة : 110} وقوله : " فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ " {المؤمنون : 14} لقيام الدليل العقلي أنه لا خالق غير الله تعالي ، فيتعين تأويل ما عارضه ، فيؤول قوله " وتخلقون " {العنكبوت : 17} بمعنى تكذبون لأن الإفك نوع من الكذب، وقوله : " وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ " {المائدة : 110} أي تصور ومن ذلك قوله : " إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ " {المجادلة : 7} لا يعارض قوله " أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ " {يونس : 18} فإن المراد بهذا ما لا يعلمه أنه غير كائن ويعلمونه وقوع ما ليس بواقع لا على أن من المعلومات ما هو غير عالم به وإن علمتموه.
وكذلك لا يجوز جعل قول الله تعالي : " إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ " {آل عمران : 7} معارضاً لقوله : " حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ " {محمد 31} وقوله : " إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ " {القيامة : 23} معارضاً لقوله : " لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ " {الأنعام : 31} في تجويز الرؤيا وإحالتها لأن دليل العقل يقضي بالجواز ويجوز تخليص النفي بالدنيا والإثبات بالقيامة.وقيل أيضًا: الإدراك يختلف عن الرؤية فنحن مثلا نرى الشمس ولا ندركها.
وكذلك لا يجوز جعل قوله : " وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ " {ق : 38} معارضاً لقوله : " وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ " {الروم : 37} بل يجب تأويل " أهون " على هين.
ولا جعل قوله تعالى : " مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا " {غافر : 4} معارضاً لأمر نبيه وأمته بالجدال في قوله : " وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ "{النحل : 125} فيحمل الأول على ذم الجدال الباطل.
ولا يجوز جعل قوله : " وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ " {الرحمن : 27} معارضاً لقوله : " كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ " {الرحمن : 26} اهـ [1]
وكذلك عندما تتَعَارُضَ في الظاهر قِرَاءَتَانِ-متواترتان- فِي آيَةٍ وَاحِدَةٍ كقوله: { وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ}[النساء:6] بِالنَّصْبِ وَالْجَرِّ ،فقَالُوا: يُجْمَعُ بَيْنَهُمَا بِحَمْلِ

[1] - البرهان في علوم القرآن (2/51-52) بتصرف وإضافة.

قراءة النصب عَلَى غَسْلِ الرِّجْلِ، وحمل قراءة الجر { وَأَرْجُلِكُمْ }عَلَى مَسْحِ الْخُفِّ وهكذا، إذ ليس في كلام الله تعارض وإنما يأتي التعارض في أذهان بعض مَن لم يوفق للمعنى المقصود. وصدق الله تعالى{أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا}[النساء: (82)].

****

المبحث التاسع: في حفظ الله تعالى للقرآن

أجمع أهل السنة وسائرالمسلمين على صيانة كتاب الله عز وجل من التحريف والزيادة والنقص ، فهو محفوظ بحفظ الله له قال تعالى :{إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ } [الحجر: 9] وقال تعالى:{ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ* لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ } [فصلت:41- 42] وقال تعالى: {إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ* فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ* ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ} [القيامة:17-19] ولا يوجد في كتب أهل السنة المعتمدة روايةٌ واحدة صحيحة تخالف هذا المعتقد وقد ذكر مفسرو أهل السنة عند قوله سبحانه :{ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون} أن القرآن محفوظٌ من أي تغيير أو تبديل أو تحريف، انظر في ذلك: تفسيرالبغوي ، والقرطبي، و النسفي ، و تفسير الخازن ، و ابن كثير ، والبيضاوي،والبحر المحيط لابن حيان ، والألوسي ، وصديق خان ، والشنقيطي وغيرهم من المفسرين .

وصرح كبار علماء السنة أن من اعتقد أن القرآن فيه زيادة أو نقص فقد خرج من دين الإسلام .

وهذه العقيدة عند أهل السنة من الشهرة والتواتر بحيث أنها لا تحتاج إلى من يقيم أدلة عليها بل هذه العقيدة من المتواترات عند المسلمين .

قال القاضي عياض - رحمه الله : (وقد أجمع المسلمون أن القرآن المتلو في جميع أقطار الأرض المكتوب في المصحف بأيدي المسلمين مما جمعه الدفتان من أول { الحمد لله رب العالمين } الى آخر { قل أعوذ برب الناس } أنه كلام الله ووحيه المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وأن جميع مافيه حق وأن من نقص منه حرفا قاصدا لذلك أو بدله بحرف آخر مكانه أو زاد فيه حرفا مما لم يشتمل عليه المصحف الذي وقع الإجماع عليه وأجمع على أنه ليس من القرآن عامداً لكل هذا أنه كافر [1] .

ونقل القاضي عياض عن أبي عثمان الحداد أنه قال : (جميع من ينتحل التوحيد متفقون على أن الجحد لحرف من التنزيل كفر) [2].

1 - القاضي عياض/ الشفاء : (ص: 1102 - 1103).
2 - القاضي عياض/ الشفاء : (ص: 1102 - 1103).

ويقول القاضي أبو يعلى : والقرآن ما غير ولا بدل ولا نقص منه ولا زيد فيه خلافاً للرافضة القائلين أن القرآن قد غير وبدل وخولف بين نظمه وترتيبه - ثم قال- : إن القرآن جمع بمحضر من الصحابة رضي الله عنهم وأجمعوا عليه ولم ينكر منكر ولا رد أحد من الصحابة ذلك ولا طعن فيه ولو كان مغيراً مبدلاً لوجب أن ينقل عن أحد من الصحابة أنه طعن فيه ، لأن مثل هذا لايجوز أن ينكتم في مستقر العادة .. ولانه لو كان مغيراً ومبدلاً لوجب على علي رضي الله عنه أن يبينه ويصلحه ويبين للناس بياناً عاماً أنه أصلح ما كان مغيراً فلما لم يفعل ذلك بل كان يقرأه ويستعمله دل على أنه غير مبدل ولا مغير [1] .

قال ابن قدامة : ولا خلاف بين المسلمين في أن من جحد من القرآن سورة أو آية أو كلمة أو حرفاً متفقاً عليه أنه كافر [2] .
ويقول ابن حزم : القول بأن بين اللوحين تبديلاً كفرٌ صريح وتكذيب لرسول الله صلى الله عليه وسلم) [3].وقال أيضًا - في الجواب عن احتجاج النصارى بدعوى الروافض تحريف القرآن -: وأما قولهم في دعوى الروافض تبديل القرآن فإن الروافض ليسوا من المسلمين [4] .

قال الفخر الرازي عند قوله سبحانه : { إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون }، وإنا نحفظ ذلك الذكرمن التحريف والزيادة والنقصان - إلى أن قال : إن أحداً لو حاول تغيير حرف أو نقطة لقال له أهل الدنيا هذا كذب وتغيير لكلام الله حتى أن الشيخ المهيب لو اتفق له لحن أو هفوة في حرف من كتاب الله تعالى لقال له الصبيان أخطأت أيها الشيخ وصوابه كذا وكذا .. واعلم أنه لم يتفق لشيء من الكتب مثل هذا الحفظ فإنه لا كتاب إلا وقد دخله التصحيف والتحريف والتغيير إما في الكثير منه أو في القليل ، وبقاء هذا الكتاب مصوناً من جميع جهات التحريف مع أن دواعي الملاحدة واليهود والنصارى متوفرة على إبطاله وإفساده من أعظم المعجزات [5].

---

[1] - المعتمد في أصول الدين ص 258.
[2] - ابن قدامة / لمعة الاعتقاد " ص 19 .
[3] - ابن حزم/ الفصل في الملل والنحل " ص: 40. و قد ذكر ابن حزم قُبيل هذا الكلام أن عمرو بن بحر الجاحظ قال :أخبرني أبو إسحاق إبراهيم النظام وبشر بن خالد أنهما قالا لمحمد بن جعفر الرافضي المعروف بشيطان الطاق ويحك أما استحيت من الله أن تقول في كتابك في الإمامة أن الله تعالى لم يقل قط في القرآن " ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا " قالا: فضحك والله شيطان الطاق ضحكاً طويلاً حتى كأنا نحن الذي أذنبنا" أهـ قلت: محمد بن جعفر بن النعمان يلقبه جمهور المسلمين بشيطان الطاق، ويلقبه الشيعة الإمامية بمؤمن آل محمد!!
[4] - " الفصل " (80/2).
[5] - الفخر الرازي/ مفاتيح الغيب (160/19-161).

وقال ابن تيمية : وكذلك - أي في الحكم بتكفيره - من زعم منهم أن القرآن نقص منه آيات وكتمت ، أو زعم أن له تأويلات باطنة تسقط الأعمال المشروعة ونحو ذلك وهؤلاء يسمون القرامطة والباطنية ومنهم التناسخية وهؤلاء لا خلاف في كفرهم[1]
والشواهد في هذا المجال لا تحصى كثرة وهي موجودة في مواضعها في كتب التفسير وعلوم القرآن والحديث والعقيدة والأصول وغيرها.

****

المبحث العاشر: في القراءات المتواترة

قال السيوطي في الإتقان :
المشتهرون بإقراء القرآن من الصحابة سبعة: عثمان، وعليّ، وأُبيّ، وزيد بن ثابت، وابن مسعود، وأَبو الدَّرداء، وأَبو موسى الأَشعري. كذا ذكرهم الذهبيّ في [طبقات القراء]. قال: وقد قرأ على أُبيّ جماعة من الصِّحابة، منهم أَبو هريرة وابنُ عباس وعبد الله بن السائب، وأَخذ ابنُ عباس عن زيدٍ أيضاً، وأَخذ عنهم خلْق من التابعين.

فممّن كان بالمدينة: ابن المسيَّب، وعروة، وسالم، وعمر بن عبد العزيز، وسليمان وعطاء ابنا يسار، ومُعاذ بن الحارث المعروف بمعاذ القاريء، وعبد الرحمن بن هُرمز الأَعرج، وابن شهاب الزهريّ، ومسلم بن جُنْدَب، وزيد بن أَسلم.

وبمكة: عبيد بن عُمير، وعطاء بن أَبي رباح، وطاوس، ومجاهد، وعِكْرمة، وابن أَبي مُليكة.
وبالكوفة: علقمة، والأَسود، ومسروق، وعُبيدة، وعمرو بن شرحبيل، والحارث بن قيس، والرَّبيع بن خُثَيْم، وعمرو بن ميمون، وأَبو عبد الرحمن السُّلَمِيّ، وزر بن حُبيش، وعبيد بن نُضَيلة، وسعيد بن جُبير، والنَّخعيّ والشَّعبيّ.

وبالبصرة: أَبو العالية، وأَبو رجاء، ونصر بن عاصم، ويحيى بن يعمرُ، والحسن، وابن سيرين، وقتادة.

---

[1] - ابن تيمية/ الصارم المسلول ص 586 . - دار الكتب العلمية – بيروت...والقول بالتحريف وبالنقصان هو ما يعتقده الشيعة الروافض قبحهم الله.

وبالشام: المغيرة بن أَبي شهاب المخزوميّ صاحب عثمان، وخليفة بن سعد صاحب أَبي الدرداء.
ثم تجرَّد قوم، واعتنوْا بضبط القراءة أَتمَّ عناية، حتى صاروا أَئِمَّةً يُقتَدى بهم ويُرحَل إليهم.

فكان بالمدينة: أَبو جعفر يزيد بن القعقاع، ثم شيبة بن نَصَاح، ثم نافع بن أَبي نعيم.

وبمكة: عبد الله بن كَثير، وحميد بن قيس الأَعرج، ومحمد بن مُحيصن.

وبالكوفة: يحيى بن وثَّاب، وعاصم بن أَبي النَّجود، وسليمان الأَعمش، ثم حمزة ثم الكسائي.

وبالبصرة: عبد الله بن أَبي إسحاق، وعيسى بن عمر، وأَبو عمرو بن العلاء، وعاصم الجُحْدَريّ، ثم يعقوب الحضْرميّ.

وبالشام: عبد الله بن عامر، وعطيَّة بن قيس الكلابيّ، وإسماعيل بن عبد الله بن المهاجر، ثمَّ يحيى بن الحارث الذماريّ، ثمَّ شُريح بن يزيد الحضرمي.
واشتهر من هؤلاء في الآفاق الأَئمة السبعة:
1- نافع، وقد أَخذ عن سبعين من التابعين، منهم أَبو جعفر.
2- وابن كثير، وأَخذ عن عبد الله بن السائب الصحابيّ.
3- وأبو عمرو، وأَخذ عن التابعين.
4-وابن عامر، وأَخذ عن أَبي الدَّرداء، وأَصحاب عثمان.
5- وعاصم، وأَخذ عن التابعين.
6- وحمزة، وأَخذ عن عاصم والأَعمش والسَّبيعيّ ومنصور بن المعتمر وغيره.
7- والكسائي: وأَخذ عن حمزة وأَبي بكر بن عيَّاش.
ثم انتشرت القراءات في الأَقطار، وتفرَّقوا أُمماً بعد أُمم، واشتهر من رواة كلّ طريق من طرق السبعة راويان:
فعن نافع: قالون وورش، عنه.
وعن ابن كثير: قُنْبل والبزيّ، عن أَصحابه عنه.
وعن أبي عمرو: الدوري والسّوسيّ، عن اليزيديّ، عنه.
وعن ابن عامر: هشام وابن ذكْوان عن أَصحابه، عنه.

وعن عاصم: أبوبكر بن عياش ، وحفص،عنه.

وعن حمزة: خلف وخلاّد،عن سليم، عنه.
وعن الكسائي: الدُّوري، وأَبو الحارث.

ثم لمَّا اتَّسع الخرْق وكاد الباطل يلتبس بالحق، قام جهابذة الأُمة، وبالغوا في الاجتهاد، وجمعوا الحروف والقراءات، وعزَوا الوجوه والروايات، وميَّزوا الصحيح والمشهور والشاذَّ بأُصولٍ أَصَّلوها، وأَركان فصَّلوها.

فأَوَّل من صنَّف في القراءات أَبو عبيد القاسم بن سلام، ثم أَحمد بن جُبير الكوفيّ، ثم إسماعيل بن إسحاق المالكيّ صاحب قالون، ثم أَبو جعفر بن جرير الطبري، ثم أَبو بكر محمد بن أَحمد بن عمر الداجوني، ثم أَبو بكر بن مجاهد، ثم قام الناس في عصره وبعده بالتأليف في أَنواعها، جامعاً ومفرداً، وموجزاً ومسهباً، وأَئمة القراءات لا تحصى.

وقد صنف طبقاتهم حافظ الإسلام أَبو عبد الله الذهبي، ثم حافظ القراءات أَبو الخير بن الجزري.أهـ[1]

فوائد ذات صلة:

الأولى: أُنزل القرآن على سبعة أحرف كما ثبت في السنة الصحيحة، فقد روى الشيخان: البخاري(3047) ومسلم(819) وغيرهما:عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: أَقْرَأَنِي جِبْرِيلُ عَلَى حَرْفٍ فَلَمْ أَزَلْ أَسْتَزِيدُهُ حَتَّى انْتَهَى إِلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ ".

وفي الصحيحين:البخاري(4754) ومسلم(818) وغيرهما-أيضًا- أن عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ قال:سَمِعْتُ هِشَامَ بْنَ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ يَقْرَأُ سُورَةَ الْفُرْقَانِ فِي حَيَاةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَاسْتَمَعْتُ لِقِرَاءَتِهِ، فَإِذَا هُوَ يَقْرَأُ عَلَى حُرُوفٍ كَثِيرَةٍ لَمْ يُقْرِئْنِيهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَكِدْتُ أُسَاوِرُهُ فِي الصَّلَاةِ فَتَصَبَّرْتُ حَتَّى سَلَّمَ، فَلَبَّبْتُهُ بِرِدَائِهِ فَقُلْتُ مَنْ أَقْرَأَكَ هَذِهِ السُّورَةَ الَّتِي سَمِعْتُكَ تَقْرَأُ؟ قَالَ: أَقْرَأَنِيهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فَقُلْتُ: كَذَبْتَ فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ أَقْرَأَنِيهَا عَلَى غَيْرِ مَا قَرَأْتَ، فَانْطَلَقْتُ بِهِ أَقُودُهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقُلْتُ: إِنِّي سَمِعْتُ هَذَا يَقْرَأُ بِسُورَةِ الْفُرْقَانِ عَلَى حُرُوفٍ لَمْ تُقْرِئْنِيهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَرْسِلْهُ، اقْرَأْ يَا هِشَامُ. فَقَرَأَ عَلَيْهِ الْقِرَاءَةَ الَّتِي سَمِعْتُهُ يَقْرَأُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَذَلِكَ أُنْزِلَتْ، ثُمَّ قَالَ اقْرَأْ يَا عُمَرُ،

[1] - السيوطي/ الإتقان في علوم القرآن (1/204 -206)

فَقَرَأْتُ الْقِرَاءَةَ الَّتِي أَقْرَأَنِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :كَذَلِكَ أُنْزِلَتْ، إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ أُنْزِلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ، فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ".

وفي صحيح مسلم(821) وغيره عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ عِنْدَ أَضَاةِ بَنِي غِفَارٍ قَالَ: فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَام ، فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَقْرَأَ أُمَّتُكَ الْقُرْآنَ عَلَى حَرْفٍ، فَقَالَ أَسْأَلُ اللَّهَ مُعَافَاتَهُ وَمَغْفِرَتَهُ، وَإِنَّ أُمَّتِي لَا تُطِيقُ ذَلِكَ، ثُمَّ أَتَاهُ الثَّانِيَةَ فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَقْرَأَ أُمَّتُكَ الْقُرْآنَ عَلَى حَرْفَيْنِ، فَقَالَ: أَسْأَلُ اللَّهَ مُعَافَاتَهُ وَمَغْفِرَتَهُ، وَإِنَّ أُمَّتِي لَا تُطِيقُ ذَلِكَ، ثُمَّ جَاءَهُ الثَّالِثَةَ فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَقْرَأَ أُمَّتُكَ الْقُرْآنَ عَلَى ثَلَاثَةِ أَحْرُفٍ، فَقَالَ:أَسْأَلُ اللَّهَ مُعَافَاتَهُ وَمَغْفِرَتَهُ ، وَإِنَّ أُمَّتِي لَا تُطِيقُ ذَلِكَ، ثُمَّ جَاءَهُ الرَّابِعَةَ فَقَالَ:إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَقْرَأَ أُمَّتُكَ الْقُرْآنَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ فَأَيُّمَا حَرْفٍ قَرَءُوا عَلَيْهِ فَقَدْ أَصَابُوا ".[1]

وهذه الأحرف السبعة التي سأل النبي صلى الله عليه وآله وسلم ربَّه القراءة بها للتخفيف على أمته ، لا تعني القراءات السبعة المتواترة المذكورة أعلاه، كما قد يتوهم البعض، وإنما هي أعم منها فتشمل كل القراءات الثابتة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم سواء كانت من القراءات السبعة أو العشرة أو غيرها.

الثانية : أركان القراءة الصحيحة:

الأول : موافقتها لوجه من أوجه اللغة العربية، كقراءة ابن عامر لقول الله تعالى: {وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُواْ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ }{الأنعام:137} فقرأها ببناء الفعل(زين) للمجهول، ورفع (قتل) على أنه نائب فاعل، ونصب (أولادهم) مفعول للمصدر، وجرّ(شركائهم) مضافًا للمصدر.ولقد ثبت أن(شركائهم)مرسوم بالياء في المصحف الذي أرسله عثمان إلى الشام.وقد أنكر بعض النحاة هذه القراءة بحجة أن الفصل بين المضاف والمضاف إليه لا يكون إلا بالظرف وفي الشعر خاصة، ولكن القراءة متواترة فلا تحتاج إلى ما يسندها من كلام العرب، بل تكون هي حجة يُرجع إليها ويُستشهد بها.

الثاني: موافقتها للرسم العثماني ولو احتمالاً ، كالقراءتين بإثبات الألف وبحذفه في قوله تعالى: {مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ }{الفاتحة:4} وبالإفراد والجمع لكلمة (أماناتهم) في قوله تعالى: {وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ }{المؤمنون:8} وقد تكون القراءة

[1] - وفي كتب الشيعة مثل هذه الرواية:كما في كتاب الخصال للشيخ الصدوق(ص:358)، وخاتمة المستدرك للميرزا النوري (347/1) وبحار الأنوار(65/82).وعندهم-أيضًا- من الروايات ما يكذب ذلك ويبين أن القرآن أنزل على وجه واحد.وهذه سمة غالبة لروايات الشيعة الإمامية تراها متناقضة.

ثابتة في بعض المصاحف العثمانية دون بعض كقوله تعالى: {وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتَهَا الأَنْهَارُ}{التوبة:100} بزيادة لفظ (من) لثبوته في المصحف الذي أرسله عثمان إلى مكة دون غيره من المصاحف.

الثالث: صحة سندها عن النبي صلى الله عليه وسلم. وقد قال زيد بن ثابت:القراءة سنة متبعة.

وإلى هذه الأركان الثلاثة يشير الإمام ابن الجزري في طيبة النشر بقوله:

فكلُّ ما وافقَ وجهَ نحوِ وكان للرَّسْمِ احتمالاً يَحوي
وصَحَّ إسنادًا هو القرآنُ فهذه الثلاثَةُ الأركانُ
وحيثما يَختلُّ ركنٌ أثبتِ شذوذَهُ لو أنّهُ في السبعةِ

وعلى هذا فإن اختل ركن من هذه الأركان الثلاثة كانت القراءة شاذة ولا يجوز القراءة بها[1].

الفائدةالثالثة: ذهب جماهير العلماء من السلف والخلف وأئمة المسلمين إلى أن المصاحف العثمانية التي أرسل بها عثمان إلى الأمصار مشتملة على ما يحتمله رسمها من الأحرف السبعة، جامعة للعرضة الأخيرة التي عرضها النبي صلى الله عليه وسلم على جبريل عليه السلام[2].

****

المبحث الحادي عشر: النسخ في القرآن

النسخ: هو رفع الشارع حكمًا من أحكامه بخطاب متأخرٍ عنه، وبذلك يتبين الفرق بين النسخ والتخصيص، فالنسخ يكون فيه النصَّان- الناسخ والمنسوخ- غير مقترنين زمانًا، بل يكون الناسخ متأخرًا عن المنسوخ. كنسخ القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة كما في سورة البقرة[3] ، ونسخ الثبوت لعشرة بالثبوت لاثنين كما في سورة الأنفال[4] ، ونسخ الصدقة في آية النجوى بالآية التي تليها في سورة المجادلة[5].

1- عطية قابل نصر/غاية المريد في علم التجويد ص: 18-19 بتصرف، وانظر:طيبة النشر في القراءات العشر للإمام ابن الجزري بتحقيق محمد تميم الزعبي ص:32 ط دار الغوثاني بدمشق
2 - التبيان في علوم القرآن للصابوني ص: 244
3 - الآية:144
4 - الآيتان:65-66
5 - الآيتان:12-13

والنسخ واقع في الشريعة الإسلامية لحِكَم، منها التدرج و التيسير والمعالجة، يعرف ذلك مَن له علم بشئون الجماعات وطُرق علاجها وتربيتها[1].ولأن النسخ علاجٌ للجماعة المسلمة في عصرها الأول عند نزول الأحكام التفصيلية لم يثبت النسخ قط في كُلٍّ من الكليات، بل كان يجيء في بعض أحكام تفصيلية جزئية تتعلق بشئون الجماعة المسلمة للارتقاء بها والوصول إلى إنشاء دولة إسلامية ومدينة فاضلة ، لذا نجد معظم ما وقع من النسخ كان بالمدينة.

وقد أَجمع المسلمون على جواز النسخ، وأَنكره اليهود ظناً منهم أَنه بَداء، كالذي يرى الرأي ثم يبدو له رأي جديد ، وهذا قولٌ باطل، لأن النسخ لا يلزمه البداء ألبتة ، بل الله جل وعلا يشرِّع الحكم وهو عالم بأن مصلحته ستنقضي في الوقت المعين له ، وأنه عند ذلك الوقت ينسخ ذلك الحكم ويبدله بالحكم الجديد الذي فيه المصلحة . فإذا جاء ذلك الوقت المعين أنجز جل وعلا ما كان في علمه السابق من نسخ ذلك الحكم ، الذي زالت مصلحته بذلك الحكم الجديد الذي فيه المصلحة . كما أن حدوث المرض بعد الصحة وعكسه ، وحدوث الغنى بعد الفقر وعكسه ، ونحو ذلك، لا يلزم فيه البداء ، لأن الله عالم بأن حكمته الإلهية تقتضي ذلك التغيير في وقته المعين له ، على وفق ما سبق في العلم الأزلي. فكذا الأَمر والنهي كما هو واضح .
ولا يقع النسخ إلاَّ في الأَمر والنَّهي، ولو بلفظ الخبر. أَما الخبر الذي ليس بمعنى الطلب فلا يدخله النسخ، ومنه الوعد والوعيد. وإذا عرفت ذلك عرفت فساد صنع من أَدخل في كتب النسخ كثيراً من آيات الإِخبار والوعد والوعيد[2].

والأدلة على وقوع النسخ في القرآن:

قول الله تعالى: {مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللّهَ عَلَىَ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ }{البقرة:106} وقوله تعالى: {وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ وَاللّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُواْ إِنَّمَا أَنتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ } {النحل:101} وقوله: {سَنُقْرِؤُكَ فَلَا تَنسَى*إِلَّا مَا شَاء اللَّهُ }{الأعلى:6-7}

* والنسخ في القرآن على ثلاثة أَضرب :

1 - لقد جاء النبي صلى الله عليه وسلم إلى قومٍ لم يكونوا ذوي دين ، ولم يتقيدوا من قبله بشريعة، ولم يكن لهم منهاج مستقر ثابت يسيرون عليه، فلو نزلت عليهم الشريعة دفعة واحدة ما أطاقوها، ولو جاءتهم التكليفات جملة لنفروا منها، لذا جاءت شيئًا فشيئًا،حتى إذا ذاقوا حلاوة الإيمان وبشاشة الإسلام ، واستأنسوا بذلك، وراضوا أنفسهم على أحكامه وخطاباته كلها، حرِّمت عليهم أشياء كانت مباحة وكلفوا أمورًا لم يكونوا مكلفيها من قبل.

2 -السيوطي/ الإتقان(60/3) ، الشيخ محمد أبو زهرة/أصول الفقه:ص:172 ،الأشقر/ الواضح في أصول الفقه ص:82

أَحدها: ما نسخ تلاوته وحكمه معاً.وهو قليل، ويُستدل له بقول الله تعالى: {سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَى*إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ }{الأعلى:6-7} . ومثّلوا له بقول عائشة رضي الله عنها: كَانَ فِيمَا أُنْزِلَ مِنْ الْقُرْآنِ عَشْرُ رَضَعَاتٍ مَعْلُومَاتٍ يُحَرِّمْنَ ثُمَّ نُسِخْنَ بِخَمْسٍ مَعْلُومَاتٍ فَتُوُفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُنَّ فِيمَا يُقْرَأُ مِنْ الْقُرْآنِ[1]" . فقول" عَشْرُ رَضَعَاتٍ مَعْلُومَاتٍ يُحَرِّمْنَ" نُسخ حكمًا وتلاوة.

الضرب الثاني: ما نُسخ تلاوته وبقي حكمه، ومثّلوا له بقول عائشة رضي الله عنها(في الحديث السابق):" ثُمَّ نُسِخْنَ بِخَمْسٍ مَعْلُومَاتٍ" فهذا نُسخت تلاوته وبقي حكمه عند الشافعي رحمه الله ومن وافقه.
وقد تكلموا في قولها: (وهنَّ مما يقرأُ من القرآن): فإن ظاهره بقاء التلاوة، وليس كذلك.

وأُجيب بأَن المراد: قارب الوفاة، أَو المراد:أَنَّ التلاوة نُسِخت أَيضًا، ولم يبلغ ذلك كل الناس إلاَّ بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فَتُوُفِّي وبعض الناس ما زال يقرؤُها ولم يعلم بنسخها.وهذا هو الأظهر.

وقال أَبو موسى الأَشعريُّ: نزلت ثم رفعت.

ومثلوا لهذا الضرب أيضًا بآية الرجم فقد بقي حُكمها ونسخت تلاوتها: عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ يَطُولَ بِالنَّاسِ زَمَانٌ حَتَّى يَقُولَ قَائِلٌ مَا أَجِدُ الرَّجْمَ فِي كِتَابِ اللَّهِ فَيَضِلُّوا بِتَرْكِ فَرِيضَةٍ مِنْ فَرَائِضِ اللَّهِ ، أَلَا وَإِنَّ الرَّجْمَ حَقٌّ إِذَا أُحْصِنَ الرَّجُلُ وَقَامَتْ الْبَيِّنَةُ أَوْ كَانَ حَمْلٌ أَوْ اعْتِرَافٌ وَقَدْ قَرَأْتُهَا " الشَّيْخُ وَالشَّيْخَةُ إِذَا زَنَيَا فَارْجُمُوهُمَا الْبَتَّةَ " رَجَمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَرَجَمْنَا بَعْدَهُ"[2]. وأقر الصحابة عمر على قوله هذا ولم ينكر عليه أحد منهم.

وقد أَورد بعضهم فيه سؤالاً وهو: ما الحكمة في رفع التلاوة مع بقاء الحكم؟ وهلاَّ أبقِيَت التلاوة ليجتمع العمل بحكمها وثواب تلاوتها؟
وأَجاب صاحب الفنون: بأَنَّ ذلك ليظهر به مقدار طاعة هذه الأُمَّة في المسارعة إلى بذل النفوس بطريق الظنِّ، من غير استفصال لطلب طريق مقطوع به، فيسرعون بأَيسر شيء، كما سارع الخليل إبراهيم إلى ذبح ولدِه بمنام، والمنام أَدنى طريق الوحي[3].

---

[1] - رواه مالك (1270) ومسلم (1452) وغيرهما.
2- صحيح:رواه ابن ماجة(2553) وغيره،والحديث في الصحيحين بدون ذكر الآية المنسوخة.
[3] -السيوطي/ الإتقان(72/3)

* وقد أنكر بعض المبتدعة هذين الضربين من النسخ، ويُرَد عليهم بمفهوم قول الله تعالى: {سَنُقْرِؤُكَ فَلَا تَنسَى*إِلَّا مَا شَاء اللَّهُ } {الأعلى:6-7} وقد زعموا أن القول بهذا النسخ نوع من القول بوقوع التحريف في القرآن، وهذه مغالطة واضحة ، إذ الفرق واضح بين الاثنين، فالتحريف يكون من فعل البشر، وليس بوحي ، ولا يستند إلى دليل شرعي، أما النسخ فلا يكون إلا بوحي من الله تعالى، لذلك لا يؤخذ النسخ من العقل ولا من أقوال الأئمة أوغيرهم من العلماء والمفسرين ، بل لابد فيه من النص الموحى به قرأنًا كان أو سنةً عن النبي صلى الله عليه وسلم . وذلك لا يوجد في التحريف كما هو معلوم[1].

الثالث:ما نُسِخ حكمه وبقيت تلاوته.
وهذا الضرب هو الذي فيه الكتب المؤلفة، وهو على الحقيقة قليلٌ جداً، وإنْ أَكثر الناسُ من ذكر الآيات فيه.
وقد تتبع الإمام ابن جرير الطبري الآيات التي يمكن أن يقال إنها منسوخة فوجهها توجيهاً سديداً، وبقي عنده قرابة إحدى عشرة آية فقط هي منسوخة الحكم قطعاً لتغير الحكم اللاحق عن السابق بنصٍ من القرآن الكريم، أو السنة الصحيحة، وهي معروفة عند أهل الاختصاص في علوم القرآن.
قال السيوطي : إن الذي أَورده المكثرون أَقسام:
قسم ليس من النسخ في شيء ولا من التخصيص، ولا له بهما علاقة بوجه من الوجوه. وذلك مثل قوله تعالى: {وَممَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ} [البقرة، الآية: 3]. {أَنْفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَاكُم} [البقرة، الآية: 254]. ونحو ذلك.
قالوا: إنه منسوخ بآية الزكاة، وليس كذلك هو باقٍ:
أَمَّا الأُولى: فإنها خبر في معرض الثناء عليهم بالإِنفاق، وذلك يصلح أَن يفسّر:

---

1 - قال الشنقيطي في تفسيره أضواء البيان(447/2) : لا يصح نسخ حكم شرعي إلا بوحي من كتاب أو سنة . لأن الله جلَّ وعلا يقول : { وَإِذَا تتلى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الذين لاَ يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ائت بِقُرْآنٍ غَيْرِ هاذآ أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَآءِ نفسي إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يوحى إِلَيَّ إِنِي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ } [يونس : 15] - وبه تعلم أن النسخ بمجرد العقل ممنوع ، وكذلك لا نسخ بالإجماع . لأن الإجماع لا ينعقد إلا بعد وفاته صلى الله عليه وسلم : لأنه ما دام حياً فالعبرة بقوله وفعله وتقريره صلى الله عليه وسلم ، ولا حجة معه في قول الأمة ، لأن اتّباعه فرض على كل أحد ولذا لا بد في تعريف الإجماع من التقييد بكونه بعد وفاته صلى الله عليه وسلم ، كما قال صاحب المراقي في تعريف الإجماع :
وهو الاتفاق من مجتهدي ... الأمة من بعد وفاة أحمد
وبعد وفاته ينقطع النسخ . لأنه تشريع ، ولا تشريع البتة بعد وفاته صلى الله عليه وسلم ، وإلى كون العقل والإجماع لا يصح النسخ بمجردهما - أشار في مراقي السعود أيضاً بقوله في النسخ :
فلم يكن بالعقل أو مجرد ... الإجماع بل ينمى إلى المستند
وقوله « بل ينمى إلى المستند » يعني أنه إذا وجد في كلام العلماء أن نصاً منسوخٌ بالإجماع ، فإنهم إنما يعنون أنه منسوخ بالنص الذي هو مستند الإجماع ، لا بنفس الإجماع . لما ذكرنا من منع النسخ به شرعاً . وكذلك لا يجوز نسخ الوحي بالقياس على التحقيق . أهـ

بالزكاة، وبالإنفاق على الأَهل، وبالإنفاق في الأُمور المندوبة كالإعانة والإضافة.
وليس في الآية ما يدلُّ على أَنها نفقة واجبة غير الزكاة.
والآية الثانية: يصلحُ حملها على الزكاة، وقد فسّرت بذلك.

وقوله في البقرة: {وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْناً} [البقرة، الآية: 83]. عدَّه بعضهم من المنسوخ بآية السيف. وقد غَلَّطه ابن الحصَّار بأَنَّ الآية حكاية عمَّا أَخذه على بني إسرائيل من الميثاق، فهو خبر لا نَسخ فيه، وقسْ على ذلك.
وقسمٍ هو من قسم المخصوص لا من قسم المنسوخ، ومنه قوله تعالى {فَٱعْفُواْ وَٱصْفَحُواْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِ} [البقرة: 109]. وغير ذلك من الآيات التي خُصَّت باستثناء أَو غاية، وقد أَخطأَ من أَدخلها في المنْسوخ.
ومنه قوله: {وَلاَ تَنْكِحُواْ ٱلْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ} [البقرة، الآية: 221]. قيل إنَّه نُسخ بقوله:{وَٱلْمُحْصَنَاتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَابَ} [المائدة، الآية: 5]. وإنما هو مخصوص به.
وقسم رَفع ما كان عليه الأَمر في الجاهلية أَو في شرائع مَنْ قبلنا، كإبطال نكاح نساء الآباء، ومشروعيَّة القصاص والدِّيَة، وحَصْر الطَّلاق في الثلاث. وهذا عدم إدخاله في قسم الناسخ أَقرب، ووجَّهوه: بأَنَّ ذلك لوعُدّ في الناسخ لعُدّ جميع القرآن منه، إذ كلُّه أَو أَكثره رافع لما كان عليه الكفار وأَهل الكتاب .
إذا علمت ذلك: فقد خرج من الآيات التي أَوردها المكثرون الجمّ الغفير، مع آيات الصفح والعفو، إن قلنا إن آية السيف لم تنسخها، وبقي مما يصلح لذلك عدد يسير.أهـ [1].

هل يُنسخ القرآن بالسُّنة؟

والجواب:قد اختلف العلماء في ذلك :

فقيل: لا يُنسخ القرآن إلاَّ بقرآن، لقوله تعالى: {مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا} [البقرة: 106]. قالوا: ولا يكون مثل القرآن وخيرًا منه إلاَّ قرآنٌ.

وقيل: بل ينُسخ القرآن بالسنَّة، لأَنها أَيضًا من عند الله، قال تعالى: {وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰ* إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى} [النجم : 3-4].

والثالث: إذا كانت السنَّة بأَمر الله من طريق الوحْي نسخت، وإن كانت باجتهاد فلا. حكاه ابن حبيب النيسابوريّ في تفسيره.

[1] -السيوطي/ الإتقان(3/63-64) باختصار

وقال الشافعي: حيث وقع نسخ القرآن بالسنَّة، فمعها قرآن عاضد لها، وحيث وقع نسخ السنَّة بالقرآن معه سنَّة عاضدة له؛ ليتبيَّن توافق القرآن والسنَّة[1].

و قد ذهب كثير من المحققين إلى أن السنة غير المتواترة لا تنسخ القرآن، وقالوا: إن ما ورد من الأمثلة من السُّنة الناسخة للقرآن يمكن بالتتبع إثبات أن مع هذه السنة قرآنًا عاضدًا لها، كآية الوصية مثلاً نسخت بآيات المواريث مع الحديث الصحيح:" إنّ الله أعطى كل ذي حق حقه، فلا وصية لوارث[2]" وكذا آية: {وَاللاَّتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمْ فَاسْتَشْهِدُواْ عَلَيْهِنَّ أَرْبَعةً مِّنكُمْ فَإِن شَهِدُواْ فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّىَ يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللّهُ لَهُنَّ سَبِيلاً } {النساء:15} ليست منسوخة بحديث:"خُذوا عَنِي، خُذوا عني، قد جَعَلَ اللهُ لهُنَّ سَبيلاً. الْبِكْرُ بِالْبِكْرِ جَلْدُ مِائَةٍ وَنَفْيُ سَنَةٍ ، وَالثَّيِّبُ بِالثَّيِّبِ جَلْدُ مِائَةٍ وَالرَّجْمُ [3] " ولكن الآية جعلت للإمساك غاية مبهمة فجاءت السنة وبيَّنت تلك الغاية.وقيل:بل الآية منسوخة بالآية الثانية من سورة النور وهي قوله تعالى:{ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ }.

وهنا يبرز لنَا سؤال هام: ما علاقة السُّنة بالقرآن؟

والجواب: أن السُّنة من حيث علاقتها بالقرآن على أربعة أنواع[4]:

النوع الأول: <u>بيان التقرير</u>:

وهو أن تأتي السنة بحكم موافق ومطابق للحكم الوارد في القرآن، مساوٍ له في المعنى ولم تزد عنه، سواء كانت قولية أم فعلية.

فالقولية: كأمر النبي صلى الله عليه وسلم للصحابة بصيام رمضان وإتمام الحج وصلة الأرحام والوصية بالوالدين وبالجار وباليتامى وبالنساء وغير ذلك مما يوافق ما جاء في القرآن ويطابقه.

والفعلية: أن الله أمر في الوضوء بغسل الوجه ، والكفين إلى المرفقين، ومسح الرأس، وغسل الرجلين إلى الكعبين، ففعل النبي ذلك امتثالاً لأمر الله تعالى، وتعلم الصحابة منه ذلك.

النوع الثاني: <u>بيان التفسير</u>:

ومن الأمثلة على ذلك:

1- أن يأتي الحكم أو القول في القرآن مجملاً، لا يُدرى المراد منه تفصيلاً، فتأتي السنة فتبين التفصيل.ومثال ذلك أن الله تعالى أمر بالصلاة ولكن لم يبين عدد

---

[1] - السيوطي/ الإتقان (60/3).

[2] - رواه أحمد(17702) والترمذي (2121) وصححه، وأبو داود (2870) والنسائي(3641)وغيرهم.

3 - رواه أحمد(22718) ومسلم(1690) وأبو داود(4415) والترمذي(1434) وابن ماجة(2550).

[4]-أنظر:الواضح في أصول الفقه للأشقر(ص:88-90) والحديث والمحدثون(ص:38-45) لمحمد أبو زهو

الصلوات ، ولا عدد الركعات، ولا كيفياتها، ولا أوقاتها ،ولا كل شروطها، فجاءت السنة ببيان كل ذلك وتفصيله،وكذلك جاءت بتفصيل أحكام الزكاة ومناسك الحج وغير ذلك مما جاء مجملاً غير مفصلٍ في القرآن.

2- ومنه ما جاء في القرآن عامًا فخصصته السّنة كالحديث - الذي في الصحيحين وغيرهما- الذي يبين أن الظلم المراد في قوله تعالى : {الَّذِينَ آَمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ} [الأنعام:82] ليس على عمومه كما فهم بعض الصحابة بل المراد به الشرك كما بينه لهم النبي صلى الله عليه وسلم.

3- ومنه تقييد المطلق كالأحاديث التي بينت المراد من اليد[1] في قوله تعالى: {وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا}[المائدة:38] أنها اليد اليمنى وتقطع من الكف،ولا تقطع إلا فيما كان محرَّزًا وقيمته ربع دينار فصاعدًا، وقد روى الترمذي(145) وصححه عن ابن عباس قال: فَكَانَتْ السُّنَّةُ فِي الْقَطْعِ الْكَفِّيْنِ.وجاء في صحيح البخاري معلقاً(6/ 2491): " وقطع عليٌّ رضي الله عنه من الكَفِّ ".

4- ومنه توضيح المشكل كالحديث- الذي في الصحيحين وغيرهما- الذي يبين المراد من الخيطين في قوله تعالى: {وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ}[البقرة:187] حيث فهم منه أحد الصحابة- وهو عدي بن حاتم- العقال الأبيض والعقال الأسود فقال النبي: " إِنَّمَا ذَلِكَ سَوَادُ اللَّيْلِ وَبَيَاضُ النَّهَارِ".
فالسنة عمومًا تبين مجمل القرآن وتخصص عامّه وتقيد مطلقه وتوضح مشكله،وهذا كله من بيان التفسير.
الثالث:<u>بيان التبديل</u>:
وهو أن تأتي السنة بحكم متأخرٍ مخالف أو معارض لما ذُكر في القرآن ، على وجهٍ لا يمكن الجمع بينهما، فتكون ناسخة له،والنسخ من قبيل البيان لأنه بيان انتهاء أمد الحكم،ولذلك سُمي بيان التبديل، وهذا يثبته بعض العلماء وينكره بعضهم، كما بيّنا ذلك سابقًا .
الرابع:<u>أن تأتي السنة بحكم جديد</u>، مستقلة به، ليس له ذكر في القرآن ،وهو حجة أيضًا، بدلالة صدق الرسول صلى الله عليه وسلم وأنه لا ينطق عن الهوى، وقد أمر القرآن نفسه بطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم وبين أن طاعته إنما هي طاعة لله تعالى ، فلو كان لا يطاع إلا فيما يوافق القرآن لم تكن له طاعة خاصة، بل كانت الطاعة حينئذ للقرآن فقط وهذا يخالف ما جاء في القرآن فقد قال تعالى : {مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ} [النساء:80] وقال تعالى:{ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا

1 - أنظر تفصيل ذلك بأدلته في السنن الكبرى(8/253-282) للبيهقي(كتاب السرقة جماع أبواب القطع في السرقة)

الرَّسُولَ} {النور:54} وقال تعالى:{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ}[النساء:59] وقد كرر الفعل(أطيعوا) ليثبت وجوب طاعته صلى الله عليه وسلم طاعة مطلقة غير مقيدة كما يجب طاعة الله تعالى طاعة مطلقة غير مقيدة، وقال تعالى {وَمَا آَتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا} {الحشر:7} وأيضًا قول الله تعالى:{ وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ} {النساء:113} يدل على أن الحكمة شيء آخر غير الكتاب ، ولا تكون إلا السُّنة، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: " أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ، أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْقُرْآنَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ، لَا يُوشِكُ رَجُلٌ يَنْثَنِي شَبْعَانًا عَلَى أَرِيكَتِهِ يَقُولُ: عَلَيْكُمْ بِالْقُرْآنِ فَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَلَالٍ فَأَحِلُّوهُ وَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَرَامٍ فَحَرِّمُوهُ، أَلَا لَا يَحِلُّ لَكُمْ لَحْمُ الْحِمَارِ الْأَهْلِيِّ، وَلَا كُلُّ ذِي نَابٍ مِنْ السِّبَاعِ، أَلَا وَلَا لُقَطَةٌ مِنْ مَالِ مُعَاهَدٍ إِلَّا أَنْ يَسْتَغْنِيَ عَنْهَا صَاحِبُهَا، وَمَنْ نَزَلَ بِقَوْمٍ فَعَلَيْهِمْ أَنْ يَقْرُوهُمْ فَإِنْ لَمْ يَقْرُوهُمْ فَلَهُمْ أَنْ يُعْقِبُوهُمْ بِمِثْلِ قِرَاهُمْ"[رواه أحمد(17213) - بسند صحيح - وأبو داود (4604) وغيرهما].

*** مباحث في التفسير ***

المبحث الأول : ما جاء في فضل تفسير القرآن وأهله

قال تعالى: {قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ} [الزمر: (9)]

ويكفي في فضل تعلم التفسير أن النبي صلى الله عليه وسلم دعا لابن عباس به فقال صلى الله عليه وسلم:" اللهُمَّ فَقِّهْ فِي الدِّينِ، وَعَلِّمْهُ التَّأْوِيلَ "[1]

وقال القرطبي في تفسيره :

قال علماؤنا - رحمة الله عليهم - : وأما ما جاء في فضل التفسير عن الصحابة والتابعين :

(1) فمن ذلك : أن على بن أبي طالب - رضي الله عنه - ذكر جابر بن عبد الله ووصفه بالعلم ، فقال له رجل : جعلت فداك ! تصف جابراً بالعلم وأنت ! فقال : إنه كان يعرف تفسير قوله تعالى : " إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد " {القصص : 85}

(2) وقال مجاهد : أحب الخلق إلى الله تعالي أعلمهم بما أنزل ،

[1] - رواه أحمد () وقال الأرنؤوط: إسناده قوي على شرط مسلم.وأخرجه الحاكم في المستدرك(617/3 رقم 6287) وصححه، و الطبراني في الكبير(10/ 238 رقم 10587) وغيرهما.

(3) وقال الحسن : والله ما أنزل الله آية إلا أحب أن أعرف فيما أنزلت وما يعنى بها.

(4) وقال الشعبي : رحل مسروق إلى البصرة في تفسير آية فقيل له : إن الذي يفسرها رحل إلى الشام ، فتجهز ورحل إلى الشام حتى علم تفسيرها.

(5) وقال عكرمة في قوله عز وجل (ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله) {النساء : 100} طلبت اسم هذا الرجل " الذي خرج مهاجراً إلى الله ورسوله " أربعة عشر سنة حتى وجدته ، وقال ابن عبد البر : هو ضمرة بن حبيب وسيأتى.

(6) وقال ابن عباس : مكثت سنتين أريد أن أسأل عمر بن الخطاب عن المرأتين اللتين تظاهرتا على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ما يمنعني إلا مهابته فسألته فقال : حفصة وعائشة.

(7) وقال إياس بن معاوية : مثل الذين يقرؤون القرآن وهم لا يعلمون تفسيره ، كمثل قوم جاءهم كتاب من ملكهم ليلاً ليس عندهم مصباح ، فقد أخلتهم روعته ولا يدرون ما في الكتاب ، ومثل الذي يعرف تفسيره كمثل رجل جاءهم بمصباح فقرؤوا ما في الكتاب. ا هـ. [1]

****

المبحث الثاني : معنى التفسير والتأويل والفرق بينهما

* *التفسير في اللغة*: هوالإيضاح والتبيين قال تعالى: {وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيراً }[الفرقان:33] فقولنا: فسَّر بمعنى: بيَّن ووضح، وكلامٌ مفسر: أي واضح ظاهر.

وأما التفسير في الاصطلاح: فهوعلمٌ يُعرف به فهم كتاب الله تعالى المنزل على نبيه محمد صلى اله عليه وسلم، وبيان معانيه واستخراج أحكامه وحِكَمِه[2]، أو: هو علم يبحث فيه عن القرآن الكريم من حيث دلالته على مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية.

* *و أما التأويل لغةً*: فهو من الأَوْل بمعنى الرجوع، فكأن المفسِّر أرجع الآية إلى ما تحتمله من المعاني.

[1] - تفسيرالقرطبي - حـ1 - صـ31

[2] - هذا تعريف الزركشي كما في البرهان ص:12

ويرى بعض العلماء أن التأويل مرادفٌ للتفسير، حتى قال صاحب القاموس: أَوَّلَ الكلام تأويلاً وتأوله بمعنى: دبَّره وقدَّره وفسَّره، ومنه قوله تعالى:{ ابْتِغَاء الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاء تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ }[آل عمران:7]

أما التويل فَي الاصطلاح: فهو عند المتقدمين بمعنى التفسير، فيقال:تفسير القرآن، ويقال:تأويل القرآن، بمعنىً واحد. فتفسير الطبري سماه " جامع البيان عن تأويل آي القرآن " ، وعند تفسير الآيات الكريمة يقول : القول في تأويل كذا ، أو اختلف أهل التأويل ، أو اتفق أهل التأويل ... إلخ .

وذهب فريقٌ من العلماء إلى أن بين التفسير والتأويل فرقًا جليًا، وقد اشتهر هذا عند المتأخرين.

فالتفسير عندهم هو المعنى الظاهر من الآية الكريمة وأما التأويل فهو ترجيح بعض المعاني المحتملة من الآية الكريمة التي تحتمل عدة معانٍ[1] .وليس هذا الترجيح بقطعي بل هو ترجيح بالأظهر والأقوى.

أما التأويل في أصول الفقه فيعنون به صرف اللفظ عن ظاهره إلى معنىً آخر لدليل يقترن به لاستحالة حمل اللفظ على ظاهره شرعًا وعقلاً. قال ابن تيمية " التأويل في عرف المتأخرين من المتفقهة والمتكلمة والمحدِّثة والمتصوفة ونحوهم : هو صرف اللفظ عن المعنى الراجح إلى المعنى المرجوح لدليل يقترن به ، وهذا هو التأويل الذي يتكلمون عليه في أصول الفقه ومسائل الخلاف.. .أهـ[2]

وقد يطلق على التفسير أيضاً: المعنى ؛ فالفراء ـ مثلاً ـ سمى تفسيره " معاني القرآن " ، وسئل أبو العباس أحمد بن يحيى عن التأويل فقال : التأويل والمعنى والتفسير واحد ، وقال مثل هذا ابن الأعرابي [3]

وروى عن ابن مسعود أنه قال : كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن ، والعمل بهن [4].

فائدة :

قرر علماء الشريعة أن الأصل في النصوص الشرعية- قرآنًا وسُنَّة ـ هو المعنى الظاهر من هذه النصوص وعدم تأويلها إلى معني يخالف الظاهر ، إذ التأويل خلاف الأصل ، ولا يعدل عن الأصل إلى خلافه إلا بدليل . وعلى هدي من هذا الأصل ، وحفاظا على نصوص الشريعة من نزعات الهوى وضعوا شروطًا للتأويل ، ولم

---

1 ـ التبيان في علوم القرآن للصابوني ص:74

2 ـ دقائق التفسير من تفسيرالإمام ابن تيمية ص:109-110 وقال الفخر الرازي محمد بن عمر بن الحسين (ت 606) في كتابه أساس التقديس ص:222: ـ (التأويل هو صرف اللفظ عن ظاهره إلى معناه المرجوح ، مع قيام الدليل القاطع عن أن ظاهره محال) ونلحظ عند الرازي أن التأويل (الذي بمعنى صرف اللفظ عن ظاهره) لا يلجأ إليه إلا إذا دعت الحاجة ، واستحال قبول المعنى الظاهر.

3- راجع لسان العرب ، مادتى " فسر " و " أول " .

4- انظر تفسير الطبري (1/ 80) .

يعتبروا التأويل صحيحًا مقبولاً إلا بتوفر هذه الشروط ، وإلا فهو تأويل فاسد مردود . ومن أهم هذه الشروط ، ما يلي[1] :

أولاً : أن يكون المتأول ممن توفرت فيه شروط الاجتهاد ، عالمًا بأسباب التأويل ومجالاته ، ملمًا بمدلولات الألفاظ ، ومقاصدها ، عالمًا بروح الشريعة الإسلامية وأدلتها ، وله دراية بأسباب النزول ، والناسخ والمنسوخ . ، فإن فقد هذا الشرط في المؤول ، لم يكن أهلاً للتأويل .

ثانيًا : أن يكون المعنى الذي أوّل إليه اللفظ ، من المعاني التي يحتملها اللفظ نفسه ، وإنما يكون اللفظ قابلا للمعنى الذي يُصرف إليه إذا كان بينه وبين اللفظ نسب من الوضع اللغوي ، أو عرف الاستعمال أو عادة الشرع فقد جرت عادة الشرع على تخصيص العام في كثير من نصوصه[2] ، مثل قصر الوجوب في كلمة (الناس) في قوله تعالى : {وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ}[آل عمران:97] على المكلفين ،دون الصبيان والمجانين. كذلك تقييد المطلق [3] ، جرت به عادة الشرع ، واللغة لا تأباه، فقد قام الدليل على تقييد (الوصية) المطلقة في قوله تعالى:{ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ } [النساء:11] بالثلث في قوله صلى الله عليه وسلم لسعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: "الثُّلُثُ، وَالثُّلُثُ كَثِيرٌ، إِنَّكَ أَنْ تَذَرَ وَرَثَتَكَ أَغْنِيَاءَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَذَرَهُمْ عَالَةً يَتَكَفَّفُونَ النَّاسَ "[4] .
العام إذا صرف عن العموم ، وأريد به بعض أفراده بدليل ، فهو تأويل صحيح ، لأن العام يحتمل الخصوص ، وحين يراد به بعض أفراده ، فقد أُوّلَ إلى معنى يحتمله.
والمطلق إذا صرف عن الشيوع ، وحمل على المقيد بدليل فهو تأويل صحيح .
أما إذا كان المعنى الذي صرف إليه اللفظ من المعاني التي لا يحتملها اللفظ نفسه ، ولا يدل عليها وجه من وجوه الدلالة ، فلا يكون التأويل صحيحًا مقبولاً .

---

[1] -انظر : الشاطبي/الموافقات ، (4/ 105-118). ود. محمد سلام مدكور/ المدخل للفقه الإسلامي ، ص 286-291. - د. محمد أديب الصالح : تفسير النصوص (381/1).
د. محمد فتحي الدريني/ المناهج الأصولية ، ص 76-77 ، والشوكاني/ إرشاد الفحول ص 177

[2] - العام : هو اللفظ الذي يستغرق جميع ما يصلح له من الأفراد ، وتخصيص العام : هو قصر اللفظ على بعض أفراده ، أو صرف العام عن عمومه . انظر : د. وهبة الزحيلي/أصول الفقه الاسلامي ، (2/ 243، 254)

[3] - المطلق : هو اللفظ الخاص الذي يدل على فرد شائع أو أفراد على سبيل الشيوع ، ولم يتقيد بصفة من الصفات ، كقوله تعالى في آية الظهار: {فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا} [سورة المجادلة:3] والرقبة واقعة على صفات متغايرة ، من كفر ، وإيمان ، وذكورة ، وأنوثة ، وصغر ، وكبر . أما المقيد : فهو اللفظ الواقع على صفات قيد ببعضها ، كقوله تعالى في كفارة القتل { فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ } [سورة النساء:92] ، فاسم الرقبة : واقع على المؤمنة والكافرة ، فلما قيدها هنا بالإيمان ، كان مقيدا من هذا الوجه . انظر د. وهبة الزحيلي : أصول الفقه : (1/ 208 – 254).

[4] - رواه البخاري(1233) وغيره

وعلى هذا ، فإن التأويل لا يدخل في النصوص الدالة على أحكام أساسية تعتبر من العقائد وقواعد الدين ، ولا تتغير بتغير الزمن : كالإيمان بالله تعالى ، وملائكته ، وكتبه ورسله واليوم الآخر .
وكذلك النصوص الدالة على أحكام هي من أمهات الفضائل ، وقواعد الأخلاق التي تقرها الفطر السليمة ، ولا تستقيم حياة الأمم بدونها كالوفاء بالعهد ،والعدل ، وأداء الأمانة ، والمساواة أمام الشريعة وصلة الأرحام ، وبر الوالدين ، والصدق ، والنصوص التي تحرم أضدادها من : الكذب ،والخيانة ، وعقوق الوالدين ، والنصوص التي اقترن بها ما يفيد التأبيد وغيرها من القواعد الأساسية ، التي لا تحتمل تأويلاً ولا نسخًا ، منذ أوحي بالنصوص التي تقررها.

ثالثًا: أن لا يتعارض التأويل مع نصوص قطعية الدلالة ، لأن التأويل منهج من مناهج الاستدلال والاستنباط الاجتهادي الظني ، والظني لا يقوى على معارضة القطعي ، كتأويل القصص الوارد في القرآن الكريم ، بصرفها عن معانيها الظاهرة إلى معانٍ أخرى يصيرها خيالية لا واقع لها ، وهذا التأويل معارض لصريح الآيات القاطعة التي تدل على أن لها واقعًا تاريخيًا.

رابعًا:أن يستند التأويل إلى دليلٍ صحيحٍ يدل على صرف اللفظ عن معناه الظاهر إلى غيره ، وأن يكون هذا الدليل راجحًا على ظهور اللفظ في مدلوله ، لأن الأصل هو العمل بالظاهر ، إلا إذا قام دليل على أن المراد باللفظ هو المعنى الذي حمل عليه ، فالعام مثلا على عمومه ، ولا يقصر على بعض أفراده إلا بدليل ، والمطلق على إطلاقه ، ولا يعدل عن إطلاقه الشائع إلى تقييده إلا بدليل يدل على إرادة هذا القيد ، وظاهر الأمر الوجوب فيعمل به حتى يقوم الدليل على الندب أو الإرشاد أو غيرهما ، والنهي ظاهره التحريم ، فيعمل به حتى يدل الدليل على العدول عنه إلى الكراهة مثلاً. ويشترط في الدليل أن يكون صحيحًا مُعتبرًا شرعًا من كتاب أو سنة أو إجماع، ويرشد إلى تحديد إرادة الشارع في النصوص المتعارضة .

****

المبحث الثالث : أقسام التفسير

- ***يوجد تقسيمان للعلماء في ذلك:***

الأول: تقسيم العلماء المتقدمين: فقسَّموا التفسير إلى ثلاثة أقسام كالتالي:
1- التفسير بالرواية أوالتفسير بالمأثور.
2- التفسير بالدراية أوالتفسير بالرأي.
3- التفسير بالإشارة (أوالإشاري).
الثاني: تقسيم بعض العلماء المتأخرين وهو كالتالي.
1- التفسير التحليلي.

2- التفسير الإجمالي.
3- التفسير المقارن.
4- التفسير الموضوعي.

➢ **ولنذكر كل قسم من هذه الأقسام بشيء من التفصيل والتوضيح:**

** **التفسير بالمأثور:**

يشمل التفسير المأثور: 1- ما جاء في القرآن نفسه من البيان والتفصيل لبعض آياته، لأنه قد يَرِدُ إجمال في آية تبيّنه آية أخرى ، وإبهام في آية توضّحه آية أخرى ، وهكذا[1].

---

[1] - ويدخل في مصطلح تفسير القرآن بالقرآن ما يلي :
أ- الآية المخصصة لآية عامة:
ورد لفظ الظلم عاماً في قوله تعالى: {الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ}[الأنعام: 82]. وقد خصّه الرسول صلى الله عليه وسلم بالشرك ، واستدل له بقوله تعالى: {إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ} [لقمان: 13].
- وفي قوله تعالى: { وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا} [الإسراء: 24].عموم يشمل كل أبٍ: مسلم أوكافر ، وهو مخصوص بقوله تعالى: {مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُوْلِي قُرْبَى}[التوبة: 113].فخرج بهذا الاستغفار للأبوين الكافرين ، وظهر أن المراد بها الأبوان المؤمنان .
ب- الآية المبيّنة لآية مجملة:
- أجمل الله القدر الذي ينبغي إنْفَاقُهُ في قوله تعالى: { وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ} [البقرة: 3] ، وبين في مواضع أخر: أن القدر الذي ينبغي إنفاقه هو الزائد عن الحاجة وسدّ حاجة الخَلّة التي لابد منها ، وذلك كقوله: { وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ العَفْوَ} [البقرة: 219] والمراد بالعفو: الزائد على قدر الحاجة التي لابدّ منها ، على أصحّ التفسيرات ، وهو مذهب الجمهور .
- وفي قوله تعالى: { أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ الأَنْعَامِ إِلاَّ مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ} [المائدة: 1] ، إجمال في المتلو ، وقد بيّنه قوله تعالى: { حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ المَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلاَّ مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ}[المائدة: 3].
ج- الآية المقيدة لآية مطلقة:
- أطلق الله استغفار الملائكة لمن في الأرض ، كما في قوله تعالى: { وَالْمَلائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي الأَرْضِ} [الشورى: 5] ، وقد قيّد هذا الإطلاق بالمؤمنين في قوله تعالى: {الَّذِينَ يَحْمِلُونَ العَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا } [غافر: 7].
- وفي قوله تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْراً لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ } [آل عمران: 90] ، إطلاق في عدم قبول التوبة ، وهو مقيّد في قول بعض العلماء بأنه إذا أخّروا التوبة إلى حضور الموت ، ودليل التقييد قوله تعالى: { وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ المَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الآنَ وَلا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ } [النساء: 14].
د- تفسير لفظة غريبة في آية بلفظة أشهر منها في آية أخرى:
ورد لفظ «سِجّيل»في قوله تعالى: {وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُود} [هود: 82] ، والممطر عليهم هم قوم لوط (عليه الصلاة والسلام) ، وقد وردت القصة في الذاريات وبان أن المراد بالسجيل: الطين ، في قوله تعالى: {قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ*لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ} [الذاريات: 32 ، 33](15). ومثل تفسير « الطارق» في قوله تعالى: { وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ} [الطارق: 1] بقوله تعالى في نفس السورة: { النَّجْمُ الثَّاقِبُ} [الطارق: 3]
هـ- تفسير معنى آية بآية أخرى:

2- وما نُقل عن الرسول صلى الله عليه وسلم.
3- وما نُقِل عن الصحابة رضوان الله عليهم.
4- وما نُقِل عن التابعين، مِن كل ما هو بيان وتوضح لمراد الله تعالى من نصوص كتابه الكريم.

وإنما أدرجنا فى التفسير المأثور ما رُوِىَ عن التابعين - وإن كان فيه خلاف: هل هو من قبيل المأثور أو من قبيل الرأى - لأننا وجدنا كتب التفسير بالمأثور، كتفسير ابن جرير وابن أبي حاتم وغيرهما، لم تقتصر على ذِكْر ما رُوِىَ عن النبى صلى الله عليه وسلم وما رُوِىَ عن أصحابه، بل ضمت إلى ذلك ما نُقِل عن التابعين فى التفسير كالحسن البصري وأبي العالية ومحمد بن كعب القرظي وزيد بن أسلم ومجاهد وقتادة وغيرهم.

أما تفسير القرآن بالقرآن. أو بما ثبت من السُّنَّة الصحيحة، **فذلك مما لا خلاف في قبوله، لأنه لا يتطرق إليه الضعف. ولا يجد الشك إليه سبيلاً. وأما ما لم تصح نسبته إلى النبى صلى الله عليه وسلم لطعنٍ في السند أو المتن فذلك مردود غير مقبول.**
وأما تفسير القرآن بما يُروى عن الصحابة أو التابعين، **ففيه ما ثبت عنهم بالسند الصحيح ، وفيه ما نقل عنهم بالسند الضعيف، بل وفيه ما نسب إليهم كذبًا وليس من كلامهم. وقيَّض الله تعالى من العلماء مَن بيّن الصحيح من السقيم، وإن كان صحيحها وسقيمها لا يزال خليطاً فى كثير من الكتب التى عَنِىَ أصحابها بجمع شتات الأقوال ولم يكن عندهم مَلَكة التحري. ولذلك ستجد كثيرًا ما يذكر بعض المفسرين في كتبهم آثارًا –لا تثبت- وقد يغتر الجاهل بكثرة ورودها في هذه الكتب ،كما هو الحال في كثير من الإسرائيليات أو الأخبار التي يحتج بها المبتدعة وأصحاب الفرق الضالة، وليست العبرة بعدد من روى هذه الأخبار أو بعدد من ذكرها، وإنما العبرة بصحة السند إلى قائله، فكم من الأحاديث والآثار ليس لها إلا طريق واحد ولكنها صحيحة لأنها استوفت شروط الصحة المعروفة عند المُحَدِّثين[1]، وكم من حديثٍ تعددت طرقه ولا قيمة لها لأن جميع طرقه لا تخلو من كذاب أو متهم بكذب، بل من المعلوم عند المحدِّثين أن الحديث الذي كثرت طرقه**

التسوية بالأرض في قوله تعالى: { يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الأَرْضُ} [النساء: 42] ، يراد بها: أن يكونوا كالتراب ، والمعنى: يودّون لو جُعِلوا والأرض سواءً ، ويوضح هذا المعنى قوله تعالى: { وَيَقُولُ الكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَاباً} [النبأ: 40](16).(مستفاد من: مصادر التفسير لمساعد بن سليمان الطيار)

[1] - وهذه الشروط خمسة:اتصال السند- عدالة الرواة - ضبط الرواة – عدم الشذوذ- عدم العِلَّة.فإذا فقد شرطًا- أو أكثر- من هذه الشروط كان الحديث مردودًا غير مقبول.

ولكن لا تخلو من كذاب أو متهم بكذب، فإن كثرة الطرق لا تقويه بل تزيده ضعفًا على ضعفه لتوارد الكذابين عليه . بخلاف الحديث الذي ليس في طرقه وضاعٌ أو متهمٌ بكذب فهذا قد يتقوى بكثرة الطرق .

هل فَسّرَ الرسول صلى الله عليه وسلم القرآن كلَّه؟

إنّ الرسول صلى الله عليه وسلم بيَّن الكثير من معانى القرآن لأصحابه، كما تشهد بذلك الأحاديث الصحيحة، ولم يُبيِّن كل معانى القرآن، لأن من القرآن ما استأثر الله تعالى بعلمه، ومنه ما يعلمه العلماء، ومنه ما تعلمه العرب من لغاتها، ومنه ما لا يعُذر أحد فى جهالته كما صرّح بذلك ابن عباس فيما رواه عنه ابن جرير، قال: " التفسير على أربعة أوجه: وجه تعرفه العرب من كلامها، وتفسير لا يُعذر أحد بجهالته، وتفسير تعرفه العلماء، وتفسير لا يعلمه إلا الله"[1].

وبدهى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفسِّر لهم ما يرجع فهمه إلى معرفة كلام العرب، لأن القرآن نزل بلغتهم، ولم يفسِّر لهم ما تتبادر الأفهام إلى معرفته وهو الذى لا يُعزر أحد بجهله، لأنه لا يخفى على أحد، ولم يفسِّر لهم ما استأثر الله بعلمه كقيام الساعة، وحقيقة الروح، وغير ذلك من كل ما يجرى مجرى الغيوب التى لم يُطلع الله عليها نبيه، وإنما فسَّر لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض المغيبات التى أخفاها الله عنهم وأطلعه عليها وأمره ببيانها لهم، وفسَّر لهم أيضاً كثيراً مما يندرج تحت القسم الثالث، وهو ما يعلمه العلماء ويرجع إلى اجتهادهم، كبيان المجمل، وتخصيص العام، وتوضيح المشكل، وما إلى ذلك من كل ما خفى معناه والتبس المراد به[2].

***<u>وإليك بعض الأمثلة مما فَسَّرَه الرسول صلى الله عليه وسلم:</u>**

1 ـ فسّر النبي صلى الله عليه وسلم المغضوب عليهم – في سورة الفاتحة- بأنهم اليهود والضالين بأنهم النصارى قال صلى الله عليه وسلم : " اليهود مغضوب عليهم والنصارى ضلال " [3].

2ـ قال صلى الله عليه وسلم : " قيل لبنى إسرائيل { ادْخُلُواْ الْبَابَ سُجَّداً وَقُولُواْ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ }[البقرة:58] فبدلوا، فدخلوا الباب يزحفون على أستاههم وقالوا : حبة في شعرة "[4].

3ـ قال النبي صلى الله عليه وسلم في قوله: { وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا } [القرة:143] قال: عدلاً . وفي رواية:

---

[1] -تفسير الطبري (75/1)

[2] -الذهبي/ التفسير والمفسرون(42/1)

[3]- رواه الترمذي(2954) وغيره وصححه الألباني .

[4] - رواه أحمد(8213) والبخاري(3222) ومسلم(3015) والترمذي(2956) وغيرهم.

" يُدعى نوحٌ يوم القيامة، فيقول : لبَيْك وسَعديْك يا رب ، فيقول : هل بلغت ؟ فيقول : نعم . فيقال لأمته : هل بلغكم ؟ فيقولون : ما أتانا من نذير ، فيقول : من يشهد لك ؟ فيقول : محمد وأمته ، فيشهدون أنه قد بلغ ، ويكون الرسول عليكم شهيداً فذلك قوله جل ذكره { وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدً } والوسط : العدل "[1] .

4 - فسَّر النبي صلى الله عليه وسلم قوله تعالى: { وَكُلُواْ وَاشْرَبُواْ حتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ } [البقرة:187] ببياض النهار من سواد الليل فعن عدى بن حاتم رضي الله عنه قال : " قلت : يا رسول الله ، ما الخيط الأبيض من الخيط الأسود ، أهما الخيطان ؟ قال : إنك لعريض القفا إن أبصرت الخيطين . ثم قال : لا ، بل هو سواد الليل وبياض النهار "[2] .

5 - عن أم سلمة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى :{ نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ إني شِئْتُمْ }[البقرة:223] يعنى صماماً واحداً .[3]

6 - وفسّر الصلاة الوسطى بصلاة العصر وذلك في قول الله تعالى:{ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى }[البقرة: 238] فقال صلى الله عليه وسلم يوم الخندق : " حبسونا عن صلاةِ الوسطى حتى غابت الشمسُ " وفى رواية " شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر"[4]

7 - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : "مَنْ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَلَمْ يُؤَدِّ زَكَاتَهُ مُثِّلَ لَهُ مَالُهُ شُجَاعًا أَقْرَعَ لَهُ زَبِيبَتَانِ ،يُطَوَّقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، يَأْخُذُ بِلِهْزِمَتَيْهِ- يَعْنِي بِشِدْقَيْهِ- يَقُولُ: أَنَا مَالُكَ، أَنَا كَنْزُكَ،ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: { وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ } [آل عمران:180]" [5] .

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ يَبْلُغُ بِهِ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "مَا مِنْ رَجُلٍ لَا يُؤَدِّي زَكَاةَ مَالِهِ إِلَّا جَعَلَ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي عُنُقِهِ شُجَاعًا ثُمَّ قَرَأَ عَلَيْنَا مِصْدَاقَهُ مِنْ

1 - أخرجه أحمد (11575) والبخاري(4217) والترمذي(2961) وغيرهم.
2 - رواه البخاري(4240)ومسلم(1090) وأبو داود(2349) والترمذي(2970) وغيرهم .
3 -رواه أحمد(26749) والترمذي(2979)وحسنه، وصححه الألباني .ويقصد بالصمام الواحد :القُبل(الفرج)
4 - رواه أحمد(617) والبخاري(4259) ومسلم(627) والترمذي(2984)وغيرهم.
5 - رواه البخاري (4289) والنسائى(2482) وغيرهما.

كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: { وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمْ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ }الْآيَةَ. و قَالَ مَرَّةً: قَرَأَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِصْدَاقَهُ { سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ }
وَمَنْ اقْتَطَعَ مَالَ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ بِيَمِينٍ لَقِيَ اللَّهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانُ ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِصْدَاقَهُ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ:{ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ } [آل عمران:77]" [1]

8 ـ وفسَّر صلى الله عليه وسلم الحسنى بالجنة والزيادة بالنظر إلى وجه الله الكريم. فعن صُهَيب ـ رضي الله عنه ـ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : "إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، قَالَ: يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا، أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ. قَالَ: فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنْ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ، ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: { لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ }[يونس:26] [2]

9ـ عَنْ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ قَالَ: بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى نَجْرَانَ قَالَ فَقَالُوا أَرَأَيْتَ مَا تَقْرَءُونَ{ يَا أُخْتَ هَارُونَ}[مريم: 28] وَمُوسَى قَبْلَ عِيسَى بِكَذَا وَكَذَا، قَالَ فَرَجَعْتُ فَذَكَرْتُ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: أَلَا أَخْبَرْتَهُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا يُسَمَّوْنَ بِالْأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ قَبْلَهُمْ"[3]

10 ـ وفسر النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الظلمَ بالشرك في قوله تعالى: {الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ }[الأنعام:82]. فعن عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ: { الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ } قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّنَا لَا يَظْلِمُ نَفْسَهُ، قَالَ: لَيْسَ كَمَا تَقُولُونَ ، { لَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ } بِشِرْكٍ، أَوَلَمْ تَسْمَعُوا إِلَى قَوْلِ لُقْمَانَ لِابْنِهِ:
{ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ }[لقمان:13][4]

11ـ وفسر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الدعاء بالعبادة في قوله تعالى:{ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ }. فعَنْ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:" الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ وَقَرَأَ: { وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ } [غافر:60] "[5] .

1 - رواه أحمد(4212)والترمذي(3012) وصححه- واللفظ له- وابن ماجة(1784).وصححه الألباني.
2 - أخرجه أحمد (18955)ومسلم(181) والترمذى(2552) وابن ماجه(187) وغيرهم.
3- أخرجه أحمد (18226) ومسلم(2135) والترمذى(3155) وغيرهم.
4 - رواه أحمد(3589) والبخاري(3181) ومسلم(124) وغيرهم.
5 - رواه أحمد(18410) والترمذي(2969) وصححه وغيرهما.وصححه الألباني وشعيب الأرنؤوط.

12- وعن عبد الله بن عمر: أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم- قال: مفاتح الغيب[1] خمسٌ: {إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَداً وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ} [لقمان: 34]" [2].

وفي الأمثلة الثلاثة السابقة فسَّر النبي صلى الله عليه وسلم آيات من القرآن بأخرى من القرآن وهذه أفضل طرق التفسير وأعلاها.

13- وعَنْ الْبَرَاءِ بن عازب رضي الله عنه عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: { يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ }[إبراهيم:27]
قَالَ : "فِي الْقَبْرِ إِذَا قِيلَ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ وَمَا دِينُكَ؟ وَمَنْ نَبِيُّكَ؟ "[3].

14 - وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَذِهِ الْآيَةَ: { يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا }[الزلزلة:4]
قَالَ: أَتَدْرُونَ مَا أَخْبَارُهَا؟ قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ .قَالَ: " فَإِنَّ أَخْبَارَهَا أَنْ تَشْهَدَ عَلَى كُلِّ عَبْدٍ أَوْ أَمَةٍ بِمَا عَمِلَ عَلَى ظَهْرِهَا تَقُولُ عَمِلَ يَوْمَ كَذَا كَذَا وَكَذَا فَهَذِهِ أَخْبَارُهَا"[4] .

15- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي قَوْلِهِ: { وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا }[الإسراء:78] قَالَ: تَشْهَدُهُ مَلَائِكَةُ اللَّيْلِ وَمَلَائِكَةُ النَّهَارِ[5]

هل فسّر الصحابةرضي الله عنهم القرآن كله؟

---

[1] - أي المذكورة في قول الله تعالى:{ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ}[الأنعام:59]
2 - رواه البخاري(4351) والنسائي في الكبرى(7728) وعبد بن حميد(733) وغيرهم.
3 - رواه البخاري(1303) ومسلم(2871) وأبو داود(4750)والترمذي(3120)- واللفظ له- وسائر أصحاب السنن.
2- رواه أحمد(8854) والترمذي(3353) وصححه وابن حبان(7360) والحاكم(3012)وقال:هذا حديث صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه، وضعفه الألباني وشعيب الأرنؤوط.

3- رواه أحمد(10137) والترمذي(3135) وصححه،وابن ماجة(670) وصححه الألباني وشعيب الأرنؤوط.

لم يفسر الصحابة القرآن كلَّه- لعدم الحاجة إلى ذلك وقتها- وإنّما بينوا غامضه وما التبس فهمه على البعض وبيَّنوا الناسخ والمنسوخ منه وأسباب نزول الآيات ونحو ذلك ، وما ثبت عن أحد من الصحابة أنه فسَّر كل سور القرآن وآياته كما هي عادة المفسرين. وهذا بخلاف التابعين ومَن بعدهم ففي عصرهم دخل غير العرب في الإسلام وظهرت العجمة فاحتاجوا إلى تفسير القرآن كله.

وكى نأخذ صورة واضحة لتفسير الصحابة رضي الله عنهم ، ننقل هنا بعض ما جاء عنهم بالروايات الصحيحة:

1 - روى البخاري(1698) ومسلم(1277)والترمذي(2965) وغيرهم عن هشام بن عروة ، عن أبيه - رضي الله عنهما - أنه قال : قلت لعائشة - رضي الله عنها - زوج النبي صلى الله عليه وسلم- وأنا يومئذ حديث السن :
أرأيت قول الله تبارك وتعالى : { إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ اللّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا } [البقرة:158] فما أرى على أحد شيئاً أن لا يطوف بهما .
فقالت عائشة : كلا ، لو كانت كما تقول كانت فلا جناح عليه أن لا يطوف بهما ، إنما أنزلت هذه الآية في الأنصار : كانوا يهلون لمناة ، وكانت مناة حذو قديد ، وكانوا يتحرجون أن يطوفوا بين الصفا والمروة ، فلما جاء الإسلام سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك ، فأنزل الله : { إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ اللّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا }

2 - وفي صحيح البخاري(4235) وغيره عن عطاء ، سمع ابن عباس يقرأ :{وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ } [البقرة:184]قال ابن عباس : ليست بمنسوخة ، هو الشيخ الكبير والمرأة الكبيرة لا يستطيعان أن يصوما فليطعمان مكان كل يوم مسكيناً.

3 - وفي البخاري(2362) ومسلم(3018) وغيرهما عن عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ أَنَّهُ سَأَلَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عَنْ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى:{ وَإِنْ خِفْتُمْ أَنْ لَا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى - إِلَى- وَرُبَاعَ }[النساء:3]
فَقَالَتْ: يَا ابْنَ أُخْتِي هِيَ الْيَتِيمَةُ تَكُونُ فِي حَجْرِ وَلِيِّهَا تُشَارِكُهُ فِي مَالِهِ فَيُعْجِبُهُ مَالُهَا وَجَمَالُهَا، فَيُرِيدُ وَلِيُّهَا أَنْ يَتَزَوَّجَهَا بِغَيْرِ أَنْ يُقْسِطَ فِي صَدَاقِهَا فَيُعْطِيهَا مِثْلَ مَا يُعْطِيهَا غَيْرُهُ، فَنُهُوا أَنْ يُنْكِحُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يُقْسِطُوا لَهُنَّ وَيَبْلُغُوا بِهِنَّ أَعْلَى سُنَّتِهِنَّ مِنْ الصَّدَاقِ، وَأُمِرُوا أَنْ يَنْكِحُوا مَا طَابَ لَهُمْ مِنْ النِّسَاءِ سِوَاهُنَّ. قَالَ عُرْوَةُ: قَالَتْ عَائِشَةُ: ثُمَّ إِنَّ النَّاسَ اسْتَفْتَوْا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ هَذِهِ الْآيَةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ:{ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ... إِلَى قَوْلِهِ: وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ }[النساء:127]
وَالَّذِي ذَكَرَ اللَّهُ أَنَّهُ يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ الْآيَةُ الْأُولَى الَّتِي قَالَ فِيهَا

{ وَإِنْ خِفْتُمْ أَنْ لَا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنْ النِّسَاءِ }
قَالَتْ عَائِشَةُ: وَقَوْلُ اللَّهِ فِي الْآيَةِ الْأُخْرَى:{ وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ }
يَعْنِي هِيَ رَغْبَةُ أَحَدِكُمْ عن يَتِيمَتِهِ الَّتِي تَكُونُ فِي حَجْرِهِ حِينَ تَكُونُ قَلِيلَةَ الْمَالِ وَالْجَمَالِ، فَنُهُوا أَنْ يَنْكِحُوا مَا رَغِبُوا فِي مَالِهَا وَجَمَالِهَا مِنْ يَتَامَى النِّسَاءِ إِلَّا بِالْقِسْطِ مِنْ أَجْلِ رَغْبَتِهِمْ عَنْهُنَّ.

4 - وفي البخاري(6286) وغيره عن عروة بن الزبير عن عائشة رضي الله عنها : أنزلت هذه الآية:{لاَّ يُؤَاخِذُكُمُ اللّهُ بِاللَّغْوِ فِيَ أَيْمَانِكُمْ } [البقرة:225 والمائدة:89] في قول الرجل : لا والله وبلى والله " .

5 - في البخاري(3675) وغيره عن ابن عباس رضي الله عنهما { وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلاَّ فِتْنَةً لِّلنَّاسِ } [الإسراء:60] قال : هي رؤيا عين أريها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة أسرى به. { وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي القُرْآنِ }[الإسراء:60] قال : شجرة الزقوم .

6 - وفي البخاري(4537) عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ قَالَ: قَالَ رَجُلٌ لِابْنِ عَبَّاسٍ: إِنِّي أَجِدُ فِي الْقُرْآنِ أَشْيَاءَ تَخْتَلِفُ عَلَيَّ. قَالَ:
{ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ } [المؤمنون 101]{ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ } [الصافات 27]
{ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا } [النساء 42] { وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ } [الأنعام 23] فَقَدْ كَتَمُوا فِي هَذِهِ الْآيَةِ .وَقَالَ: { أَمْ السَّمَاءُ بَنَاهَا إِلَى قَوْلِهِ دَحَاهَا } [النازعات 27 – 30]
فَذَكَرَ خَلْقَ السَّمَاءِ قَبْلَ خَلْقِ الْأَرْضِ ثُمَّ قَالَ: { أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ -إِلَى قَوْلِهِ- طَائِعِينَ }[فصلت: 9 – 11]
فَذَكَرَ فِي هَذِهِ خَلْقَ الْأَرْضِ قَبْلَ خَلْقِ السَّمَاءِ .
وَقَالَ: { وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا } [النساء 96] { عَزِيزًا حَكِيمًا } [النساء 56] { سَمِيعًا بَصِيرًا } [النساء 58]
فَكَأَنَّهُ كَانَ ثُمَّ مَضَى.
فَقَالَ- ابن عباس-: { فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ }
فِي النَّفْخَةِ الْأُولَى،ثُمَّ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ{ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ }[الزمر 68] فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ عِنْدَ ذَلِكَ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ، ثُمَّ فِي النَّفْخَةِ الْآخِرَةِ { أَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ }.
وَأَمَّا قَوْلُهُ:{ مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ } { وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا }[1]

1- اعلم أن الناس في القيامة لهم أحوال و مواقف فاختلاف الأخبار عنهم لاختلاف مواقفهم و أحوالهم .

فَإِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ لِأَهْلِ الْإِخْلَاصِ ذُنُوبَهُمْ وَقَالَ الْمُشْرِكُونَ: تَعَالَوْا نَقُولُ لَمْ نَكُنْ مُشْرِكِينَ، فَخُتِمَ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ فَتَنْطِقُ أَيْدِيهِمْ، فَعِنْدَ ذَلِكَ عُرِفَ أَنَّ اللَّهَ لَا يُكْتَمُ حَدِيثًا وَعِنْدَهُ { يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا.. } الْآيَةَ [النساء 42]

وَخَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ ثُمَّ خَلَقَ السَّمَاءَ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ فِي يَوْمَيْنِ آخَرَيْنِ ثُمَّ دَحَا الْأَرْضَ وَدَحْوُهَا أَنْ أَخْرَجَ مِنْهَا الْمَاءَ وَالْمَرْعَى وَخَلَقَ الْجِبَالَ وَالْجِمَالَ وَالْآكَامَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي يَوْمَيْنِ آخَرَيْنِ فَذَلِكَ قَوْلُهُ

{ دَحَاهَا }

وَقَوْلُهُ: { خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ }

فَجُعِلَتْ الْأَرْضُ وَمَا فِيهَا مِنْ شَيْءٍ فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ وَخُلِقَتْ السَّمَوَاتُ فِي يَوْمَيْنِ.

{ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا }

سَمَّى نَفْسَهُ ذَلِكَ، وَذَلِكَ قَوْلُهُ أَيْ لَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ فَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يُرِدْ شَيْئًا إِلَّا أَصَابَ بِهِ الَّذِي أَرَادَ، فَلَا يَخْتَلِفْ عَلَيْكَ الْقُرْآنُ فَإِنَّ كُلًّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ.

7- وفي البخاري(4445) ومسلم(446)وغيرهما عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى :{وَلاَ تَجْهَرْ بِصَلاَتِكَ وَلاَ تُخَافِتْ بِهَا}[الإسراء:110] قال : نزلت ورسول الله صلى الله عليه وسلم مختفٍ بمكة ، كان إذا صلى بأصحابه رفع صوته بالقرآن ، فإذا سمع المشركون سبوا القرآن ومن أنزله ومن جاء به ، فقال الله تعالى لنبيه [وَلاَ تَجْهَرْ بِصَلاَتِكَ] أي: بقراءتك فيسمع المشركون فيسبوا القرآن [وَلاَ تُخَافِتْ بِهَا] عن أصحابك فلا تسمعهم [وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً].

8 - وفي البخاري(3306) وغيره عن طاوس عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه سُئل عن قوله : { إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى }[الشورى:23] فقال سعيد بن جبير : قربى آل محمد صلى الله عليه وسلم ، فقال ابن عباس : عَجِلتَ ، إن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن بَطنٌ من قريش إلا كان فيهم قرابة ، فقال : إلا أن تصلوا ما بينى وبينكم من القرابة .

9 - وفي البخاري (4437) ومسلم(3030) وغيرهماعن عبد الله بن مسعود في قوله تعالى:{ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ }[الإسراء: 57] قال : " كان ناسٌ من الإنس يعبدون ناسًا من الجن ، فأسلم الجنُ ، وتمسَّك هؤلاء بدينهم "

10- وفي البخاري(4254) ومسلم(1435) عن ابن المنكدر ، سمعت جابراً رضي الله عنه ، قال : " كانت اليهود تقول إذا جامعها من ورائها جاء الولد أحول فنزلت [نسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ إني شِئْتُمْ

11- روى الترمذي (2987) وصححه وابن ماجة(1822) وغيرهما عَنْ الْبَرَاءِ في قوله تعالى : { وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ } [البقرة:267] قَالَ: نَزَلَتْ فِينَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ، كُنَّا أَصْحَابَ نَخْلٍ فَكَانَ الرَّجُلُ يَأْتِي مِنْ نَخْلِهِ عَلَى قَدْرِ كَثْرَتِهِ وَقِلَّتِهِ وَكَانَ الرَّجُلُ يَأْتِي بِالْقِنْوِ وَالْقِنْوَيْنِ فَيُعَلِّقُهُ فِي الْمَسْجِدِ ، وَكَانَ أَهْلُ الصُّفَّةِ لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ فَكَانَ أَحَدُهُمْ إِذَا جَاعَ أَتَى الْقِنْوَ فَضَرَبَهُ بِعَصَاهُ فَيَسْقُطُ مِنْ الْبُسْرِ وَالتَّمْرِ فَيَأْكُلُ. وَكَانَ نَاسٌ مِمَّنْ لَا يَرْغَبُ فِي الْخَيْرِ يَأْتِي الرَّجُلُ بِالْقِنْوِ فِيهِ الشِّيصُ وَالْحَشَفُ وَبِالْقِنْوِ قَدْ انْكَسَرَ فَيُعَلِّقُهُ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَبَارَكَ تَعَالَى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنْ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ } قَالَ: لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أُهْدِيَ إِلَيْهِ مِثْلُ مَا أَعْطَاهُ لَمْ يَأْخُذْهُ إِلَّا عَلَى إِغْمَاضٍ أَوْ حَيَاءٍ قَالَ فَكُنَّا بَعْدَ ذَلِكَ يَأْتِي أَحَدُنَا بِصَالِحِ مَا عِنْدَهُ.

12- روى الترمذي (3050) وصححه عَنْ الْبَرَاءِ بن عازب قَالَ:

مَاتَ رِجَالٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبْلَ أَنْ تُحَرَّمَ الْخَمْرُ، فَلَمَّا حُرِّمَتْ الْخَمْرُ قَالَ رِجَالٌ: كَيْفَ بِأَصْحَابِنَا وَقَدْ مَاتُوا يَشْرَبُونَ الْخَمْرَ؟ فَنَزَلَتْ: { لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ }[المائدة:93]. وفي الصحيحين نحوه عن أنس.

13 – روى الترمذي(3026) وصححه عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيِّ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ قَالَ: صَنَعَ لَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ طَعَامًا فَدَعَانَا وَسَقَانَا مِنْ الْخَمْرِ[1]، فَأَخَذَتْ الْخَمْرُ مِنَّا، وَحَضَرَتْ الصَّلَاةُ فَقَدَّمُونِي ، فَقَرَأْتُ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ وَنَحْنُ نَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ. قَالَ: فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ }

14- روى الترمذي (958)- وصححه الألباني- عَنْ عَلِيٍّ قَالَ: يَوْمُ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ يَوْمُ النَّحْرِ.

* ***<u>الصحابة المفسرون</u>*** **:**

ومن الصحابة المفسرين الخلفاء الراشدون الأربعة، و ابن عباس وابن مسعود وأبيّ بن كعب وزيد بن ثابت وأبو موسى الأشعري وعبد الله بن الزبير ، وعائشة وابن عمر وأنس وجابر وغيرهم ، وهم بين مقلٍ ومكثر.

فمن الصحابة المكثرين في التفسير: عبد الله بن عباس وهو أكثرهم ببركة دعوة النبي صلى الله عليه وسلم له، فقد روى الإمام أحمد والطبرانى وغيرهما عن ابن

[1] - وذلك قبل تحريم الخمر كما هو واضح

عباس أن الرسول صلى الله عليه وسلم دعا له فقال: " اللهُمَّ فَقهه في الدين وعَلِّمْهُ التأويل "[1].
ثم عبد الله بن مسعود ثم علي بن أبي طالب ثم أُبَيّ بن كعب رضي الله عنهم أجمعين. وكان عليّ بن أبي طالب وعبد الله بن عباس رضي الله عنهما أكثر من كذب الناس عليهما في التفسير ، لكونهما من آل البيت ،فيكون المنسوب إليهما أولى بالقبول والرّواج، وأيضًا لظروف سياسية ومذهبية فمن أراد إرضاء خلفاء بني العباس وضع أثرًا ونسبه إلى ابن عباس، وكذلك فعل الشيعة مع علي رضي الله عنه وأهل بيته.

طبقات التابعين المفسرين

اشتهر كثير من التابعين بالتفسير ومنهم من صنف في ذلك ولم يُعثر على تفسيره كسعيد بن جبير، ومنهم من وصل إلينا تفسيره كمجاهد بن جبر الذي قال: عرضت المصحف على ابن عباس ثلاث عرضات ، أقف عند كل آية منه ، وأسأله عنها فيما نزلت وكيف كانت [2] .
وقد اعتنت كتب التفسير بالمأثور عناية بالغة بذكر تفاسير التابعين.

* التفسير عن التابعين وأتباعهم[3] :

وهو على طبقات :طبقة المكيين، وطبقة المدنيين وطبقة العراقيين .

وأعلمُ أهل التفسير أهلُ مكة، خاصة أصحاب ابن عباس منهم؛ كسعيد بن جبير وعكرمة ومجاهد وعطاء بن أبي رباح؛ لسلامة لسانهم وتأخر ورود العُجْمَة إليهم.

يقول سفيان الثوري: خذوا التفسير عن أربعة: سعيد بن جبير ومجاهد وعكرمة وعطاء. وهم مَكِّيُّون .

قال ابن تيمية:أعلم الناس بالتفسيرأهل مكة لأنهم أصحاب ابن عباس[4].

ويليهم في التفسير طبقة المدنيين:

1- رواه أحمد (2397) بسند قوي على شرط مسلم،والطبراني في الكبير(10614)والأوسط (1422) ، وابن حبان(7055) وصححه الأرنؤوط، وفي البخاري(143) بلفظ " اللهم فقهه في الدين"
1- انظر الإتقان(4 / 210).
3- محاضرة للشيخ عبد العزيز بن مرزوق الطريفي ألقيت عام 1427هـ.
3- انظر الإتقان(4 / 210).

منهم: *زيد بن أسلم*: تابعي كبير القدر، وعنه ابنه عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، ويروي تفسيرَ عبدالرحمن :عبد الله بن وهب وغيرُه، وأخذ تفسيرَه عن أبيه "زيد بن أسلم "، لكنه لا يعزوه إلى أبيه إلا في القليل، وإذا قال المفسرون " :قال : ابن زيد "، فالمراد به عبد الرحمن .

وعبد الرحمن، وإن كان ضعيف الحديث، إلا أنه إمامٌ في التفسير.

وممن أخذ التفسير عن زيد: مالك بن أنس.

***ومنهم :أبو العالية رُفيع بن مِهْران*:**

وهو مدنيٌّ، ثمَّ بصري، وقد أخذ التفسير عن ابن عباس، وهو من رواة أبي بن كعب، وراوية تفسيره الربيع بن أنس، وعن الربيع أبو جعفر ، وتقدم الكلام حول هذا الإسناد.

ثم إن الربيع ليس من المفسرين، بل من النَّقَلَة،والرُّواة، وجل ما يرويه هو عن أبي العالية.

***ومن المدنيين : محمد بن كعب القرظي*، وأكثر تفسيره هو من طريق أبي مَعْشَر، ومن طريق موسى بن عبيدة عن محمد بن كعب، وكلاهما – موسى وأبو معشر – ضعيف، ونحو شطر تفسير القُرظي من طريقهما .**

لكن يقول يحيى بن معين " : اكتبوا عن أبي مَعشر عن محمد بن كعب خاصة "؛ لأنه يروي عنه التفسير، وهي نسخة، ويُغتفر في التفسير ما لا يُغتفر في غيره، ثم إن أبا معشر مختصٌّ بمحمد بن كعب، والاختصاص قرينةٌ على المعرفة والضبط، هذا مع أن أبا معشر ضعيف الحديث .

ويليهم طبقة المفسرين العراقيين :

***منهم : مسروق بن الأجدع*، روى عنه الشعبي وأبو وائل، وهو من الرواة عن ابن مسعود.**

***ومنهم : قتادة بن دِعامة السَّدوسي* :أكثر التابعين تفسيراً بعد مجاهد، بل أكثر من نصف تفسير التابعين بالإطلاق عنهما، وتفسيره جُلُّه صحيح، أكثره يرويه عنه سعيد بن أبي عروبة، والبقية يرويه عنه معمر بن راشد الأزدي، وهم ثقات حُفَّاظ.**

وثمة شيء آخر يسير جدًّا يرويه غير سعيد ومعمر، وهو صحيح بالجملة أيضًا، ولا يحمل قولي: إن قوله صحيح كله، فيقف الإنسان على بعض المرويات من غير

طريق معمر، وغير طريق سعيد بن أبي عروبة، فيجد فيه ضعفاً، ولكن بالسَّبْر فإن جميع تفسير قتادة صحيح، ولا يوجد لديه قولٌ شاذٌ.

وقتادة لم يرو عن أحد من الصحابة إلا عن أنس سماعاً، كما قاله أحمد، وصحَّحَ سماعه من ابن سَرْجَس أبو زرعة، وصحَّحَ سَماعه من أبي الطفيل ابنُ المديني.

وقد أخذ قتادة عن الحسن البصري التفسير والفقه والوعظ وغيره، وهو من أكبر شيوخه، وقد أكثر في تفسيره من الوعظ كالحسن، وأكثرُ تفسيره لا يعزوه لأحد، بل يفسِّرُ القرآن بما يعلمه.

وله معرفة بالناسخ والمنسوخ أكثر من كثير من التابعين من أهل طبقته.

ومنهم: الحسن البصري : وهو من كبار أئمة السلف، متساهل بالنقل، والإرسال، ويميل في التفسير إلى الوعظ ، وما يروى عنه في التفسير في آيات العذاب والوعد والوعيد أكثر من غيره، وتفسيره يكاد يخلو من الأحكام، وهو أكثر من نُقل عنه أقوالٌ شاذة من مفسري التابعين -والله أعلم-، والسبب في ذلك: أن الحسن البصري قد تشبَّث به المعتزلة ونسبوه إليهم، وأكثروا من النقل عنه، ولقِلَّة عناية المعتزلة بالأسانيد والرواية،إذ لا يعتدُّون بها مجردةً، وإنما بالعقل، فلذلك لم ينقوا الأسانيد عن الحسن، وإنما تشَبَّثوا بالحكايات التي تُوافق أصولهم، ولذلك يُنسب في كتب المعتزلة في التفسير إلى الحسن ما لا ينسب إلى غيره من الغرائب والمفردات، ولذلك يجب أن يحذر الإنسان مما يُحكى عن الحسن البصري من شذوذات في التفسير مما لا يوافق غيره، ولا بد من النظر إلى الأسانيد، ويشدِّد في مرويات الحسن ما لا يشدَّد في غيرها، سيَّما وهو يرى الرواية بالمعنى ويكثر منها.

وراوية تفسيره: قتادة، فقد روى عنه نحو ثلث تفسيره، ورواه عنه مَعمَر بن راشد، وبقية تفسيره متفرِّق في الرواة.

ومنهم :عطاء الخراساني :

وهو بصريٌّ أقام بخراسان، وإليها نُسب، صدوقٌ، في حفظه سوء، وقد تقدم الكلام على طرق التفسير إليه في حديث ابن عباس رضي الله عنه.

ومنهم : مُرَّة بن شراحيل الهمداني:

كان عابداً صالحاً لكثرة عبادته. قيل له: مُرَّة الطيب، ومُرَّة الخير، أخذ عن أبي بن كعب وعمر بن الخطاب وروى عن ابن مسعود، وغيره، وروى عنه الشعبي والسدي وغيرهم، وقد تقدم الإشارة إليه.

مَنْ يشابه المكيين قوة في التفسير:

وثَمَّة جملةٌ من المفسرين من غير المكيين من يقاربهم في التفسير؛ *كطاووس بن كيسان اليماني*، وقد روى عنه ابنه عبدالله وروى عنه شيئاً مجاهد بن جبر،

***وكذلك عامر بن شراحيل الشعبي*، وله تفسيرٌ يسيرٌ حسنٌ، وأجودُ تفسيره: ما يعتمد فيه على أشعار العرب، فقد كان أحفظ التابعين للشعر**

ومن طبقات المفسرين ممن هو بعد أولئك:

إبراهيم النخعي: **وهو جليل القدر، لم يسمع من أحدٍ من الصحابة، وإنما عدَّه بعض الأئمة من جملة التابعين؛ لرؤيته عائشة رضي الله عنها، وله في التفسير يدٌ، وخاصةً في تفسير آيات الأحكام، وهو أكثر التابعين في ذلك على الإطلاق.**

راويةُ حديثه مُغيرة بن مِقْسَم فقد روى نحو شطرِ تفسيرِه، وروى كذلك منصور بن المعتمر شيئاً ليس بالقليل عنه.

وتفسيره المنقول عن ابن مسعود صحيحٌ، إذا صح إليه السند، وغالبه صحيح، وأما تفسيره من تلقاء نفسه فيما يوافق اللسان العربي، فهو دون أقرانه مرتبةً، وقد كان يلحَنُ في كلامه .

و السُّدي الكبير:

وتفسيره جَمْعٌ، كما جمع ابن إسحاق السيرة، وهو ثقة في نفسه، إلا أنه لم يسمع من ابن عباس ولا ابن مسعود .

وتقدم الكلام على من روى عنه وأسانيده إلى ابن عباس وابن مسعود.

ومنهم :الضَّحاك بن مُزاحِم الهلالي :

وهو من كبار مفسري التابعين، وجُل تفسيره من طريق جُويبر بن سعيد عنه، وجويبر ضعيف جداً، لكن روايته من كتاب، وحديث الضحاك عن ابن عباس مرسل، أخذه من سعيد بن جبير، وتفسير الضحاك - ما لم يخالف - مقبول حسن .

ويروي عبيدالله بن سليمان عن الضحاك التفسير أيضاً، وهو ضعيف أيضاً.

ومنهم : مقاتل بن سليمان :

وهو في نفسه ضعيفٌ واهٍ، وقد أدرك الكبار من التابعين، وهو فصيح اللسان سيّء المذهب، يؤخذ من تفسيره ما وافق اللسان العربي، وله شذوذات في التفسير كثيرة .

وروى تفسير مقاتل هذا عنه أبو عِصْمَة نُوحُ ابن أبي مريم الجامع، وقد رموه بالكذب، ورواه أيضاً عن مقاتل هذيلُ بن حبيب، وهو ضعيف لكنه أصلح حالاً من أبي عصمة.

ومنهم : مقاتل بن حيان:

من طريق محمد بن مزاحم عن بكير بن معروف عنه، ومقاتل هذا صدوق.

ومنهم:أبو صالح باذام:

وهو لا يعتد بقوله في التفسير، وليس له معرفة فيه، وكان مجاهدٌ ينهى عن تفسيره، وزجره الشعبي حينما فسَّر القرآن؛ إذ كيف يفسره وهو لا يحفظه.

** واعلم أن جملة تلك الأسانيد لهؤلاء المفسرين من الصحابة والتابعين ومن أخذ عنهم منثورةٌ في كتب التفاسير المسنَدَة، يقول الحافظ ابن حجر رحمه الله في كتابه " أسباب النزول " :"ومدار أسانيد التفسير عن الصحابة وعن التابعين تُوجَد في الكتب الأربعة: ابن جرير الطبري وعبد بن حُميد وابن المنذر وابن أبي حاتم ."قال " :وقليلٌ ما يُشذُّ عنها ."وهذا صحيح، فمن تأمل الكتب المصنفة في الأسانيد، وجد أنه لا يكاد يوجد من ألفاظ التفسير مما لا يوجد في هذه الكتب، وإن وقع التغاير في بعض الألفاظ قد يكون دخله بعض الغلط والتصحيف، ولا سيَّما في ذلك العصر، فلم يكن حدث في الخطِّ وقتئذٍ شَكْلٌ ولا نَقْطٌ .

وقد يُروى بعض التفسير عن عبد الله بن عباس، أو مجاهد بن جبر، بلفظٍ مشابهٍ رسماً مغاير معنى، وهذا بسبب عدم نقط الكتب، فسبق لفظ في ذهن الناسخ على لفظ ، وينبغي أن يتنبَّه لأمثال هذه المسائل.

** أحسن طرق التفسير:

ذكر ابن كثير في مقدمة تفسيره أحسن طرق التفسير، فقال: فإن قال قائل فما أحسن طرق التفسير ؟ (فالجواب) أن أصح الطريق في ذلك أن يفسر القرآن بالقرآن فما أُجْمِل في مكان فإنه قد بُسِط في موضع آخر فإن أعياك ذلك فعليك بالسنة فإنها شارحةٌ للقرآن وموضحة له ، بل قد قال الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي رحمه الله تعالى: كل ما حكم به رسول الله صلى الله عليه وسلم

فهو مما فهمه من القرآن . قال الله تعالى : {إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللّهُ وَلاَ تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيماً }[النساء:105] وقال تعالى : {وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلاَّ لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُواْ فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ }[النحل:64] وقال تعالى : { وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ }[النحل:44] ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " ألا إنِّي أوتيت القرآنَ ومثله معه "[1] يعني السنة . والسنة أيضا تنزل عليهم بالوحي كما ينزل القرآن إلا أنها لا تتلى كما يتلي القرآن وقد استدل الامام الشافعي رحمه الله تعالى وغيره من الأئمة على ذلك بأدلة كثيرة ليس هذا موضع ذلك . والغرض أنك تطلب تفسير القرآن منه، فإن لم تجده فمن السُّنة كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمعاذ حين بعثه إلى اليمن " فبم تحكم ؟ قال بكتاب الله ، قال فإن لم تجد ؟ قال: بسنة رسول الله ، قال فإن لم تجد ؟ قال : أجتهد رأيي . فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم في صدره وقال : الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضي رسول الله "[2] وهذا الحديث في المسند والسنن بإسناد جيد كما هو مقرر في موضعه.وحينئذ إذا لم نجد التفسير في القرآن ولا في السنة رجعنا في ذلك إلى أقوال الصحابة فإنهم أدرى بذلك لما شاهدوا من القرائن والأحوال التي اختصوا بها ، ولما لهم من الفهم التام والعلم الصحيح والعمل الصالح لا سيما علماءهم وكبراءهم كالائمة الأربعة الخلفاء الراشدين ، والأئمة المهتدين المهديين ، وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهم....ثم ذكر ابن كثير بعد ذلك تفسير التابعين ..ثم التفسير بالرأي المبني على العلم لا الهوى...إلخ[3]

** التفسير بالرأي(4)

والمراد بالرأى هنا "الاجتهاد" وعليه فالتفسير بالرأى، عبارة عن تفسير القرآن بالاجتهاد بعد معرفة المفسِّر لكلام العرب ومناحيهم فى القول، ومعرفته للألفاظ العربية ووجوه دلالاتها، واستعانته فى ذلك بالشعر الجاهلى ، ووقوفه على أسباب النزول، ومعرفته بالناسخ والمنسوخ من آيات القرآن، وعلم القراءات، وعلم أصول الدين،وعلم أصول الفقه، وغير ذلك من الأدوات التي يحتاج إليها المفسِّر .

1- رواه أحمد (17213) بسند صحيح عن المقدام بن معدي كرب رضي الله عنه. وقد تقدم.
2- رواه أحمد (22060) وأبو داود (3592)والترمذي (1327) وفي سنده جهالة.
3 - تفسير ابن كثير(7/1) تحقيق:سامي سلامة- الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع
4 - يُطلق الرأى على الاعتقاد، وعلى الاجتهاد، وعلى القياس، ومنه: أصحاب الرأى: أى أصحاب القياس.

فالتفسير بالرأى قسمان: قسم جارٍ على موافقة كلام العرب، ومناحيهم فى القول، مع موافقة الكتاب والسُنَّة، ومراعاة سائر شروط التفسير، وهذا القسم جائز لا شك فيه، وعليه يُحمل كلام المجيزين للتفسير بالرأى.
وقسم غير جارٍ على قوانين العربية، ولا موافق للأدلة الشرعية، ولا مستوف لشرائط التفسير، وهذا هو المذموم المنهي عنه، كما جاء في الحديث الذي أخرجه أحمد (2069) ،والترمذي(2951) وحسنه، والنسائي في الكبرى(8085) -واللفظ له- عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" من قال في القرآن برأيه أو بما لا يعلم فليتبوأ مقعده من النار" وهو الذى يرمى إليه كلام ابن مسعود إذ يقول: " ستجدون أقواماً يدعونكم إلى كتاب الله وقد نبذوه وراء ظهورهم، فعليكم بالعلم، وإياكم والتبدع ، وإياكم والتنطع ".
وكلام عمر إذ يقول: "إنما أخاف عليكم رجلين: رجل يتأوَّل القرآن على غير تأويله، ورجل ينافس المُلْك على أخيه"، وكلامه إذ يقول: "ما أخاف على هذه الأُمَّة من مؤمن ينهاه إيمانه، ولا من فاسق بَيِّن فسقه، ولكنى أخاف عليها رجلاً قد قرأ القرآن حتى أذلقه بلسانه، ثم تأوَّله على غير تأويله". وما تفرقت الأمة وخرجت الخوارج وغلاة الشيعة إلا بسبب تأويل القرآن على غير وجهه. فكل هذا الذم وارد فى حق مَن لا يُراعى فى تفسير القرآن قوانين اللغة ولا أدلة الشريعة، جاعلاً هواه رائده، ومذهبه قائده، وهذا هو الذي يُحمل عليه كلام المانعين للتفسير بالرأى.
وقد قال ابن كثير - بعد أن ساق الآثار عَمَّن تحرَّج من السَلَف من القول فى التفسير - : فهذه الآثار الصحيحة وما شاكلها عن أئمة السَلَف، محمولة على تحرجهم عن الكلام في التفسير بما لا علم لهم به، فأما مَن تكلَّم بما يعلم من ذلك لغة وشرعاً فلا حَرَج عليه، ولهذا رُوِى عن هؤلاء وغيرهم أقوال فى التفسير، ولا منافاة، لأنهم تكلَّموا فيما علموه، وسكتوا عما جهلوه، هذا هو الواجب على كل أحد، فإنه كما يجب السكوت عما لا علم له به، فكذلك يجب القول فيما سُئِل عنه مما يعلمه، لقوله تعالى: {لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلاَ تَكْتُمُونَهُ} [آل عمران: 187] .. ولما جاء فى الحديث الذي روي من طرق: "مَنْ سُئِلَ عن علم فكتمه أُلْجِمَ يوم القيامة بلجامٍ من نار"[1].

وبذلك قد علمنا أن التفسير بالرأى قسمان: قسم مذموم غير جائز، وقسم ممدوح جائز، وتبين لنا أن القسم الجائز محدود بحدود، ومقيَّد بقيود[2].

**** <u>التفسير الإشاري</u>**

1- صحيح: رواه أحمد(7561) والترمذي(2649) وحسنه، وأبو داود(3658) وغيرهم
2- د.الذهبي/التفسير والمفسرون (189/1) ، وانظر مقدمة تفسير ابن كثير(10/1 وما بعدها) ومقدمة في أصول التفسير لابن تيمية ص:31-32

التفسير الإشاري هو تأويل القرآن على خلاف ظاهره ،لإشارات خفية تظهر لبعض أولي العلم أو العارفين بالله ممَّن نور الله بصائرهم فأدركوا أسرار القرآن العظيم،أو انقدحت في أذهانهم بعض المعاني الدقيقة بواسطة الفتح الرباني، مع إمكان الجمع بينها وبين الظاهرالمراد من الآيات الكريمة.[1]وهذا علم وهبي يُنال بالتقي والاستقامة والصلاح لقوله تعالى:{ وَاتَّقُواْ اللّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللّهُ }{البقرة:282}.

وهذا النوع من التفسير اختلف العلماء فيه، فمنهم من أجازه ومنهم من منعه حتى لا يكون مدعاة للتفسير بالهوى والتلاعب في آيات الله كما فعل الباطنية فيكون ذلك زندقةً وإلحادًا.

واستدل المجيزون بما رواه البخاري في صحيحه (4686) عند تفسير سورة النصر: عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: كَانَ عُمَرُ يُدْخِلُنِي مَعَ أَشْيَاخِ بَدْرٍ فَكَأَنَّ بَعْضَهُمْ وَجَدَ فِي نَفْسِهِ فَقَالَ لِمَ تُدْخِلُ هَذَا مَعَنَا وَلَنَا أَبْنَاءٌ مِثْلُهُ فَقَالَ عُمَرُ إِنَّهُ مَنْ قَدْ عَلِمْتُمْ فَدَعَاهُ ذَاتَ يَوْمٍ فَأَدْخَلَهُ مَعَهُمْ فَمَا رُئِيتُ أَنَّهُ دَعَانِي يَوْمَئِذٍ إِلَّا لِيُرِيَهُمْ قَالَ مَا تَقُولُونَ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: { إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ}[النصر:1] فَقَالَ بَعْضُهُمْ أُمِرْنَا أَنْ نَحْمَدَ اللَّهَ وَنَسْتَغْفِرَهُ إِذَا نُصِرْنَا وَفُتِحَ عَلَيْنَا، وَسَكَتَ بَعْضُهُمْ فَلَمْ يَقُلْ شَيْئًا، فَقَالَ لِي: أَكَذَاكَ تَقُولُ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ؟ فَقُلْتُ: لَا ، قَالَ: فَمَا تَقُولُ؟ قُلْتُ: هُوَ أَجَلُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَعْلَمَهُ لَهُ، قَالَ: {إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ} وَذَلِكَ عَلَامَةُ أَجَلِكَ { فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا }[النصر:3] فَقَالَ عُمَرُ: مَا أَعْلَمُ مِنْهَا إِلَّا مَا تَقُولُ ". فهذا الفهم من ابن عباس لم يفهمه بقية الصحابة الموجودين،وإنما فهمه عمر وابن عباس فقط.

واستدلوا أيضًا بالحديث الذي في الصحيحين: البخاري (454) ومسلم (2382):عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ:خَطَبَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ خَيَّرَ عَبْدًا بَيْنَ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ، فَاخْتَارَ مَا عِنْدَ اللَّهِ، فَبَكَى أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: مَا يُبْكِي هَذَا الشَّيْخَ إِنْ يَكُنْ اللَّهُ خَيَّرَ عَبْدًا بَيْنَ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ فَاخْتَارَ مَا عِنْدَ اللَّهِ، فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُوَ الْعَبْدَ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ أَعْلَمَنَا" فأبو بكر فهم بطريق الإشارة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو العبد المُخَيَّر ولم يفهم ذلك باقي الحاضرين.

ولقد بالغ قوم في التفسير بالإشارات والخواطر وفُتنوا بذلك حتى ظنوا أنّ ما جاء في الكتاب والسنة ما هو إلاّ سوانح وواردات، وشطحوا مع تخيلاتهم ، ولم يتقيدوا بتكاليف الشريعة ولا قوانين اللغة التي نزل بها القرآن، وخيّلوا للناس أنهم

3- الصابوني/ التبيان ص:191

هم أهل الحقيقة الذين أدركوا الغاية واتصلوا بالله تعالى وأخذوا عنه بلا واسطة،وأسقطوا التكاليف الشرعية بتأويلاتهم الباطلة،فهدموا الدين وأتوا على بنيانه من القواعد.

والحق أن هذا التفسير قد خاض فيه الكثير من أهل البدع والضلالات و جَرَّ على الإسلام والمسلمين كثيرًا من الانحرافات، لذا تجد أكثر المشتغلين به من الصوفية[1] والباطنية وغيرهم ممن حاد عن طريق سلف هذه الأمة المباركة، وقليلٌ جدًا مَن أتى بإشارات مقبولة لا تتعارض مع ظاهر الآيات القرآنية.

* شروط قبول التفسير الإشاري:

وضع بعض العلماء شروطًا لقبول التفسير الإشاري وهي[2]:

1- عدم التنافي مع المعنى الظاهر في النظم القرآني الكريم. كقول بعض الشيعة الإمامية الباطنية أن المقصود بالبقرة في قوله تعالى:{ {وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُواْ بَقَرَةً}{البقرة:67} هي عائشة أم المؤمنين، قبحهم الله.وكذا في قوله تعالى: {يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ* تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ }{النازعات:6-7} قالوا:الراجفة:الحسين، والرادفة:أبوه علي رضي الله عنهما.
2- عدم ادعاء أنه المراد وحده دون الظاهر.
3- ألاّ يكون التأويل بعيدًا سخيفًا لا يحتمله اللفظ. كتفسير الشيعة الباطنية لقوله تعالى:{ وورث سليمان داود}{النمل:16} بأن الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه ورث النبي صلى الله عليه وسلم.
4- ألاّ يكون له معارضٌ شرعيٌ أو عقليٌ.
5- ألاّ يكون فيه تشويش على أفهام الناس.وفي البخاري (127) قال علي رضي الله عنه:" حَدِّثُوا النَّاسَ بِمَا يَعْرِفُونَ، أَتُحِبُّونَ أَنْ يُكَذَّبَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ" . وقد أخرج مسلم في مقدمة صحيحه(10/1): عن عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ قَالَ: مَا أَنْتَ بِمُحَدِّثٍ قَوْمًا حَدِيثًا لَا تَبْلُغُهُ عُقُولُهُمْ إِلَّا كَانَ لِبَعْضِهِمْ فِتْنَةً ".

وبدون هذه الشروط لا يقبل التفسير الإشاري ويكون من التفسير بالهوى، ومن الإلحاد في آيات الله تعالى.وهو عين ما يفعله الباطنية وسائر الملاحدة إذ يرون أن الظاهر غير مرادٍ أصلاً وإنما المراد الباطن الذي يفسرون به الآيات، وقصدهم من هذا نفي الشريعة وإبطال الأحكام، وقد قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَن يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِي آمِناً يَوْمَ الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ }{فصلت:40}.

1- كتفسير ابن عربي وحقائق التفسير لأبي عبد الرحمن السلمي وتفسير الكشف والبيان للنيسابوري
2- الصابوني/ التبيان في علوم القرآن ص:197 بتصرف

- **نبذة عن التقسيم الآخر لأنواع التفسير:**

أولاً: التفسير التحليلي :

يتولى فيه المفسرون بيان معنى الألفاظ في الآية، وبلاغة التركيب والنظم، وأسباب النزول، واختلاف المفسرين في الآية، ويذكر حكم الآية وأحكامها، وقد يزيد بتفصيل أقوال العلماء في مسألة فقهية أو نحوية أو بلاغية، ويهتم بذكر الروابط بين الآيات والمناسبات بين السور ونحو ذلك. وهذا اللون من التفسير هو أسبق أنواع التفسير وعليه تعتمد بقيتها، ويتفاوت فيه المفسرون إطناباً وإيجازاً، ويتباينون فيه من حيث المنهج ، فمنهم من يهتم بالفقهيات ، ومنهم من يهتم بالبلاغيات ، ومنهم من يطنب في القصص وأخبار التاريخ ، ومنهم من يستطرد في سرد أقوال السلف ، ومنهم من يعتني بالآيات الكونية أو الصور الفنية أو المقاطع الوعظية أو بيان الأدلة العقدية. وبذلك يكون هذا اللون من التفسير هو الغالب على تواليف العلماء وأكثر كتب التفسير على هذا النمط.

ثانياً: التفسير الإجمالي :

وهو بيان الآيات القرآنية بالتعرض لمعانيها إجمالاً مع بيان غريب الألفاظ والربط بين المعاني في الآيات متوخياً في عرضها وضعها في إطار من العبارات التي يصوغها من لفظه ليسهل فهمها وتتضح مقاصدها، وقد يضيف ما تدعو الضرورة إليه من سبب نزول أو قصة أو حديث ونحو ذلك.
وهذا اللون أشبه ما يكون بالترجمة المعنوية للقرآن الكريم،وهو الذي يستخدمه من يتحدث بالإذاعة والتلفاز لصلاحيته لعامة الناس ومن أمثلته (تفسير الشيخ عبد الرحمن السعدي).

ثالثاً: التفسير المقارن :

وهو بيان الآيات القرآنية باستعراض ما كتبه المفسرون في الآية أو مجموعة الآيات المترابطة، والموازنة بين آرائهم ، وعرض استدلالاتهم ، والكرّ على القول المرجوح بالنقض وبيان وجهه ، وتوجيه أدلته ، وبيان الراجح وحشد الأدلة وغير ذلك.

رابعاً: التفسير الموضوعي [1]:

و هو نوع من أنواع التفسير التي تهتم بالموضوع القرآني وموضعه في السياق القرآني للسورة، وتتضح أهمية التفسير الموضوعي من خلال اهتمامه بالهدايات

[1] - من محاضرة: للشيخ محمد بن عبدالعزيز الخضيري - كلية المعلمين قسم الدراسات القرآنية
وأنظر في ذلك: مباحث في التفسير الموضوعي للدكتور مصطفى مسلم.

القرآنية حيث يحاول الكشف عنها من خلال السياق والسباق للآيات القرآنية، ومن خلال تتبع الكلمة واستعمالاتها، ومن خلال التعرف على المناسبات والروابط بين السور والآيات، وبين بدايات الآيات وفواصلها وافتتاحيات السور وخواتيمها
وقد عرِّف عدة تعريفات مِن أجمعها وأخصرها أنه علم يتناول القضايا حسب المقاصد القرآنية من خلال سورة أو أكثر..

ولم يظهر هذا المصطلح إلا في القرن الرابع عشر الهجري ، عندما قُرِّرت هذه المادة ضمن مواد قسم التفسير بكلية أصول الدين بالجامع الأزهر، إلا أن لبنات هذا اللون من التفسير كانت موجودة منذ عهد النبوة وما بعده ، ويمكن إجمال مظاهر وجود هذا التفسير في الأمور التالية :
1- تفسير القرآن بالقرآن : لا ريب أن تفسير القرآن بالقرآن هو لب التفسير الموضوعي وأعلى ثمراته. وجميع الآيات التي تناولت قضية واحدة والجمع بين دلالاتها والتنسيق بينها كان أبرز ألوان التفسير التي كان النبي -صلى الله عليه وسلم- يربي أصحابه عليها، فقد روى البخاري أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فسر مفاتح الغيب في قوله تعالى: { وعِندَهُ مَفَاتِحُ الغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إلاَّ هُوَ }[الأنعام 59] ، فقال : مفاتح الغيب خمسة: { إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَداً وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ } [لقمان 34].
ومن هذا القبيل ما كان يلجأ إليه الصحابة -رضوان الله عليهم- من الجمع بين الآيات القرآنية التي يُظنُّ بينها تعارضٌ. وقد وضع العلماء بعده قاعدة في أصول التفسير تقتضي بأن أول ما يرجع إليه المفسر القرآن الكريم ، إذ ما أجمل في مكان قد فصل في آخر، وما أطلق في آية إلا قد قيد في أخرى، وما ورد عاماً في سورة، جاء ما يخصصه في سورة أخرى، وهذا اللون من التفسير – كما سبق بيانه-هو أعلى مراتب التفسير وأصدقها إذ لا أحد أعلم بكلام الله من الله.

2- آيات الأحكام : قام الفقهاء بجمع آيات كل باب من أبواب الفقه على حدة، وأخذوا في دراستها واستنباط الأحكام منها، والجمع بين ما يظهر التعارض ، وذكروا ما نص عليه وما استنبط من القرآن بطريق الإشارة والدلالة الخفية، ونحو ذلك ، وكله داخل تحت مسمى التفسير الموضوعي.

3- الأشباه والنظائر: وهو اتجاه نحاه بعض العلماء في تتبع اللفظة القرآنية، ومحاولة معرفة دلالاتها المختلفة، مثال ذلك : كلمة (خير) وردت في القرآن على ثمانية أوجه حسبما ذكره الدامغاني في كتابه (إصلاح الوجوه والنظائر) ، وهي : المال : كقوله: {إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ المَوْتُ إن تَرَكَ خَيْراً} [البقرة 180] ، والإيمان كقوله : { ولَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْراً لأَسْمَعَهُمْ }[الأنفال 23] ، والإسلام كقوله : { مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ }[القلم 2] ، وبمعنى أفضل كقوله : { وأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ

}[المؤمنون 109]، والعافية كقوله : { وإن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلا كَاشِفَ لَهُ إلاَّ هُوَ وإن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ }[الأنعام 17]، والأجر كقوله :{ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ }[الحج 36]، والطعام كقوله : { فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ }[القصص 24]،، وبمعنى الظفر والغنيمة والطعن في القتال كقوله : { ورَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْراً }[الأحزاب 25]
وهذا كما ترى لون من التفسير الموضوعي ، وهو أول وسيلة يلجأ إليها الباحثون في البحث عن موضوعات القرآن حيث يجمعون ألفاظ ذلك الموضوع من سور القرآن ثم يتعرفون على دلالة اللفظ في أماكن وروده.

4- الدراسات في علوم القرآن: اهتم العلماء بموضوعات علوم القرآن فأشبعوها، ومن بين هذه الموضوعات والدراسات،لون ينصبُّ على دراسة وجمع الآيات التي لها رابطة واحدة، كآيات النسخ والقسم والمشكل والجدل والأمثال وغير ذلك ، ومؤلفاتهم في ذلك يعز على الباحث حصرها وهي أشهر من أن تذكر.
كل هذه الأمور والحقائق تدلنا على أن التفسير الموضوعي ليس بدعاً من العلوم أفرزته عقول المتأخرين ، وغفلت عن الاهتمام به أفهام الأولين. لكن بروزه لوناً من التفسير له كيانه وطريقته لم يوجد إلا في العُصُر الأخيرة - تلبية لحاجات أهلها - التى وجد فيها من المذاهب والأفكار كما وجد فيها من الآراء والموضوعات ما اضطر علماء الشريعة إلى بحثها من وجهة النظر القرآنية ليقينهم بأنه الكتاب الذي يحوي دراسة وعلاج كل موضوع يطرأ في حياة الناس ، علمه من علمه ، وجهله من جهله ،{ أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وهُوَ اللَّطِيفُ الخَبِيرُ } [الملك 14] .
ومن ثم كثرت الدراسات القرآنية، وأصبحت المكتبة القرآنية تستقبل كل يوم مواداً جديدة من عالم المطبوعات ، ونظرة خاطفة إلى فهارس المكتبة تنبيك بكثرة ما كتب في هذا المجال ، وإن كان في الحقيقة قليلاً على مادة القرآن. ولشدة عناية الكاتبين بهذا الفن من التفسير قام جمع من الباحثين بخدمة هذا اللون من التفسير بوضع فهرسة للقرآن على حسب الموضوعات منها ما هو في عداد المخطوطات ، ومنها ما طبع[1].

* <u>ألوان التفسير الموضوعي :</u>

الأول : أن يتتبع الباحث لفظة من كلمات القرآن الكريم ، ثم يجمع الآيات التي ترد فيها اللفظة أو مشتقاتها من مادتها اللغوية. وبعد جمع الآيات والإحاطة بتفسيرها يحاول استنباط دلالات الكلمة من خلال استعمال القرآن الكريم لها. وقد أصبح كثير من الكلمات القرآنية مصطلحات قرآنية كـ(الأمة، والجهاد، والذين في

[1] - ككتاب المستشرق "جون لابوم " والذي عنوانه (تفصيل آيات القرآن الكريم)، وقد ترجمه إلى العربية محمد فؤاد عبد الباقي وترجم أيضًا المستدرك الذي وضعه (إدوار مونتيه) وخرجا في كتاب واحد، وهو خطوة أولى في طريق طويل لا بد وأن تجد مستدركاً ومعقباً كعادة ما يكتب أولاً.

قلوبهم مرض، والخلافة..)، وهذا اللون كما ترى قد اهتمت به كتب الأشباه والنظائر إلا أنها بقيت في دائرة الكلمة في موضوعها، ولكن يحاول مؤلفوها أن يربطوا بينها في مختلف السور، مما أبقى تفسيرهم للكلمة في دائرة الدلالة اللفظية..

أما المعاصرون فقد تتبعوا الكلمة وحاولوا الربط بين دلالاتها في مختلف المواطن ، وأظهروا بذلك لوناً من البلاغة والإعجاز القرآني ، وقد كان من نتائجها استنباط دلالات قرآنية بالغة الدقة، لم يكن بمقدورهم العثور عليها لولا انتهاجهم هذا السبيل ، وممن اعتنى بهذا اللون من المعاصرين الدكتور أحمد حسن فرحات في سلسلة سماها (بحث قرآني وضرب من التفسير الموضوعي) أصدر منها كتاب (الذين في قلوبهم مرض) ، و(فطرة الله التي فطر الناس عليها)، و(الأمة في دلالاتها العربية والقرآنية) وغيرها..

الثاني : تحديد موضوع ما ، يلحظ الباحث تعرض القرآن المجيد له بأساليب متنوعة في العرض والتحليل والمناقشة والتعليق ، أو تطرأ مشكلة أو تطرح قضية فيراد بحثها من وجهة نظر قرآنية وهنا نشير إلى عجيبة من عجائب القرآن الكريم المعجزة، تدلنا على أن القرآن دستور حياة، ومنهج عمل ، فيه الشمول والعموم والكمال والبيان.

خلاصتها: أنه ليس بمستغرب أن يجد باحث اهتمام القرآن صريحاً بموضوع معين فيرى جوانب معالجة الموضوع ودراسته في القرآن كافية وافية، ولكن الغريب حقاً أن تقترح موضوعاً فتلج إلى عالم القرآن كأنما أنزل فيه فيدهشك أن الموضوع قد استوفيت جوانب دراسته في القرآن كأنما أنزل القرآن من أجله.

وطريقة الكتابة في هذا اللون تتم باستخراج الآيات التي تناولت الموضوع ، وبعد جمعها والإحاطة بها تفسيراً وتأملاً يحاول الباحث استنباط عناصر الموضوع من خلال ما بين يديه من آيات ، ثم ينسق بين تلك العناصر بحيث يقسمها إلى أبواب وفصول حسب حاجة الموضوع ويقدم لذلك بمقدمة حول أسلوب القرآن في عرض أفكار الموضوع.

ويكون منطلق العرض والاستدلال والدراسة هو آيات القرآن الكريم لا غير، مع ربط كل ذلك بواقع الناس ومشكلاتهم ، وإن ذكر شيء من غير القرآن في الموضوع فيذكر من باب الاعتضاد لا الاعتماد.

وعلى الباحث أن يتجنب خلال بحثه التعرض للأمور الجزئية في تفسير الآيات ، فلا يذكر القراءات، ووجوه الإعراب ونحو ذلك إلا بمقدار ما يخدم الموضوع ويتصل به اتصالاً أساسياً مباشراً. والباحث في كل ذلك يهتم بأسلوب العرض لتوضيح مرامي القرآن وأهدافه ومقاصده ، ليتمكن القارئ من فهم الموضوع وإدراك أسراره من خلال القرآن بجاذبية العرض الشائق وجودة السبك والحبك ورصانة الأسلوب ودقة التعبيرات ، وبيان الإشارات بأوضح العبارات. وهذا اللون من التفسير الموضوعي هو المشهور في عرف أهل

الاختصاص ، وحتى أن اسم (التفسير الموضوعي) لا يكاد ينصرف إلا إليه، والمتتبع لهذا يجده جلياً، وسبب ذلك يتلخص في أمرين:

ا - غزارة الموضوعات التي طرقها القرآن وأشبعها دراسة وبحثاً.

2- تجدد الموضوعات والمشكلات التي تحتاج إلى بحث من وجهة نظر قرآنية فالأولون صدروا من القرآن ، والآخرون وردوا إلى القرآن. وكلاهما بحر و لا ساحل له ، لا تكاد تنتهي موضوعاته أو تقف عند حد.

3- البحث عن موضوع من خلال سورة من القرآن بتحديد الهدف الأساسي للسورة أو غيره من الأهداف ودراسته من خلال تلك السورة. وهذا اللون شبيه بسابقه إلا أن دائرته أضيق.
وطريقة البحث فيه : أن يحدد الباحث الهدف أو الأهداف الأساسية للسورة ثم يختاره أو يختار إحداها إن كانت ثمة أهداف متعددة ثم يحاول إبراز عناصر بحث هذه السورة للموضوع وتقسيمها وتبويبها، ثم يدرس علاقة كل المقاطع بهذا الهدف بدءاً بمقدمة السورة، وانتهاءً بخاتمتها، مع التعرف على أسباب نزولها، ومكان نزولها، وترتيبها من بين سور القرآن ويبين علاقة كل ذلك بهدف السورة عنوان البحث ، وسيجد الباحث الصلة بينه وبين الرابطة جلية عند إحالة النظر وإمعان الفكر، وسيعلم أن للسورة هدفاً واضحاً ترمي إلى إيضاحه وبيانه والاستدلال له وبه ، وتفصيل جوانبه وأبعاده ، وكل سورة من القرآن لها شخصية مستقلة تعلم عند البحث فيها، بل ويمكن أن يكون للسورة أهداف متعددة بينها من الترابط والتعاضد والتداخل شيء يصعب معه التفريق بينهما أو إفراد إحداهما بالبحث مع إغفال البواقي.
وليعلم أنه ينبغي عند البحث في هذا اللون ألا ينطلق الباحث في دراسة موضوع السورة من آيات لم ترد فيها، بل يكون منطلقه آيات ومباحث ومقاطع السورة وأما غيرها فتذكر استئناساً لا تأسيساً، وتوكيداً لا تأصيلاً، واستشهاداً لا استناداً.
وهذا اللون ظفر بعناية القدماء بل جاءت في ثنايا تفاسيرهم الإشارات إلى بعض أهداف السورة ومحاولة الانطلاق منها لبيان تفسيرها، كالذي فعله البقاعي في كتابه (نظم الدرر في تناسب الآيات والسور). وأما في العصر الحديث فقد أولع به سيد قطب في تفسيره (الظلال) حيث يقدم لكل سورة ببيان أهدافها الرئيسية أو هدفها الوحيد، وينطلق في باقي تفسير السورة من خلال هذا المحور الذي تتحدث السورة عنه، وقد أفردت بحوث كثيرة في هذا اللون من التفسير الموضوعي منها سلسلة (من مواضيع سور القرآن) التي يكتبها الشيخ (عبد الحميد طهماز) وقد صدر منها (العواصم من الفتن في سورة الكهف).

رابعاً: أهمية التفسير الموضوعي :

ويمكن تلخيص أهم جوانبها في الأمور التالية:

الأول : إبراز وجوه جديدة من إعجاز القرآن الكريم ، فكلما جَدّت على الساحة أفكار جديدة - من مُعطيات التقدم الفكري والحضاري - وجدها المفسر جلية في آيات القرآن لا لبس فيها ولا غموض بعد تتبع مواطن ذكرها في القرآن، فيسجل عندها سبق القرآن إليها، كبعض الآيات التي فيها دلالة على ما أثبته العلم الحديث في بعض القضايا مثل الإعجاز العلمي ،ويدلل بذلك على كونه كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وأنه الذي لا تنقضي عجائبه ولا تنتهي غرائبه ودلائل إعجازه.

الثاني : التأكيد على أهمية تفسير القرآن بالقرآن ، الذي هو أعلى وأجل أنواع التفسير، إذ قد يوجد من لا يلجأ إلى القرآن عند إرادة إيضاحه وتفسيره لقصور فيه أو تقصير منه ، وبالتفسير الموضوعي ندرك أهمية هذا اللون من التفسير فتزداد عنايتنا به، وتتعاضد جهودنا لبيانه ، فَنُكفى بذلك الوقوف عند كثير من مشكل القرآن أو مواطن الخلاف بين علماء الأمة في تفسير آياته ، لورود ما يوضح المراد ويشفي العليل ويروي الغليل بالقرآن نفسه.

الثالث : إن تجدد حاجة البشرية، وبروز أفكار جديدة على الساحة الإنسانية وانفتاح ميادين للنظريات العلمية الحديثة لا يمكن تغطيتها ولا رؤية الحلول لها إلا باللجوء إلى التفسير الموضوعي للقرآن الكريم. إذ عندما نجابه بنظرة جديدة أو علم مستحدث فإننا لا نقدر على تحديد الموقف من هذا العلم وتلك النظرية وحل المشكلة القائمة، وبيان بطلان مذهب إلا عن طريق تتبع آيات القرآن ، ومحاولة استنباط ما يجب نحو كل أولئك.

إن جمع أطراف موضوع ما من خلال نصوص القرآن والسنة يمكن الباحث من القيام بدور اجتهادي للتوصل إلى تنظير أصول لهذا الموضوع ، وعلى ضوء هدايات القرآن ومقاصده نستطيع معالجة أي موضوع يَجدّ على الساحة.

الرابع: إثراء المعلومات حول قضية معينة. غالباً ما يُطرح موضوع أو قضية أو فكرة أو مشكلة للبحث ويبقى أيٌّ من ذلك محتاجاً إلى إشباع البحث ومزيد الدراسة، ويتم تحقيق ذلك من خلال التفسير الموضوعي بحيث تتبين لذوي الشأن أدلة جديدة، ورؤى مستفيضة، وتفتيق لشيء من أبعاد القضية المطروحة.

تنبيه :

لقد نالت بعض علوم القرآن حظاً وافراً من البحث والدراسة، إلا أن هناك علوماً أخر برزت جديدة تحتاج إلى تأصيل بضبط مسارها حتى يؤمن عثارها مثل (الإعجاز العلمي في القرآن)، فقد كثر الكاتبون حوله إلا أنه بحاجة ماسة إلى ضبط قواعده لِيُتَجَنَّب الإفراط فيه أو التفريط ، وهذا إنما يتم عبر دراسة موضوعية لآيات القرآن وهداياته في هذا المجال.

وهناك علوم ودراسات قائمة منذ القدم لكن المسار الذي تنتهجه يحتاج إلى تصحيح وتعديل ، وإعادة تقويم كعلم التاريخ الذي أخذ منهجاً في سرد الوقائع والأحداث من غير تعرض لسنن الله في الكون والمجتمع ، علماً بأن هذه السنن قد

أبرزتها آيات القرآن خلال قصصه بشكل واضح ، وهناك انحرافات مبثوثة في كتب التاريخ تخالف ما نص عليه في القرآن الكريم ، ولن يتم تعديلها وتقويم مثل هذه العلوم إلا بطريق استقصاء منهج القرآن في عرضها ودراستها

****

المبحث الرابع: أسباب اختلاف المفسرين ووجوه الترجيح بين أقوالهم[1]

فأما أسباب الخلاف فهي اثنى عشر :

الأول : اختلاف وجوه الإعراب وإن اتفقت القراءات.
الثاني : اختلاف القراءات.
الثالث : اختلاف اللغويين في معني الكلمة.
الرابع : اشتراك اللفظ بين معنيين وأكثر.
الخامس : احتمال الإضمار أو الاستقلال.
السادس : احتمال التقييد أو الإطلاق.
السابع : احتمال الحقيقة أو المجاز.
الثامن : احتمال العموم والخصوص.
التاسع : احتمال الكلمة زائدة.
العاشر : احتمال حمل الكلام على الترتيب وعلى التقديم والتأخير.
الحادي عشر : احتمال يكون الكلام منسوخاً أو محكماً.
الثاني عشر : اختلاف الرواية في التفسير عن النبي " صلى الله عليه وسلم " وعن السلف رضي الله عنهم.

وأما وجوه الترجيح فهي اثنى عشر :

الأول : تفسير بعض القرآن ببعض فإذا دل موضع من القرآن على المراد بموضع آخر حملناه عليه ورجحنا القول بذلك على غيره من الأقوال.
الثاني : حديث النبي " صلى الله عليه وسلم " فإذا ورد عن النبي تفسير شيء من القرآن عولنا عليه - لاسيما - إن ورد في الحديث الصحيح.
الثالث : أن يكون القول قول الجمهور وأكثر المفسرين فإن كثرة القائلين بالقول يقتضي ترجيحه.
الرابع : أن يكون القول قول من يقتدي به من الصحابة كالخلفاء الأربعة.
وعبد الله بن عباس لقول النبي " صلى الله عليه وسلم " : " اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل ".
الخامس : أن يدل على صحة القول كلام العرب من اللغة والإعراب أو التصريف أو الاشتقاق.

---

[1] - التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي(1/18- 19) تحقيق: الدكتور عبد الله الخالدي- دار الأرقم بن أبي الأرقم - بيروت

السادس : أن يشهد بصحة القول سياق الكلام ويدل عليه ما قبله أو ما بعده.
السابع : أن يكون ذلك المعنى المتبادر إلى الذهن فإن ذلك دليل على ظهوره ورجحانه.
الثامن : تقديم الحقيقة على المجاز. فإن الحقيقة أولى أن يحمل عليها اللفظ عند الأصوليين.
وقد يترجح المجاز إذا كثر استعماله حتى يكون أغلب استعمالاً من الحقيقة ويسمى مجازا راجحا والحقيقة مرجوحة. وقد اختلف العلماء أيهما يقدم فمذهب أبو حنيفة تقديم الحقيقة لأنها الأصل ومذهب أبو يوسف تقديم المجاز الراجح ، لرجحانه وقد يكون المجاز أفصح وأبرع فيكون أرجح.
التاسع : تقديم العمومي على الخصوصي : ، لأن العمومي أولى لأنه الأصل إلا أن يدل دليل على التخصيص.
العاشر : تقديم الإطلاق على التقييد : إلا أن يدل دليل على التقييد.
الحادي عشر : تقديم الاستقلال على الإضمار إلا أن يدل دليل على الإضمار.
الثاني عشر : حمل الكلام على ترتيبه : إلا أن يدل دليل على التقديم والتأخير.

****

المبحث الخامس: العلوم التي يحتاجها المفسر والآداب التي ينبغي عليه التحلي بها.

يحتاج المفسر لكتاب الله تعالى إلى أنواع من العلوم والمعارف التي يجب أن تتوفر فيه حتى يكون أهلاً للتفسير وإلا كان داخلاً في الوعيد الشديد الذي ذكره النبي صلى الله عليه وسلم لمن يفسر القرآن برأيه وهواه ، وقد عدها السيوطي خمسة عشر علمًا[1] كما ذكرها في كتابه الإتقان، ويمكن إيجازها فيما يلي:

1- معرفة أصول الدين.
2- معرفة أصول الفقه (من خاص وعام ومجمل ومفصل...إلخ)
3- معرفة اللغة العربية وقواعدها(علم النحو، والصرف، وعلم الاشتقاق)
4- معرفة علوم البلاغة (علم المعاني،والبيان، والبديع)
5- معرفة أسباب النزول.
6- معرفة الناسخ والمنسوخ.
7- معرفة علم القراءات.
8- علم الموهبة.ولا يتأتى إلاّ لمن يعمل بما يعلم.

[1] - أنظرها كاملة في الإتقان (4/185-188)

قال السيوطي: ولعلك تستشكل علم الموهبة، وتقول:هذا شيْ ليس في قدرة الإنسان، وليس كما ظننت من الإشكال، والطريق في تحصيله أرتكاب الأسباب الموجبة له من العمل والزهد.أهـ[1]

* ما الآداب التي ينبغي أن يتصف بها المفســـــر ؟

قال الزركشي في البرهان:اعلم أنه لا يحصل للناظر فهم معاني الوحي، ولا يظهر له أسراره وفي قلبه بدعة أو كبر أو هوى أو حب الدنيا أو هو على ذنب أو غير متحقق بالإيمان أو ضعيف التحقيق أو يعتمد على قول مفسر ليس عنده علم أو راجع إلى معقوله، وهذه كلها حُجُب وموانع بعضها آكد من بعض. ذكره السيوطي في الإتقان ثم قال :قلت : وفي هذا المعنى قوله تعالى : { سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ }[الأعراف:146]. قال سفيانَ بن عيينة " يقول أنزع عنهم فهم القرآنَ" أخرجه ابن أبي حاتم "أهـ[2].
من هذا القول الجامع يمكن أن نستخلص جملة آداب يتعين على المفسر التحلي بها وهي :

1- صحة الاعتقاد .
2- التجرد عن الهوى.
3- حسن النية .
4- حسن الخلق .
5- التواضع ولين الجانب .
6- الزهد في متاع الدنيا، حتى يكون عمله خالصًا لله تعالى .
7- الامتثال لأمور الشرع، والانتهاء عن نواهيه، وسلوك سبيل التوبة.
8- عدم الاعتماد في التفسير على أهل البدع والضلالة.
9- يتعين عليه أن لا يستكين إلى معقوله، وأن يجعل من كتاب الله قائدًا.

فائدة: على المفسر: أن يجري مع الآية حيث تجري، ويكشف معناها حيث تشير، ويوضح دلالتها حيث تدل. عليه أن يكون حكيماً حين تشتمل الآية على الحكمة، وخلقياً حين ترشد الآية إلى الأخلاق، وفقيهاً حين تتعرض للفقه، واجتماعياً حين تبحث فى الاجتماع، وشيئاً آخر حين تنظر في أشياء أُخر.

****

** تفسير الاستعاذة ((أعوذ بالله من الشيطان الرجيم))

---

[1] - الإتقان (4/ 188)
2 - الإتقان (4/ 188)

(أعوذ بالله): أي ألجأ وأستجير وأحتمي بالله
(الشيطان) :هو إبليس.
(الرجيم):بمعنى الملعون المطرود ، كما تقول قتيل:بمعنى مقتول.
أَوَالرَّجِيمُ بمعنى:الْمَرْجوم بِالشُّهُبِ1 كما في قوله تعالى {وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ }[الملك: 6].
وقد أمر الله تعالى بالاستعاذة عند أول كل قراءة فقال تعالى: {فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ} [النحل:آية (98)] أي إذا أردت قراءة القرآن فاستعذ كقوله { إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ } [المائدة : 6] وكقولك: إذا أكلت فسمِّ الله .

.
واللفظ الذي عليه الجمهور من العلماء والقرَّاء في التعوذ هو (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم) لأنه لفظ كتاب الله تعالى. [2]

وورد عن النبي أنه كان يقول في الصلاة - بعد الاستفتاح- أَعُوذُ بِاللَّهِ السَّمِيعِ الْعَلِيمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ مِنْ هَمْزِهِ وَنَفْخِهِ وَنَفْثِهِ
فَعَنْ أَبِى سَعِيدٍ الْخُدْرِىِّ قَالَ:" كَانَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ كَبَّرَ ثُمَّ يَقُولُ « سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ وَتَبَارَكَ اسْمُكَ وَتَعَالَى جَدُّكَ وَلاَ إِلَهَ غَيْرُكَ ». ثُمَّ يَقُولُ « لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ ». ثَلاَثًا ثُمَّ يَقُولُ « اللَّهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا ». ثَلاَثًا « أَعُوذُ بِاللَّهِ السَّمِيعِ الْعَلِيمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ مِنْ هَمْزِهِ وَنَفْخِهِ وَنَفْثِهِ ». ثُمَّ يَقْرَأُ" [3].

وعن جبير بن مطعم قال : رأيت النبى - صلى الله عليه وسلم - صلى الضحى فقال حين افتتح الصلاة : الله أكبر كبيرا ثلاثا ، والحمد لله كثيرا ثلاثا ، وسبحان الله بكرة وأصيلا ثلاثا ، اللهم إنى أعوذ بك من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه "[4]

*** فوائد في الاستعاذة*

(فائدة: 1) إنما جاء أعوذ بالمضارع دون الماضي ، لأن معنى الاستعاذة لا يتعلق إلا بالمستقبل لأنها كالدعاء وإنما جاء بهمزة المتكلم وحده مشاكلة للأمر به في قوله : " فاستعذ ".

---

[1] - تفسير البغوي (432/1) دار التراث. و(30/2) طيبة.وتفسير زاد المسير لابن الجوزي(1/ 276) دار الكتاب العربي – بيروت.

[2] - تفسير القرطبي(86/1)

3 - أخرجه أبو داود(265/1 رقم 775) والترمذي(9/2رقم242) وصححه الألباني.ورواه أحمد (50/3 رقم 11491)

[4] - أخرجه ابن أبى شيبة (209/1 ، رقم 2396)

(فائدة:2) : الشيطان : يحتمل أن يراد الجنس فتكون الاستعاذة من جميع الشياطين ، أو العهد فتكون الاستعاذة من إبليس. وهو من شطن ،إذا بعد، فالنون أصلية والياء زائدة وزنه فيعال.
وقيل: من شاط ،إذا هاج، فالنون زائدة والياء أصلية وزنه فعلان وإن سميت به لم ينصرف على الثاني لزيادة الألف والنون والصرف على الأول.
(فائدة:3) الاستعاذة أمرُ ندبٍ- استحبابٍ- لَيْسَ بِوَاجِبٍ، حَكَى الْإِجْمَاعُ عَلَى ذَلِكَ الْإِمَامُ أَبُو ابْنُ جَرِيرٍ الطبري وَغَيْرُهُ مِنَ الْأَئِمَّةِ. وتكون الِاسْتِعَاذَةِ عِنْدَ ابْتِدَاءِ الْقِرَاءَةِ، لِئَلَّا يُلْبَسَ عَلَى الْقَارِئِ قِرَاءَتُهُ وَيُخْلَطَ عَلَيْهِ، وَيَمْنَعُهُ مِنَ التَّدَبُّرِ وَالتَّفَكُّرِ[1].
(فائدة :4) من استعاذ بالله صادقاً أعاذه ، فعليك بالصدق، ألا تري امرأة عمران لما أعاذت مريم وذريتها عصمها الله ففي الحديث الصحيح أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : " «مَا مِنْ مَوْلُودٍ يُولَدُ إِلَّا وَالشَّيْطَانُ يَمَسُّهُ حِينَ يُولَدُ، فَيَسْتَهِلُّ صَارِخًا مِنْ مَسِّ الشَّيْطَانِ إِيَّاهُ، إِلَّا مَرْيَمَ وَابْنَهَا» ، ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ: وَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ: {وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ} [آل عمران: 36] "[2].
(فائدة: 5) الشيطان عدو، وحذر الله منه ، إذا لا مطمع في زوال علة عداوته وهو يجري من ابن آدم مجرى الدم فيأمره أولاً بالكفر ويشككه في الإيمان فإن قدر عليه وإلا أمره بالمعاصى فإن أطاعه وإلا ثبطه عن الطاعة فإن سلم من ذلك أفسدها عليه بالرياء والعجب.
(فائدة 6:) القواطع عن الله أربعة : الشيطان ، النفس ، الدنيا ، والخلق فعلاج الشيطان : الاستعاذة والمخالفة ، وعلاج النفس : بالقهر ، وعلاج الدنيا : بالزهد ، وعلاج الخلق : بالانقباض والعزلة[3].
(فائدة :7) قال القرطبي:قال المهدوي: أجمع القراء على إظهار الاستعاذة في أول قراءة سورة " الحمد " إلا حمزة فإنه أسرها..روى السدي عن أهل المدينة أنهم كانوا يفتحون القراءة بالبسملة.
وذكر أبو الليث السمرقندي عن بعض المفسرين أن التعوذ فرض، فإذا نسيه القارئ وذكره في بعض الحزب قطع وتعوذ، ثم ابتدأ من أوله.
وبعضهم يقول: يستعيذ ثم يرجع إلى موضعه الذي وقف فيه، وبالأول قال أسانيد الحجاز والعراق، وبالثاني قال أسانيد الشام ومصر.أهـ[4].

(فائدة: 8) أجمع العلماء على أن التعوذ ليس من القرآن ولا آية منه[5].

---

[1] - تفسير ابن كثير(602/4)
[2] - رواه البخاري(3431و 4548) ومسلم(2366)(146)
[3] - التسهيل لعلوم التنزيل (47/1)
[4] - القرطبي(87/1-88)
[5] - القرطبي(86/1)

** من لطائف الاستعاذة

ذكر الإمام فخر الدين الرازي - رحمه الله - في تفسيره الكبير تسع عشرة لطيفة في الاستعاذة وننتقي منها ما يلي :
1-قوله : " أعوذ بالله " اعتراف بعجز النفس وبقدرة الرب وهذا يدل على أنه لا وسيلة إلى القرب من حضرة الله إلا بالعجز والانكسار.
2-ومنها : الشيطان عدوالإنسان كما قال تعالي : {إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا} [فاطر : 6] والرحمن مولى الإنسان وخالقه ومصلح مهماته ثم إن الإنسان عند شروعه في الطاعات والعبادات خاف العدو فاجتهد في أن يتحرى مرضاة الله مالكه ليخلصه من زحمة ذلك العدو، وأقبل بالكلية على خدمة الحبيب ، فالمقام الأول هو الفرار وهو قوله : (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم) والمقام الثاني وهو الاستقرار في حضرة الملك الجبار فهو قوله : (بسم الله الرحمن الرحيم)
3-ومنها : قال : أرباب الإشارات : لك عدوان أحدهما ظاهر والآخر باطن وأنت مأمور بمحاربتهما قال تعالي في العدوالظاهر : { قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ }{التوبة : 29} وقال في العدوالباطن : {إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا } {فاطر : 6} فكأنه تعالى قال : إذا حاربت عدوك الظاهر كان مددك المَلَك - بفتح اللام- كما قال تعالى " يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ " {آل عمران : 125}.
وإذا حاربت عدوك الباطن كان مددك المَلِك -بكسر اللام- كما قال تعالي { إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ } {الحجر : 42} وأيضاً فمحاربة العدوالباطن أولى من محاربة العدوالظاهر لأن العدوالظاهر إن وجد فرصة ففي متاع الدنيا والعدوالباطن إن وجد فرصة ففي الدين واليقين وأيضاً العدوالظاهر إن غَلَبنا كنا مأجورين أما العدو الباطن إن غَلبنا كنا مفتونين، وأيضا من قتله العدوالظاهر كان شهيداً ومن قتله العدوالباطن كان طريداً، فكان الاحتراز من العدو الباطن أولى وذلك لا يكون إلا بأن يقول الرجل بقلبه ولسانه " أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ".

4-ومنها : إن نظرت إلى قصة أبيك آدم فإن الشيطان أقسم بأنه له من الناصحين ثم كان عاقبة ذلك الأمر أنه سعي في إخراجه من الجنة ، وأما في حقك فإنه أقسم بأنه يُضلك ويغويك فقال : { فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ } {سورة ص : 82 ، 83} فإذا كانت هذه معاملته مع أنه قد أقسم أنه من الناصحين فكيف تكون معاملته مع أنه أقسم أنه يضل ويغوي ؟!

5-ومنها : لما قال العبد " أعوذ بالله من الشيطان الرجيم " دل ذلك على أنه لا يرضي بأن يجاور الشيطان وإنما لم يرض بذلك لأن الشيطان عاص وعصيانه لا يضر المسلم في الحقيقة فإذا كان العبد لا يرضي بجوار العاص فبأن لا يرضي بجوار عين المعصية أولى.
6-ومنها : لقائل أن يقول : " لِم لمْ يقل : أعوذ بالملائكة مع أن أدون مَلك من الملائكة يكفي في دفع الشيطان. فما السبب في أن جعل ذكر هذا الملعون في مقابلة ذكر الله - تعالى - ؟ وجوابه كأنه تعالي يقول : عبدي إنه يراك وأنت لا تراه بدليل قوله تعالى : { إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ } {الأعراف : 27} وإنما نفذ كيده فيكم لأنه يراكم وأنتم لا ترونه، فتمسكوا بمن يري الشيطان والشيطان لا يراه، وهو الله سبحانه وتعالي فقولوا " أعوذ بالله من الشيطان الرجيم "
7-ومنها : الشيطان مأخوذ من شطن إذا بعد، فحكم عليه بكونه بعيداً وأما المطيع فقريب قال الله تعالي { واسْجُدْ واقْتَرِب } {العلق : 19}، والله قريب منك : { وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ} {البقرة : 186} وأما الرجيم:فهو المرجوم بمعنى كونه مرمياً بسهم اللعن والشقاوة.
وأما أنت فموصول بحبل السعادة قال الله تعالي :{ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى} {الفتح : 26} فدل هذا على أنه جعل الشيطان بعيداً مرجوماً ،وجعلك قريباً موصولاً، ثم إنه تعالي أخبر أنه لا يجعل الشيطان الذي هو بعيدٌ قريبا لأنه تعالي قال : { وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللهِ تَحْوِيلًا} {فاطر : 43} فاعرف أنه لما جعلك قريباً فإنه لا يطردك ولا يبعدك عن فضله ورحمته.
8-ومنها : كأنه تعالي يقول : إنه شيطان رجيم، وأنا رحمن رحيم فابعد عن الشيطان الرجيم لتصل إلى الرحمن الرحيم .ا هـ[1]

**** تفسير البَسْمَلة{ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ }**

(بِسْم اللَّهِ): تقديره: أبدأ بسم الله، أو بسم الله أبدأ (أو أتلو) ،
كما أن المسافر إذا حل أو ارتحل فقال بسم الله ، كان المعني بسم الله أحل وبسم الله أرتحل.
وقيل معناها: قل: بسم الله.
و(الله) : عَلَم على الإله المعبود بِحَق، أَصله (إِلَه) دخلت عَلَيْهِ (ال) ثمَّ حذفت همزته وأدغم اللامان1،فهو مشتقٌ من (التأله) أي: التعبد،وقيل: مشتق من(الولهان) وهي الحيرة لتحير العقول في شأنه.

---

[1] - التفسير الكبير للفخر الرازي [حـ1 - 91 : 95] بتصرف يسير

وقال جماعة :إنه اسم غير مشتق والألف واللام فيه لازمة - لا للتعريف-[2].

و(الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ): اسْمَانِ من أسماء الله الحسنى ، مُشْتَقَّانِ مِنَ الرَّحْمَةِ عَلَى طَرِيقِ الْمُبَالَغَةِ، وَرَحْمَنُ أَشَدُّ مُبَالَغَةً مِنْ رَحِيمٍ. وَفِي كَلَامِ ابْنِ جَرِيرٍ مَا يُفْهِمُ حِكَايَةَ الِاتِّفَاقِ عَلَى هَذَا، فَزِيَادَةَ الْمَبْنَى تَدُلُّ عَلَى زِيَادَةِ الْمَعْنَى.

** من لطائف وفوائد البسملة:

1- الْبَاءُ في " بسم الله " لِلِاسْتِعَانَةِ أَوْ المصاحبة[3].

وفي لطائف الإشارات:الباء في " بسم الله " حرف التضمين أي بالله ظهرت الحادثات وبه وجدت المخلوقات.أهـ4 . وقال الخازن : قيل: الباء حرف منخفض الصورة فلما اتصل باسم الله ارتفع واستعلى . اهـ[5]

2- فإن قيل لك لم قال " بسم الله " ولم يقل بالله ؟

الجواب: على وجه التبرك بذكر اسمه عند قوم ، وللفرق بين هذا وبين القَسَم عند الآخرين6.

3- فإن قيل لمَ أُسْقِطَتِ (الْأَلِفُ) مِنَ الِاسْمِ؟

فالجواب : طلبًا للخفة لكثرة استعمالها[7].

---

[1] - **المعجم الوسيط (25/1) لمجمع اللغة العربية بالقاهرة – دار الدعوة**

[2] - **اين جزي في التسهيل(1/ 49) و البحر المديد فى تفسير القرآن المجيد لابن عجيبة حـ1 صـ5**

[3] - **فائدة لغوية: ذكر أبو حيان الاندلسي - رحمه الله - في تفسيره ما نصه :**
باء الجر تأتي لمعان :
" للإلصاق ، والاستعانة ، والقَسَم ، والسبب ، والحال ، والظرفية ، والنقل.
فالإلصاق : حقيقة " مسحت برأسي " ، ومجازاً " مررت بزيد "
والاستعانة : " ذبحت بالسكين " .
والسبب :{ فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ } {النساء : 160}.
والقسم: بالله لقد قام،
والحال : " جاء زيد بالبصرة "
والنقل: " قمت بزيد " .
وتأتي زائدة للتأكيد : " شربت بماء البحر ".
والبدل: " فليت لي بهم قوماً " أي بدلهم
والمقابلة : " اشتريت الفرس بألف "
والمجاورة :"{ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ }" {الفرقان : 25} أي عن الغمام .
والاستعلاء: "{ وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ} " {آل عمران : 75}.
وكنى بعضهم عن الحال بالمصاحبة ،وزاد فيه كونها للتعليل ،وكنى عن الاستعانة بالسبب ، وعن الحال بمعنى مع بموافقة اللام . أهـ. البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي 1 - صـ25

[4] - **لطائف الإشارات للقشيري [حـ1 : صـ44]**

[5] - **الخازن ط1 - صـ12**

[6] - **لطائف الإشارات للقشيري [حـ1 : صـ44]**

[7] - **تفسير البغوي - حـ1 : صـ24**

قال الخازن : وأثبتت الألف في قوله { فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ } {الحاقة : 52} لقلة استعماله. اهـ [1]

4- وَمُتَعَلِّقُ الْبَاءِ فِي (بسم الله) مَحْذُوفٌ ،وَهُوَ(أَقْرَأُ) أَوْ(أَتْلُو) لِأَنَّهُ الْمُنَاسِبُ لِمَا جُعِلَتِ الْبَسْمَلَةُ مَبْدَأً لَهُ.

فَمَنْ قَدَّرَهُ مُتَقَدِّمًا كَانَ غَرَضُهُ الدَّلَالَةَ بِتَقْدِيمِهِ عَلَى الِاهْتِمَامِ بِشَأْنِ الْفِعْلِ، وَمَنْ قَدَّرَهُ مُتَأَخِّرًا، كَانَ غَرَضُهُ الدَّلَالَةَ بِتَأْخِيرِهِ عَلَى الِاخْتِصَاصِ مَعَ مَا يَحْصُلُ فِي ضِمْنِ ذَلِكَ مِنَ الْعِنَايَةِ بِشَأْنِ الِاسْمِ ، ولأن المشركين كانوا يبدءون بأسماء آلهتهم فيقولون : باسم اللات ، باسم العزى فوجب أن يقصد الموحد معنى الاختصاص لاسم الله - عز وجل – وذلك بتقديمه وتاخير الفعل كما في قوله {إياك نعبد} حيث صرح بتقديم الاسم إرادة للاختصاص، والدليل عليه قوله تعالى {بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا } [هود : 41] وَالْإِشَارَةِ إِلَى أَنَّ الْبِدَايَةَ بِهِ أَهَمُّ لِكَوْنِ التَّبَرُّكِ حَصَلَ بِهِ، وَبِهَذَا يَظْهَرُ رُجْحَانُ تَقْدِيرِ الْفِعْلِ مُتَأَخِّرًا فِي مِثْلِ هَذَا الْمَقَامِ، وَلَا يُعَارِضُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ }[العلق: 1] لِأَنَّ الْمَقَامَ هنا مَقَامُ الْقِرَاءَةِ، فَكَانَ الْأَمْرُ بِهَا أَهَمَّ [2]

5- فَإِنْ قِيلَ: مَا مَعْنَى التَّسْمِيَةِ مِنَ اللَّهِ لِنَفْسِهِ؟ قِيلَ: هو تعليم للعباد كيف يستفتحون الْقِرَاءَةَ.اهـ[3]

6- وَ(اسم):الاسم مشتق من السمو عند البصريين فلامه (واو) محذوفه، وعند الكوفيين مشتق من السِّمة، وهي العلامة، ففاؤه محذوفة، ودليل البصريين: التصغير والتكبير لأنهما يردان الكلمات إلى أصولها، وقول الكوفيين أظهر في المعنى لأن الاسم علامة على المسمى.

قال الشوكاني: وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ الِاسْمَ هُوَ الْمُسَمَّى- كَمَا قَالَهُ أَبُو عُبَيْدَةَ وَسِيبَوَيْهِ وَالْبَاقِلَّانِيُّ وَابْنُ فُورَكٍ، وَحَكَاهُ الرَّازِيُّ عَنِ الْحَشْوِيَّةِ وَالْكَرَّامِيَّةِ وَالْأَشْعَرِيَّةِ- فَقَدْ غَلِطَ غَلَطًا بَيِّنًا، وَجَاءَ بِمَا لَا يُعْقَلُ، مَعَ عَدَمِ وُرُودِ مَا يُوجِبُ الْمُخَالَفَةَ لِلْعَقْلِ لَا مِنَ الْكِتَابِ وَلَا مِنَ السُّنَّةِ وَلَا مِنْ لُغَةِ الْعَرَبِ، بَلِ الْعِلْمُ الضَّرُورِيُّ حَاصِلٌ بِأَنَّ الِاسْمَ الَّذِي هُوَ أَصْوَاتٌ مُقَطَّعَةٌ وَحُرُوفٌ مُؤَلَّفَةٌ غَيْرُ الْمُسَمَّى الَّذِي هُوَ مَدْلُولُهُ، وَالْبَحْثُ مَبْسُوطٌ فِي عِلْمِ الْكَلَامِ. وَقَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ: «إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ»[4] .

---

[1] - الخازن ط1 - صـ12

2 - الكشاف حـ1 : صـ13 وفتح القدير للشوكاني (1/ 21) .

3 - تفسير البغوي - حـ1 : صـ24

[4] - رواه البخاري (2736) ومسلم (2677) (6)

وَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: { وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا } [الأعراف: 180]
وَقَالَ تَعَالَى :{قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى } [الإسراء: 110] [1] .

7- "اللَّهِ": هُوَ اسْمُ عَلَمٍ خَاصٌّ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يُطْلَقْ عَلَى غَيْرِهِ ، وفخم للتعظيم إلا إذا كان قبله كسرة [2].

قال العلماء: الله اسم للذات الواجب الوجود والمستحق لجميع المحامد. وذكر الوصفين إشارة إلى استجماع اسم الله جميع صفات الكمال. أمّا وجوب الوجود فلأنه يستتبع سائر صفات الكمال. وأمّا استحقاق جميع المحامد فلأن كلّ كمال يستحق أن يُحمد [3].

8- وَ(الرَّحْمَنُ) مِنَ الصِّفَاتِ الْغَالِبَةِ لَمْ يُسْتَعْمَلْ فِي غَيْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ. وَأَمَّا قَوْلُ بني حنيفة في مسيلمة الكذاب: رحمانِ الْيَمَامَةِ، فَقَالَ فِي الْكَشَّافِ: إِنَّهُ بَابٌ مِنْ تَعَنُّتِهِمْ فِي كُفْرِهِمْ. قَالَ أَبُو عَلِيٍّ الْفَارِسِيُّ: الرَّحْمَنُ اسْمٌ عَامٌّ فِي جَمِيعِ أَنْوَاعِ الرَّحْمَةِ يَخْتَصُّ بِهِ اللَّهُ تَعَالَى، وَالرَّحِيمُ إِنَّمَا هُوَ فِي جِهَةِ الْمُؤْمِنِينَ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: { وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا} [الأحزاب:(43)]

9- وقُدِّم (الرَّحْمَنُ) على (الرحيم) لوجهين: اختصاصه بالله، وجريانه مجرى الأسماء التي ليست بصفات. اهـ [4]

10- قال أبو البقاء الكفوي الحنفي في كُلِّيَّاته: " قيل: جَمِيع أَسمَاء الله ثَلَاثَة :أَسمَاء الذَّات، وَأَسْمَاء الْأَفْعَال، وَأَسْمَاء الصِّفَات، فالتسمية(البسملة) مُشْتَمِلَة على أفضل كل مِنْهَا، وَقيل: كِلَاهُمَا – أي الرحمن الرحيم- من الصِّفَات الفعلية، وَقيل: من الصِّفَات الذاتية"أهـ [5]

وذكر ابن القيم: أنَّ أسماءَ الله الحسنى هي أعلامٌ وأوصافٌ، والوصفُ بها لا يُنافي العَلَمِيَة، بخلاف أوصاف العباد فإنَّها تنافي علميتهم؛ لأن أوصافهم مشتركةٌ فنافتها العلميةُ المختصةُ بخلاف أوصافه تعالى.
والاسم من أسمائه الحسنى. له دلالات:

---

[1] - فتح القدير للشوكاني (1/ 21)
[2] - ابن جزي في التسهيل (1/ 49) و البحر المديد فى تفسير القرآن المجيد لابن عجيبة حـ1 صـ5
[3] - موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم (1/ 257) لمحمد بن علي الفاروقي الحنفي التهانوي- مكتبة لبنان ناشرون - بيروت
[4] - التسهيل لعلوم التنزيل (49/1)
[5] - كتاب الكليات(ص: 468) تحقيق: عدنان درويش و محمد المصري- الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت

- دلالة على الذات والصفة بالمطابقة.
- ودلالة على أحدهما بالتضمن.
- ودلالة على الصفة الأخرى باللزوم[1].
فمثلاً:اسم (الرحمن): دال على الذات الإلهية وعلى صفة الرحمة معًا بدلالة المطابقة ،ودال على الذات وحدها بدلالة التضمن وعلى صفة الرحمة وحدها بالتضمن ،و دال على الحياة والقدرة والعلم وغيرها من الصفات بدلالة اللزوم..وهكذا سائر الأسماء الحسنى[2].
وبالجملة: أسماء الله-عزوجل- هى الأعلام الدالة على الله- عزوجل- التى أثبتها الله تعالى لنفسه وأثبتها له عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم، قال الله تعالى:{وَلِلَّهِ الأَسْمَاء الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُواْ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَآئِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ} [سورة الأعراف (180)]
ولماذا سميت أسماء الله حسنى؟
لدلالتها على أحسن مسمى وأشرف مدلول ، قال تعالى:{قُلِ ادْعُواْ اللّهَ أَوِ ادْعُواْ الرَّحْمَنَ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ الأَسْمَاء الْحُسْنَى وَلاَ تَجْهَرْ بِصَلاَتِكَ وَلاَ تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً } [سورة الإسراء (110)]
وقال تعالى:{هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ* هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ * هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاء الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} [سورة الحشر:22-24]

وتوحيد الله فى أسمائه يقتضى الإيمان بكل اسم سمى الله به نفسه،وبما دل عليه هذا الاسم من معنى، وبما تعلق بهذا الاسم من آثار.

11- اخْتَلَفَ أَهْلُ الْعِلْمِ هَلْ البسملة آيَةٌ مُسْتَقِلَّةٌ فِي أَوَّلِ كُلِّ سُورَةٍ كُتِبَتْ فِي أَوَّلِهَا؟ أَوْ هِيَ بَعْضُ آيَةٍ مِنْ أَوَّلِ كُلِّ سُورَةٍ، أَوْ هِيَ كَذَلِكَ فِي الْفَاتِحَةِ فَقَطْ دُونَ غَيْرِهَا، أَوْ أَنَّهَا لَيْسَتْ بِآيَةٍ فِي الْجَمِيعِ وَإِنَّمَا كُتِبَتْ لِلْفَصْلِ؟وَقَدِ اتَّفَقُوا عَلَى أَنَّهَا بَعْضُ آيَةٍ فِي سُورَةِ النَّمْلِ. وَقَدْ جَزَمَ قُرَّاءُ مَكَّةَ وَالْكُوفَةِ بِأَنَّهَا آيَةٌ مِنَ

---

1 - انظر كتاب بدائع الفوائد لابن القيم(162/1) الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان

[2] -دلالة المطابقة هي دلالة اللفظ على كامل معناه، ودلالة التضمن هي دلالة اللفظ على بعض معناه، ودلالة اللزوم هي دلالة اللفظ على أمر خارج عن معناه. فاسم "الحي "مثلاً، دالٌ على الذات وعلى صفة الحياة معًا بالمطابقة. ودالٌ على الذات وحدها بالتضمن وعلى صفة الحياة وحدها بالتضمن، ودالٌ على القدرة والسمع والبصر والعلم وغيرها من الصفات باللزوم.

الْفَاتِحَةِ وَمِنْ كُلِّ سُورَةٍ. وَخَالَفَهُمْ قُرَّاءُ الْمَدِينَةِ وَالْبَصْرَةِ وَالشَّامِ فَلَمْ يَجْعَلُوهَا آيَةً لَا مِنَ الْفَاتِحَةِ وَلَا مِنْ غَيْرِهَا مِنَ السُّوَرِ، قَالُوا: وَإِنَّمَا كُتِبَتْ لِلْفَصْلِ وَالتَّبَرُّكِ. وَقَدْ أَخْرَجَ أَبُو دَاوُدَ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ :كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «لَا يَعْرِفُ فَصْلَ السُّورَةِ حَتَّى تَنَزَّلَ عَلَيْهِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ»[1]

12- وَكَمَا وَقَعَ الْخِلَافُ فِي إِثْبَاتِهَا وَقَعَ الْخِلَافُ فِي الْجَهْرِ بِهَا فِي الصَّلَاةِ. فعند مالك لا يبسمل في الصلاة ، ويبسمل عند الشافعي جهرًا في الجهر وسرًا في السر، وعند أبي حنيفة سرًا في الجهر والسر، ويستدل القائلون بالجهر بالبسملة بما أَخْرَجَه النَّسَائِيُّ فِي سُنَنِهِ، وَابْنُ خُزَيْمَةَ وَابْنُ حِبَّانَ فِي صَحِيحَيْهِمَا، وَالْحَاكِمُ فِي الْمُسْتَدْرَكِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّهُ صَلَّى فَجَهَرَ فِي قِرَاءَتِهِ بِالْبَسْمَلَةِ، وَقَالَ بَعْدَ أَنْ فَرَغَ: إِنِّي لَأَشْبَهُكُمْ صَلَاةً بِرَسُولِ اللهِ صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ [2] .

وَأَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ، سُئِلَ أَنَسٌ كَيْفَ كَانَتْ قِرَاءَةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ فَقَالَ: «كَانَتْ مَدًّا» ، ثُمَّ قَرَأَ: {بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ} [الفاتحة: 1] يَمُدُّ بِبِسْمِ اللَّهِ، وَيَمُدُّ بِالرَّحْمَنِ، وَيَمُدُّ بِالرَّحِيمِ[3].

وَأَخْرَجَ أَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُدَ وغيرهما، عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ أَنَّهَا سُئِلَتْ عَنْ قِرَاءَةِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَتْ: " كَانَ يُقَطِّعُ قِرَاءَتَهُ آيَةً آيَةً: {بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ} [الفاتحة: 1] {الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} [الفاتحة: 2] {الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ} [الفاتحة: 1] {مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ} " [4]..

---

1 - أبو داود(788) ومن طريقه أخرجه البيهقي في السنن الكبرى(2377) وفي شعب الإيمان(2125) ،والضياء في الأحاديث المختارة(336) ، وصححه الألباني

2 - النسائي(905) وابن الجارود (184) ، وابن خزيمة (499) و (688) ، والطحاوي 199/1، وابن حبان (1797) و (1801) ، والدارقطني 305/1-306 و306، والحاكم 232/1، والبيهقي 46/2. وصححه الدارقطني والحاكم والبيهقي.وشعيب الأرنؤوط

3 - البخاري(5046) وفي خلق أفعال العباد(ص73) والدارقطني(2/ 77رقم 1177) والحاكم(358/1رقم 852)والبيهقي(2392و2393)

4 - رواه أحمد (26583- أرتؤوط) وأبو داود (4001) ، والترمذي في "سننه" (2927) ، وفي "الشمائل" (309) ، وأبو يعلى (7022) ، وابن المنذر في "الأوسط" (1344) ، والطحاوي في "شرح مشكل الآثار" (5406) ، والطبراني في "الكبير" 23/ (603) ، والدارقطني في "السنن" 312/1-313، والحاكم 231/2-232، وأبو الفضل الرازي في "فضائل القرآن" (18) و (19) ، والبيهقي في "السنن" 44/2، والخطيب في "تاريخه" 367/9، من طريق يحيى بن سعيد الأموي، به.
قال الدارقطني: إسناده صحيح، وكلهم ثقات!
وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي! وصححه الألباني والأرنؤوط.

وَاحْتَجَّ مَنْ قَالَ بِأَنَّهُ لَا يُجْهَرُ بِالْبَسْمَلَةِ فِي الصَّلَاةِ بِمَا فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ، عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَفْتَتِحُ الصَّلَاةَ بِالتَّكْبِيرِ، وَالْقِرَاءَةَ بِـ(الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ). و في الحديث الصحيح عَنْ أَنَسٍ قَالَ: " كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يَسْتَفْتِحُونَ الْقِرَاءَةَ بـ {الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} [الفاتحة: 2] "[1] . وَلِمُسْلِمٍ عنه بلفظ "صَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبِي بَكْرٍ، وَعُمَرَ، وَعُثْمَانَ، فَلَمْ أَسْمَعْ أَحَدًا مِنْهُمْ يَقْرَأُ {بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ} [الفاتحة: 1] "[2] وبلفظ " لَا يَذْكُرُونَ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ فِي أَوَّلِ قِرَاءَةٍ وَلَا فِي آخِرِهَا"[3]. وَأَخْرَجَ أَهْلُ السُّنَنِ نَحْوَهُ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُغَفَّلٍ.

وَإِلَى هَذَا ذَهَبَ الْخُلَفَاءُ الراشدون الْأَرْبَعَةُ وَجَمَاعَةٌ مِنَ الصَّحَابَةِ[4].

13- إذا ابتدأتَ أولَ سورةٍ بسملتَ إلا في سورة براءة(التوبة) ، وإذا ابتدأتَ جزء سورة فأنت مخير بين البسملة وتركها عند أبي عمرو الداني، وتترك البسملة عند غيره، وإذا أتممت سورة وابتدأت أخرى فاختلف القرَّاء في البسملة وتركها. [5]

14- روى عن جعفر الصادق رحمه الله أنه قال: البسملة تيجان السور[6].

15- شُرِعَتِ التَّسْمِيَةُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ قَدْ بَيَّنَهَا الشَّارِعُ مِنْهَا: عِنْدَ الْوُضُوءِ، وَعِنْدَ الذَّبِيحَةِ، وَعِنْدَ الْأَكْلِ، وَعِنْدَ الْجِمَاعِ، وَغَيْرِ ذلك.

*** من لطائف لفظ الجلالة [7]

اعلم أن هذا الاسم مختص بخواص لم توجد في سائر أسماء الله - تعالى - نحن نشير إليها : فالخاصية الأولى أنك إذا حذفت الألف من قولك " الله " بقي الباقي على صورة " لله " مختص به سبحانه كما في قوله " ولله جنود السماوات والأرض " {الفتح : 4} { وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ } {المنافقون : 7 } وإن حذفت عن هذه البقية اللام الأولى بقيت البقية على صورة " له " كما في قوله تعالى : { لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ } {الزمر : 63} وقوله : " له الملك وله الحمد " {التغابن : 1} فإن حذفت اللام الباقية كانت البقية هي قولنا " هو "

[1] - رواه النسائي(902) بسند صحيح ، وابن أبي شيبة(4129)و الطيالسي (2087)
[2] - مشسلم(1/ 299رقم 399)
[3] - مشسلم(1/ 299)(300/1رقم399)
[4] - فتح القدير للشوكاني (1/ 20) والتسهيل لعلوم التنزيل حـ 1 صـ 30 - 31
[5] - التسهيل لعلوم التنزيل (48/1)
[6] - تفسير القرطبي(92/1)
[7] - انظر: جامع لطائف التفسير (1 / 51)

وهو أيضاً يدل عليه سبحانه وتعالى كما في قوله : " قل هو الله احد " {الإخلاص} وقوله : { هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ } {غافر : 65} والواو زائدة بدليل سقوطها في التثنية والجمع فإنك تقول هما وهم فلا تبقي الواو فيهما فهذه الخاصية موجودة في لفظ " الله " غير موجودة في سائر الأسماء وكما حصلت هذه الخاصية بحسب اللفظ فقد حصلت أيضاً بحسب المعنى فإنك إذا دعوت الله بالرحمن فقد وصفته بالرحمة وما وصفته بالقهر وإذا دعوته بالعليم فقد وصفته بالعلم وما وصفته بالقدرة وأما إذا قلت يا الله فقد وصفته بجميع صفاته لأن الإله لا يكون إلها إلا إذا كان موصوفاً بجميع الصفات فثبت أن قولنا " الله " قد حصلت له هذه الخاصية التي لم تحصل لسائر الأسماء.

الخاصية الثانية : أن كلمة الشهادة وهي الكلمة التي بسببها ينتقل الكافر من الكفر إلى الإيمان " الإسلام " لم يحصل فيها إلا هذا الاسم ، فل وأن الكافر قال أشهد أن لا إله إلا الرحمن أو الرحيم أو الملك أو القدوس لم يخرج من الكفر ولم يدخل في الإسلام أما إذا قال أشهد أن لا إله إلا الله فإنه يخرج من الكفر ويدخل في الإسلام وذلك يدل على اختصاص هذا الاسم بهذه الخاصية الشريفة. والله الهادي إلى الصواب. اهـ[1]

هل يجوز إطلاق لفظ الموجود على الله ؟

إِطْلَاقُ لَفْظِ الْمَوْجُودِ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى يَكُونُ عَلَى وَجْهَيْنِ: أَحَدُهُمَا: كَوْنُهُ مَعْلُومًا مَشْعُورًا بِهِ، وَالثَّانِي: كَوْنُهُ فِي نَفْسِهِ ثَابِتًا مُتَحَقِّقًا، أَمَّا بِحَسَبِ الْمَعْنَى الْأَوَّلِ فَقَدْ جَاءَ فِي الْقُرْآنِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا} [النساء: 64] ولفظ الوجود هاهنا بِمَعْنَى الْوِجْدَانِ وَالْعِرْفَانِ، وَأَمَّا بِالْمَعْنَى الثَّانِي فَهُوَ غَيْرُ مَوْجُودٍ فِي الْقُرْآنِ[2].

****

تفسير سورة الفاتحة

** ذِكْرُ مَا وَرَدَ فِي فَضْلِ الفاتحة

[1] ـ المصدر السابق

[2] ـ التفسير الكبير للرازي (113/1)- دار إحياء التراث العربي - بيروت

1- روى الْإِمَامُ أَحْمَدُ والبخاري وغيرهما عَنْ أَبِي سَعِيدِ بْنِ الْمُعَلَّى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ:
كُنْتُ أُصَلِّي فَدَعَانِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمْ أجبه حتى صليت، قال: فأتيته فَقَالَ: «مَا مَنَعَكَ أَنْ تَأْتِيَنِي» ؟ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي كُنْتُ أُصَلِّي قَالَ: ألم يقل الله تعالى يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِما يُحْيِيكُمْ [الْأَنْفَالِ: 24] ثُمَّ قَالَ: «لَأُعَلِّمَنَّكَ أَعْظَمَ سُورَةٍ فِي الْقُرْآنِ قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ مِنَ الْمَسْجِدِ» قَالَ: فَأَخَذَ بِيَدِي فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ مِنَ الْمَسْجِدِ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّكَ قُلْتَ لَأُعَلِّمَنَّكَ أَعْظَمَ سُورَةٍ فِي الْقُرْآنِ قَالَ: «نَعَمْ، الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ هِيَ السَّبْعُ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ الَّذِي أُوتِيتُهُ »[1]

2- وقَدْ وردت مثل هذا القصة لأُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ رضي الله عنه و قد أخرجها الْإِمَامُ أَحْمَدُ والترمذي وغيرهما عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ تعالى عَنْهُ قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ، وَهُوَ يُصَلِّي فَقَالَ: يَا أُبَيُّ، فَالْتَفَتَ ثُمَّ لَمْ يُجِبْهُ، ثم قال: أبيّ، فخفف أبيّ ، ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيْ رَسُولَ الله قال: وعليك السلام مَا مَنَعَكَ أَيْ أُبَيُّ إِذْ دَعَوْتُكَ أَنْ تجيبني، قال: أي رسول الله إني كُنْتُ فِي الصَّلَاةِ قَالَ: أَوَلَسْتَ تَجِدُ فِيمَا أوحى الله تعالى إلي أن اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذا دَعاكُمْ لِما يُحْيِيكُمْ قَالَ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ لَا أَعُودُ، قال أتحب أن أعلمك سورة لم ينزل لَا فِي التَّوْرَاةِ وَلَا فِي الْإِنْجِيلِ وَلَا فِي الزَّبُورِ وَلَا فِي الْفُرْقَانِ مِثْلُهَا؟ قُلْتُ: نَعَمْ أَيْ رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إني لأرجو أن لا أَخْرُجَ مِنْ هَذَا الْبَابِ حَتَّى تَعْلَمَهَا، قَالَ: فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِيَدِي يُحَدِّثُنِي وَأَنَا أَتَبَطَّأُ مَخَافَةَ أَنْ يَبْلُغَ قَبْلَ أَنْ يَقْضِيَ الْحَدِيثَ، فَلَمَا دَنَوْنَا مِنَ الْبَابِ قُلْتُ: أَيْ رَسُولَ اللَّهِ مَا السُّورَةُ الَّتِي وَعَدْتَنِي؟ قَالَ: فكيف تَقْرَأُ فِي الصَّلَاةِ ؟ قَالَ: فَقَرَأْتُ عَلَيْهِ أُمَّ الْقُرْآنِ قَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِي التَّوْرَاةِ وَلَا فِي الْإِنْجِيلِ وَلَا فِي الزَّبُورِ وَلَا فِي الْفُرْقَانِ مِثْلَهَا وإِنَّهَا للسَّبْعُ من الْمَثَانِي " [2]

---

[1] - أخرجه أحمد (15730-ت الأرنؤوط) والبخاري (4703) ، وابن ماجه (3785) ، وابن خزيمة (863) ، والطبراني في "الكبير" 22/ (769) من طريقين عن محمد بن جعفر، بهذا الإسناد. إلا أن ابن ماجه رواه دون ذكر قصة الصلاة.
وأخرجه الطيالسي (1266) ، والبخاري (4647) ، وأبو داود (1458) ، والنسائي في "المجتبى" 139/2، وفي "الكبرى" (985) و (10981) ، والدارمي 350/1 و445/2، والطبراني في "الكبير"22/ (768) ، والبيهقي في "السنن" 368/2 من طرق عن شعبة، به.

[2] - أخرجه أحمد (3/ 387)وبرقم (9345- ت الأرنؤوط) من طريق عبد الرحمن بن إبراهيم، وأخرجه الترمذي (3125) من طريق الدراوردي، والنسائي في "الكبرى" (11205) من طريق روح بن القاسم، وابن خزيمة (861) من طريق حفص بن ميسرة، كلهم عن العلاء، عن أبيه، عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: خرج النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على أبي بن كعب وهو يصلي.. فذكر الحديث.
وأخرجه عبد الله بن أحمد في زياداته على "المسند" 114/5، والترمذي (3125) أيضاً، والنسائي 139/2، وابن خزيمة (500) ، وابن حبان (775) من طريق عبد الحميد بن جعفر، عن العلاء، عن

3- وَروى الْإِمَامُ أَحْمَدُ:عَنِ عبد الله بْنِ جَابِرٍ قَالَ: انْتَهَيْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَدْ أَهْرَاقَ [1] الماء فقلت: السلام عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيَّ، قَالَ فَقُلْتُ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيَّ، قَالَ:
فَقُلْتُ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيَّ، قَالَ: فَانْطَلَقَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَمْشِي وَأَنَا خَلْفَهُ حَتَّى دَخَلَ رَحْلَهُ [2] وَدَخَلْتُ أَنَا الْمَسْجِدَ، فَجَلَسْتُ كَئِيبًا حَزِينًا، فَخَرَجَ عَلَيَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد تَطَهَّرَ فَقَالَ: عَلَيْكَ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَعَلَيْكَ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَعَلَيْكَ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ ثُمَّ قَالَ:
«أَلَا أُخْبِرُكَ يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ جَابِرٍ بِأَخْيَرِ سُورَةٍ فِي الْقُرْآنِ» قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ «اقْرَأِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ حَتَّى تَخْتِمَهَا »[3]

4- روى الْبُخَارِيُّ ومسلم وغيرهما عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، قَالَ: كُنَّا فِي مَسِيرٍ لَنَا، فَنَزَلْنَا فَجَاءَتْ جَارِيَةٌ فَقَالَتْ: إِنَّ سَيِّدَ الْحَيِّ سَلِيمٌ[4] وَإِنَّ نَفَرَنَا غُيَّبٌ فَهَلْ مِنْكُمْ رَاقٍ؟ فَقَامَ مَعَهَا رَجُلٌ مَا كنا نأبنه [5] برقية فرقاه فبرأ، فَأَمَرَ لَهُ بِثَلَاثِينَ شَاةً وَسَقَانَا لَبَنًا. فَلَمَّا رَجَعَ قُلْنَا لَهُ: أَكُنْتَ تُحْسِنُ رُقْيَةً أَوْ كنت ترقي؟ فقال: لَا مَا رَقَيْتُ إِلَّا بِأُمِّ الْكِتَابِ قُلْنَا: لَا تُحَدِّثُوا شَيْئًا حَتَّى نَأْتِيَ أَوْ نَسْأَلَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا قَدِمْنَا

أبيه، عن أبي هريرة، عن أبي ابن كعب، أي من حديث أبي بن كعب، وأخرجه من حديث أبي أيضاً الحاكم 558/1 من طريق شعبة، عن العلاء، عن أبيه، عنه. قال الحافظ في "الفتح" 157/8: ورجح الترمذي كونه من مسند أبي هريرة، وقد أخرجه الحاكم أيضاً 558/1 من طريق الأعرج، عن أبي هريرة أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نادى أبي بن كعب، وهو يقوي ما رجحه الترمذي، قلنا: ويقويه أيضاً أن أحمد أخرجه في مسند أبي هريرة برقم (8682) ، عن سليمان بن داود، عن إسماعيل بن جعفر، عن العلاء، عن أبيه، عن أبي هريرة أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قرأ عليه أبيٌّ أمَّ القرآن"

[1] - أهراق يهريق إهراقة الماء: أراقه.
[2] الرّحل: مركب للبعير والناقة، وهو من مراكب الرجال دون النساء. ويعبّر به عما يستصحبه الراكب وعما جلس عليه في المنزل، وعن المنزل نفسه، وعن مسكن الرجل.
[3] - المسند ج 6 ص 187.وقال ابن كثير: هَذَا إِسْنَادٌ جيد، وابن عقيل هذا يحتج بِهِ الْأَئِمَّةُ الْكِبَارُ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَابِرٍ هذا الصَّحَابِيُّ ذَكَرَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ أَنَّهُ هُوَ الْعَبْدِيُّ وَاللَّهُ أَعْلَمُ، وَيُقَالُ إِنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَابِرٍ الْأَنْصَارِيُّ الْبَيَاضِيُّ فِيمَا ذَكَرَهُ الْحَافِظُ ابْنُ عَسَاكِرَ. وَاسْتَدَلُّوا بِهَذَا الْحَدِيثِ وَأَمْثَالِهِ عَلَى تَفَاضُلِ بَعْضِ الْآيَاتِ وَالسُّوَرِ عَلَى بَعْضٍ كَمَا هُوَ الْمَحْكِيُّ عَنْ كَثِيرٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ، مِنْهُمْ إِسْحَاقُ بْنُ رَاهَوَيْهِ وَأَبُو بَكْرِ بْنُ الْعَرَبِيِّ وَابْنُ الحفار مِنَ الْمَالِكِيَّةِ، وَذَهَبَتْ طَائِفَةٌ أُخْرَى إِلَى أَنَّهُ لَا تَفَاضُلَ فِي ذَلِكَ لِأَنَّ الْجَمِيعَ كَلَامُ اللَّهِ، وَلِئَلَّا يُوهِمَ التَّفْضِيلُ نَقْصَ الْمُفَضَّلِ عَلَيْهِ، وَإِنْ كَانَ الْجَمِيعُ فَاضِلًا، نَقَلَهُ الْقُرْطُبِيُّ عَنِ الْأَشْعَرِيِّ وَأَبِي بَكْرٍ الْبَاقِلَّانِيِّ وَأَبِي حَاتِمٍ بْنِ حيان الْبَسْتِيِّ وَيَحْيَى بْنُ يَحْيَى وَرِوَايَةٌ عَنِ الْإِمَامِ مالك.أهـ تفسير ابن كثير (1/ 105)
والحديث أورده الهيثمي في "المجمع" 311/6 وقال: رواه أحمد، وفيه عبد الله بن محمد بن عقيل، وهو سيئ الحفظ، وحديثه حسن، وبقية رجاله ثقات.
[4] - السليم: الملدوغ (على التفاؤل) . وهو أيضا الجريح المشفي على الهلكة. والنّفر: رهط الإنسان وعشيرته، والجماعة الذين ينفرون في الأمر.
[5] - أبنه: عابه، واتّهمه. والمراد: ما كنا نعلم أنه يرقي فنعيبه بذلك، باعتبار أن توسّل الرّمى مما يعاب عليه الإنسان المسلم.

الْمَدِينَةَ ذَكَرْنَاهُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «وَمَا كَانَ يُدْرِيهِ أَنَّهَا رُقْيَةٌ اقْسِمُوا وَاضْرِبُوا لِي بِسَهْمٍ»[1]

5- رَوَى مُسْلِمٌ وَالنَّسَائِيُّ- واللفظ له- عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: " بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعِنْدَهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِذْ سَمِعَ نَقِيضًا[2] فَوْقَهُ، فَرَفَعَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بَصَرَهُ إِلَى السَّمَاءِ، فَقَالَ: " هَذَا بَابٌ قَدْ فُتِحَ مِنَ السَّمَاءِ مَا فُتِحَ قَطُّ، قَالَ: فَنَزَلَ مِنْهُ مَلَكٌ فَأَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: أَبْشِرْ بِنُورَيْنِ أُوتِيتَهُمَا لَمْ يُؤْتَهُمَا نَبِيٌّ قَبْلَكَ: فَاتِحَةِ الْكِتَابِ وَخَوَاتِيمِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ لَمْ تَقْرَأْ حَرْفًا مِنْهُمَا إِلَّا أُعْطِيتَهُ "[3]

6- وَروى مُسْلِم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ صَلَّى صَلَاةً لَمْ يَقْرَأْ فِيهَا بِأُمِّ الْقُرْآنِ فَهِيَ خِدَاجٌ» ثَلَاثًا غَيْرُ تَمَامٍ. فَقِيلَ لِأَبِي هُرَيْرَةَ: إِنَّا نَكُونُ وَرَاءَ الْإِمَامِ؟ فَقَالَ: «اقْرَأْ بِهَا فِي نَفْسِكَ» ؛ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: " قَالَ اللهُ تَعَالَى: قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ: {الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} [الفاتحة: 2] ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: حَمِدَنِي عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: {الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ} [الفاتحة: 3] ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: أَثْنَى عَلَيَّ عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: {مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ} [الفاتحة: 4] ، قَالَ: مَجَّدَنِي عَبْدِي - وَقَالَ مَرَّةً فَوَّضَ إِلَيَّ عَبْدِي - فَإِذَا قَالَ: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} [الفاتحة: 5] قَالَ: هَذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ: {اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ}[الفاتحة: 7] قَالَ: هَذَا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ»[4].

---

[1] - أخرجه البخاري (5007) ، ومسلم (2201) (66) وأبو داود (3419) ، وابن حبان (6113)وأحمد(11787-ت الأرنؤوط) وَفِي بَعْضِ رِوَايَاتِ مُسْلِمٍ لِهَذَا الْحَدِيثِ أَنَّ أَبَا سَعِيدٍ الخدري هُوَ الَّذِي رَقَى ذَلِكَ السَّلِيمَ (يَعْنِي اللَّدِيغَ)

2 - النقيض: الصوت كصوت الباب إذا فتح.

[3] - مسلم(برقم 806)(254) والنسائي(912)

[4] - رواه مسلم(395) (38) .قال ابن كثير: الْكَلَامُ عَلَى مَا يَتَعَلَّقُ بِهَذَا الْحَدِيثِ مِمَّا يَخْتَصُّ بِالْفَاتِحَةِ مِنْ وُجُوهٍ

أَحَدُهَا: أَنَّهُ قَدْ أَطْلَقَ فِيهِ لَفْظَ الصَّلَاةِ، وَالْمُرَادُ الْقِرَاءَةُ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: وَلا تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ وَلا تُخافِتْ بِها وَابْتَغِ بَيْنَ ذلِكَ سَبِيلاً [الْإِسْرَاءِ: 110] أَيْ بِقِرَاءَتِكَ كَمَا جَاءَ مُصَرَّحًا بِهِ فِي الصَّحِيحِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَهَكَذَا قَالَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ: «قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ فَنِصْفُهَا لِي وَنِصْفُهَا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ» ثُمَّ بين تفضيل هذه القسمة في قراءة الفاتحة فَدَلَّ عَلَى عِظَمِ الْقِرَاءَةِ فِي الصَّلَاةِ، وَأَنَّهَا من أكبر أركانها إِذَا أُطْلِقَتِ الْعِبَادَةُ وَأُرِيدَ بِهَا جُزْءٌ وَاحِدٌ مِنْهَا هو الْقِرَاءَةُ، كَمَا أَطْلَقَ لَفْظَ الْقِرَاءَةِ وَالْمُرَادُ بِهِ الصَّلَاةُ فِي قَوْلِهِ: وَقُرْآنَ الْفَجْرِ، إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كانَ مَشْهُوداً [الْإِسْرَاءِ: 78] وَالْمُرَادُ صَلَاةُ الْفَجْرِ كَمَا جَاءَ مُصَرَّحًا بِهِ فِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ أَنَّهُ يَشْهَدُهَا مَلَائِكَةُ اللَّيْلِ وَمَلَائِكَةُ النَّهَارِ فَدَلَّ هَذَا كُلُّهُ عَلَى أَنَّهُ لَا بُدَّ مِنَ الْقِرَاءَةِ فِي الصَّلَاةِ وَهُوَ اتِّفَاقٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ، وَلَكِنِ اخْتَلَفُوا فِي مَسْأَلَةٍ نَذْكُرُهَا فِي الْوَجْهِ الثَّانِي، وَذَلِكَ أَنَّهُ هَلْ يَتَعَيَّنُ لِلْقِرَاءَةِ فِي الصَّلَاةِ فَاتِحَةُ الْكِتَابِ أَمْ تُجْزِئُ هِيَ أَوْ غَيْرُهَا؟ عَلَى قَوْلَيْنِ مَشْهُورَيْنِ، فَعِنْدَ أَبِي حَنِيفَةَ وَمَنْ وَافَقَهُ مِنْ أَصْحَابِهِ وَغَيْرِهِمْ، أَنَّهَا لَا تَتَعَيَّنُ بَلْ مَهْمَا قَرَأَ بِهِ مِنَ الْقُرْآنِ أَجْزَأَهُ فِي الصَّلَاةِ وَاحْتَجُّوا بِعُمُومِ قَوْلِهِ تَعَالَى: فَاقْرَؤُا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ [الْمُزَّمِّلِ: 20] وَبِمَا ثَبَتَ فِي

7- وروى أَبُو بَكْرٍ الْبَزَّارُ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «إِذَا وَضَعْتَ جَنْبَكَ على الفراش وقرأت فاتحة الكتاب وقل هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ فَقَدْ أَمِنْتَ مِنْ كُلِّ شيء إلا الموت »1 .

8- وَأَخْرَجَ أَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُدَ وَالنَّسَائِيُّ وَابْنُ السُّنِّيِّ فِي عَمَلِ الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ، وَابْنُ جَرِيرٍ وَالْحَاكِمُ، وَصَحَّحَهُ عَنْ خَارِجَةَ بْنِ الصَّلْتِ التَّمِيمِيِّ عَنْ عَمِّهِ قَالَ: أَقْبَلْنَا مِنْ عِنْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَتَيْنَا عَلَى حَيٍّ مِنَ الْعَرَبِ، فَقَالُوا: نُبِّئْنَا أَنَّكُمْ جِئْتُمْ مِنْ عِنْدِ هَذَا الرَّجُلِ بِخَيْرٍ، فَهَلْ عِنْدَكُمْ دَوَاءٌ أَوْ رُقْيَةٌ؟ فَإِنَّ عِنْدَنَا مَعْتُوهًا فِي الْقُيُودِ. قَالَ: فَقُلْنَا: نَعَمْ. قَالَ: فَجَاءُوا بِالْمَعْتُوهِ فِي الْقُيُودِ، قَالَ: فَقَرَأْتُ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ غُدْوَةً وَعَشِيَّةً، أَجْمَعُ بُزَاقِي، ثُمَّ أَتْفُلُ، قَالَ: فَكَأَنَّمَا نَشِطَ مِنْ عِقَالٍ قَالَ: فَأَعْطَوْنِي جُعْلًا، فَقُلْتُ: لَا حَتَّى أَسْأَلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَسَأَلْتُهُ فَقَالَ: " كُلْ لَعَمْرِي مَنْ أَكَلَ بِرُقْيَةِ بَاطِلٍ لَقَدْ أَكَلْتَ بِرُقْيَةِ حَقٍّ"2.

الصَّحِيحَيْنِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ فِي قِصَّةِ الْمُسِيءِ صَلَاتَهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَهُ: «إِذَا قُمْتَ إِلَى الصَّلَاةِ فَكَبِّرْ ثُمَّ اقْرَأْ مَا تَيَسَّرَ مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ» قَالُوا فَأَمَرَهُ بِقِرَاءَةِ مَا تَيَسَّرَ وَلَمْ يُعَيِّنْ لَهُ الْفَاتِحَةَ وَلَا غَيْرَهَا فدل على ما قلنا.
وَالْقَوْلُ الثَّانِي: أَنَّهُ تَتَعَيَّنُ قِرَاءَةُ الْفَاتِحَةِ فِي الصَّلَاةِ وَلَا تُجْزِئُ الصَّلَاةُ بِدُونِهَا، وَهُوَ قَوْلُ بَقِيَّةِ الْأَئِمَّةِ مَالِكٌ وَالشَّافِعِيُّ وَأَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ وَأَصْحَابُهُمْ وَجُمْهُورُ الْعُلَمَاءِ، وَاحْتَجُّوا عَلَى ذَلِكَ بِهَذَا الْحَدِيثِ الْمَذْكُورِ حَيْثُ قَالَ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ: «مَنْ صَلَّى صَلَاةً لَمْ يَقْرَأْ فِيهَا بِأُمِّ الْقُرْآنِ فَهِيَ خِدَاجٌ» وَالْخِدَاجُ هُوَ النَّاقِصُ كَمَا فَسَّرَ بِهِ فِي الْحَدِيثِ «غَيْرُ تَمَامٍ» وَاحْتَجُّوا أَيْضًا بِمَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ حَدِيثِ الزُّهْرِيِّ عَنْ مَحْمُودِ بْنِ الرَّبِيعِ عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «لَا صَلَاةَ لِمَنْ لَمْ يَقْرَأْ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ» وَفِي صَحِيحِ ابْنِ خزيمة وابن حبان عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا تجزئ صلاة لا يقرأ فيها فيها بأم القرآن»اهـ تفسير ابن كثير (108/1)

1 - مسند البزار-البحر الزخار(12/14 رقم 7393) والحديث رجاله ثقات إلا غسان بن عبيد الأزدي الموصلي فضعفه أحمد. ووثقه يحيى بن معين مرة وضعفه أخرى. وقال الدارقطني : غسان بْن عبيد موصلي صاحب الثوري صالح، وضعفه أَحْمَد.أنظر تاريخ بغداد(281/14) وقال الهيثمي في المجمع(121/10):رَوَاهُ الْبَزَّارُ، وَفِيهِ غَسَّانُ بْنُ عُبَيْدٍ، وَهُوَ ضَعِيفٌ، وَوَثَّقَهُ ابْنُ حِبَّانَ، وَبَقِيَّةُ رِجَالِهِ رِجَالُ الصَّحِيحِ.أهـ
2 -أخرجه أحمد(21835و 21836-ت الأرنؤط) وأخرجه أبو داود (3897) و (3901) وصححه الألباني. ، وأخرجه النسائي في "عمل اليوم والليلة" (1032) ، وابن السني (635) الإسناد. وقال الأرنؤوط:إسناده محتمل للتحسين من أجل خارجة بن الصلت، وباقي رجاله ثقات رجال الشيخين غير صحابيه.
قوله: "فلعمري" قال السندي: قيل: بتقدير خالق عمري ونحوه، إذ لا يجوز الحلف بغير الله تعالى وصفاته، وقيل: بل هذه الكلمة جارية على لسانهم من غير قصد للحلف، وقيل: بل كان قبل النهي عن الحلف بغير الله، وقيل: هو من خصائصه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأن الله تعالى أقسم بعمره كرامة له، فقال: (لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ) [الحجر: 72] فيجوز أن يقسم هو أيضاً به.
"من أكل" هي شرطية، أي: أيُّ أحدٍ أكل بباطل فلستَ به، فإنك أكلت برقيةِ حق. وفيه جواز الطب بالقرآن، وأخذ الأجر عليه ولا يلزم منه جواز أخذ الأجر على تعليم القرآن، والله تعالى أعلم.

9- وَأَخْرَجَ الْحَاكِمُ وَصَحَّحَهُ، وابن حبان وغيرهماعَنْ أَنَسٍ قَالَ: «كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَسِيرٍ لَهُ، فَنَزَلَ فَمَشَى رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِهِ إِلَى جَنْبِهِ، فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ صلّى الله عليه وَسَلَّمَ فَقَالَ: «أَلَا أُخْبِرُكَ بِأَفْضَلِ الْقُرْآنِ؟، فَتَلَا عَلَيْهِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ»[1] .

10- وَأَخْرَجَ الْفِرْيَابِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: «فَاتِحَةُ الْكِتَابِ ثُلُثُ الْقُرْآنِ» .

** عدد آياتها:

وَهِيَ سَبْعُ آيَاتٍ بِلَا خِلَافٍ كَمَا حَكَاهُ ابْنُ كَثِيرٍ فِي تَفْسِيرِهِ. وَقَالَ الْقُرْطُبِيُّ: أَجْمَعَتِ الْأُمَّةُ عَلَى أَنَّ فَاتِحَةَ الْكِتَابِ سَبْعُ آيَاتٍ إِلَّا مَا رُوِيَ عَنْ حُسَيْنٍ الْجُعْفِيِّ أَنَّهَا سِتٌّ، وَهُوَ شَاذٌّ. وَإِلَّا مَا رُوِيَ عَنْ عَمْرِو بْنِ عُبَيْدٍ أَنَّهُ جَعَلَ إِيَّاكَ نَعْبُدُ آيَةً، فَهِيَ عِنْدَهُ ثَمَانٍ، وَهُوَ شَاذٌّ. انْتَهَى2. وَإِنَّمَا اخْتَلَفُوا فِي الْبَسْمَلَةِ- تُعد آية منها أم لا- كَمَا سبق بيانه .

- فائدة:

قد ورد في القرآن ما يدل على أن الفاتحة سبع آيات وذلك في قول الله تعالى:{وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ}[الحجر: (87)]-على أرجح التفاسير في الآية الكريمة.

فقد ذكر المفسرون في المراد بالسبع المثاني أربعة أقوال:

أحدها: أنها فاتحة الكتاب، قاله عمر بن الخطاب، وعليّ بن أبي طالب، وابن مسعود في رواية، وابن عباس في رواية الأكثرين عنه، وأبو هريرة، والحسن، وعطاء، وقتادة في آخرين. فعلى هذا، إنما سمِّيت بالسبع، لأنها سبع آيات.

وفي تسميتها بالمثاني سبعة أقوال:

أحدها: لأن الله تعالى استثناها لأمّة محمّد صلى الله عليه وسلم، فلم يعطها أمّة قبلهم،رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس.

والثاني: لأنها تُثنَّى في كل ركعة، رواه أبو صالح عن ابن عباس.

قال ابن الأنباري: والمعنى: آتيناك السبع الآيات التي تُثنَّى في كل ركعة، وإنما دخلت «مِنْ» للتوكيد، كقوله تعالى:{ وَلَهُمْ فِيها مِنْ كُلِّ الثَّمَراتِ} [سورة محمد: 15] . وقال ابن قتيبة: سمي «الحمد» مثانيَ، لأنها تُثنَّى في كل صلاة.

والثالث: لأنها ما أُثني به على الله تعالى، لأن فيها حمد الله وتوحيده وذِكر مملكته، ذكره الزجاج.

والرابع: لأن فيها «الرحمن الرحيم» مرتين، ذكره أبو سليمان الدمشقي عن بعض اللغويين، وهذا على قول من يرى التسمية منها.

---

1 - رواه الحاكم(560/1) وصححه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي. ورواه النسائي في "الكبرى" (8011) ، وصحيح ابن حبان (774)

2 - تفسير فتح القدير للشوكاني(18/1)

والخامس: لأنها مقسومة بين الله تعالى وبين عبده.ويدل عليه حديث أبي هريرة «قسمتُ الصلاةَ بيني وبين عبدي» .
والسادس: لأنها نزلت مرتين، ذكره الحسين بن الفضل.
والسابع: لأن كلماتها مثنّاة، مثل: الرحمن الرحيم، إِياك إِياك، الصراط صراط، عليهم عليهم، ، ذكره بعض المفسرين.
والقول الثاني: أنها السبع الطُّوَل، قاله ابن مسعود في رواية، وابن عباس في رواية، وسعيد بن جبير في رواية، ومجاهد في رواية، والضحاك. فالسبع الطُّوَل هي: (البقرة) ، و (آل عمران) ، و (النساء) ، و (المائدة) ، و (الأنعام) ، و (الأعراف) ، وفي السابعة ثلاثة أقوال: أحدها: أنها (يونس) والثاني: (براءة) والثالث: (الأنفال) و (براءة) جميعاً،قال ابن قتيبة: وكانوا يرون (الأنفال) و (براءة) سورة واحدة، ولذلك لم يفصلوا بينهما-أي بالبسملة-.
في تسمية السبع الطول بالمثاني قولان: أحدهما: لأن الحدود والفرائض والأمثال ثُنِّيت فيها، قاله ابن عباس. والثاني: لأنها تجاوز المائة الأولى إِلى المائة الثانية.
والقول الثالث: أن السبع المثاني سبع معانٍ أُنزلت في القرآن: أمر ونهي، وبشارة، وإِنذار، وضرب الأمثال وتعداد النِّعَم، وأخبار الأُمم، قاله زياد بن أبي مريم.
والقول الرابع: القرآن كلّه، ، فعلى هذا، في تسمية القرآن بالمثاني أربعة أقوال: أحدها: لأن بعض الآيات يتلو بعضاً، فتثنَّى الآخرة على الأولى، ولها مقاطع تفصل الآية بعد الآية حتى تنقضيَ السورة. والثاني: أنه سمي بالمثاني لِما يتردَّد فيه من الثناء على الله عزّ وجلّ. والثالث: لما يتردَّد فيه من ذِكْر الجنة، والنار، والثواب، والعقاب. والرابع: لأن الأقاصيص، والأخبار، والمواعظ، والآداب، ثُنِّيت فيه..
وقال ابن قتيبة: قد يكون المثاني سور القرآن كله، قصارها وطوالها، وإِنما سمي مثاني، لأنّ الأنبياء والقصص تثنّى فيه،
قوله تعالى: {وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ} يعني: العظيم القَدْر، لأنه كلامُ الله تعالى، ووحيُه، وفي المراد به ها هنا قولان: أحدهما: أنه جميع القرآن. قاله ابن مسعود، وابن عباس، ومجاهد، والضحاك.
والثاني: أنه الفاتحة أيضاً، قاله أبو هريرة [1].
وفي السُّنة ما يدل على أنها الفاتحة فقد مر بنا حديث أَبِي سَعِيدِ بْنِ الْمُعَلَّى عندما قَالَ له النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَلَا أُعَلِّمُكَ أَعْظَمَ سُورَةٍ فِي الْقُرْآنِ...فَقَالَ: " {الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} [الْفَاتِحَةِ: 2] هِيَ السَّبْعُ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ الَّذِي أُوتِيتُهُ" [2] .

[1] ـ زاد المسير في علم التفسير (2/541- 543) باختصار يسير

[2] ـ صحيح البخاري برقم (4703)

وروَى البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أُمُّ الْقُرْآنِ هِيَ: السَّبْعُ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ" [1]
فَهَذَا نَصٌّ فِي أَنَّ الْفَاتِحَةَ هي السَّبْعُ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ، وَلَكِنْ هذا لَا يُنَافِي وَصْفَ غَيْرِهَا مِنَ السَّبْعِ الطِّوَلِ بِذَلِكَ، لِمَا فِيهَا مِنْ هَذِهِ الصِّفَةِ، كَمَا لَا يُنَافِي وَصْفَ الْقُرْآنِ بِكَمَالِهِ بِذَلِكَ أَيْضًا، كَمَا قَالَ تَعَالَى: {اللَّهُ نزلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ } [الزُّمَرِ: 23] فَهُوَ مَثَانِي مِنْ وَجْهٍ، وَمُتَشَابِهٌ مِنْ وَجْهٍ، وَهُوَ الْقُرْآنُ الْعَظِيمُ أَيْضًا، كَمَا أَنَّهُ، عَلَيْهِ الصلاة و السَّلَامُ لَمَّا سُئل عَنِ الْمَسْجِدِ الَّذِي أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى، فَأَشَارَ إِلَى مَسْجِدِهِ، وَالْآيَةُ نَزَلَتْ فِي مَسْجِدِ قُباء[2]، فَلَا تنافي، فإن ذكر الشيء لا ينفي ذِكْرَ مَا عَدَاهُ إِذَا اشْتَرَكَا فِي تِلْكَ الصِّفَةِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ[3].

** ذكر أسماء سورة الفاتحة

- يقال لها : الفاتحة أي فاتحة الكتاب خطاً وبها تفتح القراءة في الصلوات .
- ويقال لها أيضاً " أم الكتاب " عند الجمهور ، قَالَ الْبُخَارِيُّ فِي أول كتاب التفسير وسميت أم الكتاب لِأَنَّهُ يُبْدَأُ بِكِتَابَتِهَا فِي الْمَصَاحِفِ وَيُبْدَأُ بِقِرَاءَتِهَا فِي الصلاة ،وَقِيلَ: إِنَّمَا سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِرُجُوعِ مَعَانِي الْقُرْآنِ كُلِّهِ إِلَى مَا تَضَمَّنَتْهُ. قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: والعرب تسمي كلَّ جامع أمرًا أَوْ مُقَدَّمٍ لِأَمْرٍ إِذَا كَانَتْ لَهُ تَوَابِعُ تَتْبَعُهُ هُوَ لَهَا إِمَامٌ جَامِعٌ: أُمًّا، فَتَقُولُ لِلْجِلْدَةِ الَّتِي تَجْمَعُ الدِّمَاغَ أُمُّ الرَّأْسِ، وَيُسَمُّونَ لِوَاءَ الْجَيْشِ وَرَايَتَهُمُ الَّتِي يَجْتَمِعُونَ تَحْتَهَا أُمًّا.
- ويقال لها أم القرآن ،
- والسبع المثاني لأنها تثني في كل ركعة وقيل سميت بذلك لأنها استثنيت لهذه الأمة فلم تنزل على أحد قبلها ذخراً لها
وقد قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، أُمُّ الْقُرْآنِ، وَأُمُّ الْكِتَابِ، وَالسَّبْعُ الْمَثَانِي» " [4]

---

[1] - صحيح البخاري برقم (4704) .
2 - الآية هي قول الله تعالى:{ لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ}[التوبة: (108)] وقد فسرها ابن عباس وجماعة من التابعين بأنها في مسجد قباء، وفسرها بخرون بالمسجد النبوي ، ولا تعارض، فكلاهما اسس على التقوى، وفي صحيح مسلم(1398)(514) عن أبي سعيد الخدري:قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيُّ الْمَسْجِدَيْنِ الَّذِي أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى؟ قَالَ: فَأَخَذَ كَفًا مِنْ حَصْبَاءَ، فَضَرَبَ بِهِ الْأَرْضَ، ثُمَّ قَالَ: «هُوَ مَسْجِدُكُمْ هَذَا» لِمَسْجِدِ الْمَدِينَةِ.وفي سنن الترمذي(3099) والنسائي(697)عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: تَمَارَى رَجُلَانِ فِي الْمَسْجِدِ الَّذِي أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ، فَقَالَ رَجُلٌ: هُوَ مَسْجِدُ قُبَاءَ، وَقَالَ الْآخَرُ: هُوَ مَسْجِدُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «هُوَ مَسْجِدِي هَذَا» وقال الترمذي: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ أهـ وصححه الألباني..وانظر تفسير الطبري(14/474-480)
[3] - تفسير ابن كثير (4/ 547)
4 - رواه أحمد (9790-أرنؤوط) وابو داود(1457)-واللفظ له- والترمذي(3124) وقال: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ» ،وصححه الألباني .

- ويقال لها الحمد.
- ويقال لها الصلاة لقوله - صلى الله عليه وسلم - عن ربه : " قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ - الحديث "[1]
فسميت الفاتحة صلاة لأنها شرط فيها ،
- ويقال لها الشفاء لما رواه الدارمي وسعيد بن منصور وغيرهما عن أبي سعيد الخدري مرفوعا : " فاتحة الكتاب شفاء من كل سقم "[2].
- ويقال لها " الرقية " لحديث أبي سعيد في الصحيح حين رقي بها الرجل السليم (اللديغ) فقال له رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " وما يدريك أنها رقية "[3]
- ويقال لها " أساس القرآن ".
- ويقال لها " الوافية " و" الكافية " لأنها تكفي عما عداها ولا يكفي ما سواها عنها.
- ويقال لها "سورة الصلاة والكنز".
-ويقال لها: القرآن العظيم سميت بذلك لتضمنها جميع علومه. أهـ[4].

* ما الحكمة في افتتاح كتاب الله عز وجل بها؟
ذكر كثير من العلماء أن الله سبحانه افتتح كتابه بهذه السورة ، لأنها جمعت مقاصد القرآن ، ولذلك كان من أسمائها: أم القرآن ، وأم الكتاب ، والأساس فصارت كالعنوان وبراعة الاستهلال.
قال الحسن البصري: إن الله أودع علوم الكتب السابقة في القرآن ، ثم أودع علوم القرآن في المفصل ، ثم أودع علوم المفصل في الفاتحة فمن علم تفسيرها كان كمن علم تفسير جميع الكتب المنزلة أخرجه البيهقي في شعب الإيمان
وبيان اشتمالها على علوم القرآن ، باشتمالها على الثناء على الله بما هو أهله ، وعلى التعبد ، والأمر والنهي ، وعلى الوعد والوعيد ، وآيات القرآن لا تخرج عن هذه الأمور .
وقال الطيبي: هي مشتملة على أربعة أنواع من العلوم التي هي مناط الدين: أحدها: علم الأصول، ومعاقده معرفة الله عز وجل وصفاته، وإليها الإشارة بقوله: {رَبِّ الْعَالَمِينَ، الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ} ،ومعرفة المعاد، وهو المومأ إليه بقوله: {مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ} .

---

1 - **أخرجه مسلم (395)(38)**
2 - **أخرجه الدارمي[3370] بلفظ" شفاء من كل داء " وقال الألباني " موضوع " ، انظر ضعيف الجامع [3950] وَأَخْرَجَه سَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ فِي سُنَنِه، وَالْبَيْهَقِيُّ فِي شُعَبِ الْإِيمَانِ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ بلفظ" شِفَاءٌ مِنْ كُلِّ سَقَمٍ» . وَأَخْرَجَ أَبُو الشَّيْخِ نَحْوَهُ مِنْ حَدِيثِهِ، وَحَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ مَرْفُوعًا. وَأَخْرَجَ الدَّارِمِيُّ، وَالْبَيْهَقِيُّ فِي شُعَبِ الْإِيمَانِ بِسَنَدٍ رِجَالُهُ ثِقَاتٌ عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عُمَيْرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي فَاتِحَةِ الْكِتَابِ «شِفَاءٌ مِنْ كُلِّ دَاءٍ»**
3 - **. أخرجه البخاري (2276 و 5736و 5749و 5007) ومسلم (2201)(65-66)**
4 - **انظر :تفسير القرطبي (110/1) ، وتفسير القرآن العظيم للإمام الحافظ ابن كثير (101/1)**

وثانيها: علم الفروع، وأسُّه العبادات، وهو المراد بقوله: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ}.
وثالثها: علم ما يحصل به الكمال، وهو علم الأخلاق، وأجلّه الوصول إلى الحضرة الصمدانية، والالتجاء إلى جناب الفردانية، والسلوك لطريقة الاستقامة فيها، وإليه الإشارة بقوله: {وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ، اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ} .
ورابعها: علم القصص والإخبار عن الأمم السالفة والقرون الخالية، السعداء منهم والأشقياء، وما يتصل بها من وعد محسنهم ووعيد مسيئهم، وهو المراد بقوله: {أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ} .
قال: وجميع القرآن تفصيل لما أجملته الفاتحة؛ فإنها بُنيت على إجمال ما يحويه القرآن مفصلًا؛ فإنها واقعة في مطلع التنزيل، والبلاغة فيه: أن تتضمن ما سيق الكلام لأجله؛ ولهذا لا ينبغي أن يقيد شيء من كلماتها ما أمكن الحمل على الإطلاق . اهـ [1]
قال السعدي:
هذه السورة على إيجازها، قد احتوت على ما لم تحتو عليه سورة من سور القرآن، فتضمنت أنواع التوحيد الثلاثة: توحيد الربوبية يؤخذ من قوله: {رَبِّ الْعَالَمِينَ} .
وتوحيد الإلهية وهو إفراد الله بالعبادة، يؤخذ من لفظ: {اللَّهِ} ومن قوله: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ}.
وتوحيد الأسماء والصفات، وهو إثبات صفات الكمال لله تعالى، التي أثبتها لنفسه، وأثبتها له رسوله من غير تعطيل ولا تمثيل ولا تشبيه، وقد دل على ذلك لفظ {الْحَمْدُ} كما تقدم.
وتضمنت إثبات النبوة في قوله: {اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ} لأن ذلك ممتنع بدون الرسالة.
وإثبات الجزاء على الأعمال في قوله: {مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ} وأن الجزاء يكون بالعدل، لأن الدين معناه الجزاء بالعدل.
وتضمنت إثبات القدر، وأن العبد فاعلٌ حقيقة، خلافا للقدرية والجبرية. بل تضمنت الرد على جميع أهل البدع والضلال في قوله: {اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ} لأنه معرفة الحق والعمل به. وكل مبتدع وضال فهو مخالف لذلك.
وتضمنت إخلاص الدين لله تعالى، عبادة واستعانة في قوله: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} فالحمد لله رب العالمين أهـ [2]
****

1 - ذكره السيوطي في كتابه :أسرار ترتيب القرآن (ص: 50-51) الناشر:دار الفضيلة للنشر والتوزيع. وكلام الطيبي هذا في شرح الكشاف، للطيبي، مخطوط بالأزهرية: ج1 ورقة 29 أ، وانظر: نظم الدرر(1/ 22، 23)
2 - تفسير السعدي(ص:40)

** تفسير قوله تعالى:{ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (2)}

المعنى الإجمالي: الثناء الجميل بكل أنواعه لله وحده، ونثنى عليه الثناء كله لأنه سبحانه منشئ المخلوقات والقائم عليها ، المربي لجميع خلقه بنعمه، ولأوليائه بالإيمان والعمل الصالح

التفسير التحليلي:

الْحَمْدُ: هُوَ الثَّنَاءُ بِاللِّسَانِ عَلَى الْجَمِيلِ الِاخْتِيَارِيِّ، وَقُيِّدَ بـ (الاختياري) ليفترقَ عن الْمَدْحَ، فَإِنَّهُ يَكُونُ عَلَى الْجَمِيلِ وَإِنْ لَمْ يَكُنِ الْمَمْدُوحُ مُخْتَارًا، كَمَدْحِ الرَّجُلِ عَلَى جَمَالِهِ وَقُوَّتِهِ وَشَجَاعَتِهِ[1].

ومَعْنَى {الْحَمْدُ لِلَّهِ} : الشُّكْرُ لِلَّهِ خَالِصًا دُونَ سَائِرِ مَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِهِ، وَدُونَ كُلِّ مَا بَرَأَ مِنْ خَلْقِهِ، بِمَا أَنْعَمَ عَلَى عِبَادِهِ مِنَ النِّعَمِ الَّتِي لَا يُحْصِيهَا الْعَدَدُ، وَلَا يُحِيطُ بِعَدَدِهَا غَيْرُهُ أَحَدٌ.
و{الْحَمْدُ لِلَّهِ} ثَنَاءٌ أَثْنَى الله به عَلَى نَفْسِهِ فقد حمد نفسه قبل أن يحمده أحد من خلقه فهو سبحانه المستحق للحمد وإن لم يحمده أحد. وقوله{الْحَمْدُ لِلَّهِ} يتضمن أَمَرَ عِبَادَهُ أَنْ يُثْنُوا عَلَيْهِ فَكَأَنَّهُ قَالَ: قُولُوا: {الْحَمْدُ لِلَّهِ}.
وسئل على رضي الله عنه عن الحمد لله : فقال : كَلِمَةٌ أَحَبَّهَا اللَّهُ لِنَفْسِهِ، وَرَضِيَهَا لِنَفْسِهِ، وَأَحَبَّ أَنْ تُقَالَ." أهـ [2]

والألف واللام " ال " في قوله تعالى: (الْحَمْدُ لِلَّهِ) للاستغراق والكمال، أي الحمد كله وبكماله لله تعالى وحده، فلا يستحق أحد من خلقه حمدًا؛ لأن الحمد عبادة،

والعبادة لله تعالى، وحده وحمد غيره عبادة لغيره، وشرك بالله تعالى[3].

و معنى اللام في " الحمد لله ": لام الاستحقاق كقولك : الدار لزيد يعني أنه المستحق للحمد لأنه المحسن المتفضل على كافة الخلق على الإطلاق[4].

ومعنى:((ربّ العالمين)): (الرب): بمعنى المالك كما يقال : رب الدار ، ورب الشيء أي مالكه ، ويكون بمعنى التربية والإصلاح يقال : رب فلان الضيعة يربها إذا أصلحها ، فالله مالك العالمين ، ومربيهم ، ومصلحهم ، ولا يقال الرب للمخلوق معرفاً بل يقال : " رب الشيء مضافاً [5].

---

[1] - تفسير الشوكاني (23/1)
[2] - تفسيرابن كثير (129/1)
[3] - تفسير زهرة التفاسير لأبي زهرة (56/1-57)
[4] - تفسير الخازن حـ1 - صـ15
[5] - تفسير الخازن حـ1 ص15

وقال ابن عطية - رحمه الله - " والرب في اللغة : المعبود ، والسيد المالك ، والقائم بالأمور المصلح لما يفسد منها - ثم قال : وهذه الاستعمالات قد تتداخل فالرب على الإطلاق الذي هو رب الأرباب على كل جهة هو الله تعالى.

و(العالمين):جمع عالَم ، وهو كل موجود سوى الله تعالى - ولفظة العالَم جمع لا واحد له من لفظه وهو مأخوذ من العَلَم والعَلامة .أهـ[1]
قال الزجاج : الْعَالَمُ كُلُّ مَا خَلَقَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.أهـ[2]

• لطائف وفوائد في(الحمد لله)

1- قَالَ شَقِيقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ فِي تَفْسِيرِ" الْحَمْدُ لِلَّهِ" قَالَ: هُوَ عَلَى ثَلَاثَةِ أَوْجُهٍ: أَوَّلُهَا إِذَا أَعْطَاكَ اللهُ شَيْئًا تَعْرِفُ مَنْ أَعْطَاكَ. وَالثَّانِي أَنْ تَرْضَى بِمَا أَعْطَاكَ. وَالثَّالِثُ مَا دَامَتْ قُوَّتُهُ فِي جَسَدِكَ أَلَّا تعصيه، فهذه شرائط الحمد "[3] .

2- قال القشيري : حقيقة " الحمد " : الثناء على المحمود بذكر نعوته الجليلة ، وأفعاله الجميلة، واللام هاهنا للجنس ومقتضاها الاستغراق فجميع المحامد لله سبحانه إما وصفاً وإما خلقاً ، له الحمد لظهور سلطانه، وله الشكر لوفور إحسانه ،والحمد لله لاستحقاقه لجلاله والشكر لله لجزيل نواله وعزيز إفضاله " ثم قال : هذا خطيب الأولين والآخرين سيد الفصحاء وإمام البلغاء لما سمع حمده لنفسه ومدحه سبحانه وتعالي لحقه علم النبي صلي الله عليه وسلم أن تقاصر اللسان أليق به في هذه الحالة فقال : «لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ، أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ»[4] " أ هـ.[5]

3- قال الشنقيطي:لَمْ يَذْكُرْ لِحَمْدِهِ هُنَا ظَرْفًا مَكَانِيًّا وَلَا زَمَانِيًّا، وَذَكَرَ فِي سُورَةِ الرُّومِ أَنَّ مِنْ ظُرُوفِهِ الْمَكَانِيَّةِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي قَوْلِهِ تعالى: {وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ}[آية 18]وَذَكَرَ فِي سُورَةِ الْقَصَصِ أَنَّ مِنْ ظُرُوفِهِ

---

[1] - المحرر الوجيز حـ1 ص67
[2] - تفسير القرطبي (139/1)
3 - تفسير القرطبي (134/1)
4 - الحديث أخرجه احمد(147/2 رقم 751-تحقيق الأرنؤوط) وقال الأرنؤوط: إسناده قوي. وأخرجه ابن أبي شيبة 306/2 و386/10، وعبد بن حميد (81) ، والترمذي (3566) وحسنه، وأبو يعلى (275) وأخرجه الطيالسي (123) ، وأبو داود (1427) ، والنسائي في "المجتبى" 248/3-249، وفي "الكبرى" (7753) ،وابن ماجة(1179) والطبراني في "الدعاء" (751) ، والبيهقي 42/3 كلهم عن علي رضي الله عنه.وصححه الألباني.وأخرجه أيضا مالك (رقم620- الموطأ برواية ابي مصعب الزهري) وابن راهويه (75/2 رقم 544) وابن ماجة(3841) كلهم عن عائشة رضي الله عنها وصححه الألباني.
[5] - لطائف الإشارات للقشيري حـ1 - صـ45.

الزَّمَانِيَّةِ: الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ فِي قَوْلِهِ:{ وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ} [آية:70] ، وَقَالَ فِي أَوَّلِ سُورَةِ سَبَأٍ: {وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ}[آية:1].أهـ [1]

4- قال الإمام البغوي: وَالْحَمْدُ يَكُونُ بِمَعْنَى الشُّكْرِ عَلَى النِّعْمَةِ، وَيَكُونُ بِمَعْنَى الثَّنَاءِ عَلَيْهِ بِمَا فِيهِ مِنَ الْخِصَالِ الْحَمِيدَةِ. يُقَالُ حَمِدْتُ فُلَانًا عَلَى مَا أَسْدَى إِلَيَّ مِنَ النِّعْمَةِ، وَحَمِدْتُهُ عَلَى عِلْمِهِ وَشَجَاعَتِهِ، وَالشُّكْرُ لَا يَكُونُ إِلَّا عَلَى النِّعْمَةِ، فَالْحَمْدُ أَعَمُّ مِنَ الشُّكْرِ إِذْ لَا يُقَالُ شَكَرْتُ فُلَانًا عَلَى عِلْمِهِ، فَكُلُّ حَامِدٍ شَاكِرٌ وَلَيْسَ كُلُّ شَاكِرٍ حَامِدًا. وَقِيلَ: الْحَمْدُ بِاللِّسَانِ قَوْلًا ،وَالشُّكْرُ بِالْأَرْكَانِ فِعْلًا ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى {وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا} [الْإِسْرَاءِ:111] وَقَالَ : {اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا} [سَبَأٍ:13] .أهـ[2]
والعلماء اخْتَلَفُوا: أَيُّهُمَا أَعَمُّ، الْحَمْدُ أَوِ الشُّكْرُ؟ عَلَى قَوْلَيْنِ، وَالتَّحْقِيقُ أَنَّ بَيْنَهُمَا عُمُومًا وَخُصُوصًا، فَالْحَمْدُ أَعَمُّ مِنَ الشُّكْرِ مِنْ حَيْثُ مَا يَقَعَانِ عَلَيْهِ؛ لِأَنَّهُ يَكُونُ عَلَى الصِّفَاتِ اللَّازِمَةِ وَالْمُتَعَدِّيَةِ، تَقُولُ: حَمدته لِفُرُوسِيَّتِهِ وَحَمِدْتُهُ لِكَرَمِهِ. وَهُوَ أَخَصُّ لِأَنَّهُ لَا يَكُونُ إِلَّا بِالْقَوْلِ، وَالشُّكْرُ أَعَمُّ مِنْ حَيْثُ مَا يَقَعَانِ عَلَيْهِ ، لِأَنَّهُ يَكُونُ بِالْقَوْلِ وَالْعَمَلِ وَالنِّيَّةِ ، وَهُوَ أَخَصُّ لِأَنَّهُ لَا يَكُونُ إِلَّا عَلَى الصِّفَاتِ الْمُتَعَدِّيَةِ، لَا يُقَالُ: شَكَرْتُهُ لِفُرُوسِيَّتِهِ، وَتَقُولُ: شَكَرْتُهُ عَلَى كَرَمِهِ وَإِحْسَانِهِ إِلَيَّ [3].

5- الفرق بين الحمد والمدح من وجوه :

الأول : أن المدح قد يحصل للحي ولغير الحي ألا ترى أن من رأى لؤلؤة في غاية الحسن أو ياقوتة في غاية الحسن فإنه قد يمدحها ،ويستحيل أن يحمدها ،فثبت أن المدح أعم من الحمد.

الثاني : أن المدح قد يكون قبل الإحسان وقد يكون بعده، وأما الحمد فإنه لا يكون إلا بعد الإحسان.

الثالث : أن المدح قد يكون منهيًا عنه كما قال تعالى :{ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى } [النجم : 32]، وأما الحمد فإنه مأمور به مطلقا.

6- الحمد والمدح والشكر متقاربة المعنى ، والفرق بينهم أن الحمد نقيض الذم ،كما أن المدح نقيض الهجاء، والشكر نقيض الكفران، والحمد قد يكون من غير نعمة، والشكر يختص بالنعمة، ألا ترى أن الحمد يوضع موضع الشكر ويقال : الحمد لله شكرًا، فينصب شكرًا على المصدر ، ولو لم يكن الحمد في معنى الشكر لما نصبه فإذا كان الحمد يقع موقع الشكر فالشكر هو الاعتراف بالنعمة مع ضرب من التعظيم ويكون بالقلب وهو

[1] - تفسير أضواء البيان للشنقيطي (5/1)
[2] - تفسير البغوي (73/1) ط إحياء التراث..
[3] - تفسير ابن كثير- ت سلامة (1/ 128)

الأصل ويكون أيضا باللسان وإنما يجب باللسان لنفي تهمة الجحود والكفران، وأما المدح فهو القول المنبئ عن عظم حال الممدوح مع القصد إليه.أهـ. [1]

7- قال الفخر الرازي :اللَّامُ فِي قَوْلِهِ (الْحَمْدُ لِلَّهِ) يَحْتَمِلُ وُجُوهًا كَثِيرَةً: أَحَدُهَا: الِاخْتِصَاصُ اللَّائِقُ، كَقَوْلِكَ الْجُلُّ لِلْفَرَسِ ، وَثَانِيهَا: الْمِلْكُ، كَقَوْلِكَ الدَّارُ لِزَيْدٍ، وَثَالِثُهَا: الْقُدْرَةُ وَالِاسْتِيلَاءُ، كَقَوْلِكَ الْبَلَدُ لِلسُّلْطَانِ.
وَاللَّامُ فِي قَوْلِكَ (الْحَمْدُ لِلَّهِ) يَحْتَمِلُ هَذِهِ الْوُجُوهَ الثَّلَاثَةَ فَإِنْ حَمَلْتَهُ عَلَى الِاخْتِصَاصِ اللَّائِقِ فَمِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّهُ لَا يَلِيقُ الْحَمْدُ إِلَّا بِهِ لِغَايَةِ جَلَالِهِ وَكَثْرَةِ فَضْلِهِ وَإِحْسَانِهِ، وَإِنْ حَمَلْتَهُ عَلَى الْمِلْكِ فَمَعْلُومٌ أَنَّهُ تَعَالَى مَالِكٌ لِلْكُلِّ فَوَجَبَ أَنْ يَمْلِكَ مِنْهُمْ كَوْنَهُمْ مُشْتَغِلِينَ بِحَمْدِهِ، وَإِنْ حَمَلْتَهُ عَلَى الِاسْتِيلَاءِ وَالْقُدْرَةِ فَالْحَقُّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى كَذَلِكَ لِأَنَّهُ وَاجِبٌ لِذَاتِهِ وَمَا سِوَاهُ مُمْكِنٌ لِذَاتِهِ وَالْوَاجِبُ لِذَاتِهِ مُسْتَوْلٍ عَلَى الْمُمْكِنِ لِذَاتِهِ " أهـ [2]

8- فإن قيل : لم خص الحمد بالله ولم يقل الحمد للخالق ؟ أو نحوه من بقية الصفات ؟
فالجواب : لئلا يتوهم الاختصاص واستحقاق الحمد بوصف دون وصف[3].

9- وإن قيل لماذا كان التعبير بقوله:(الحمد لله) ولم يكن بـ (أحمد الله) ؟

فالجواب كما قال الرازي: الحمد لله أبلغ من أحمد الله لوجوه:أَحَدُهَا: أَنَّهُ لَوْ قَالَ أَحْمَدُ اللَّهَ أَفَادَ ذَلِكَ كَوْنَ ذَلِكَ الْقَائِلِ قَادِرًا عَلَى حَمْدِهِ أَمَّا لَمَّا قَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ فَقَدْ أَفَادَ ذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ مَحْمُودًا قَبْلَ حَمْدِ الْحَامِدِينَ وَقَبْلَ شُكْرِ الشَّاكِرِينَ، فَهَؤُلَاءِ سَوَاءٌ حَمِدُوا أَوْ لَمْ يَحْمَدُوا وَسَوَاءٌ شَكَرُوا أَوْ لَمْ يَشْكُرُوا فَهُوَ تَعَالَى مَحْمُودٌ مِنَ الْأَزَلِ إِلَى الْأَبَدِ بِحَمْدِهِ الْقَدِيمِ وَكَلَامِهِ الْقَدِيمِ .
وَثَانِيهَا: أَنَّ قَوْلَنَا الْحَمْدُ لِلَّهِ، مَعْنَاهُ أَنَّ الْحَمْدَ وَالثَّنَاءَ حَقٌّ لِلَّهِ وَمِلْكُهُ، فَإِنَّهُ تَعَالَى هُوَ الْمُسْتَحِقُّ لِلْحَمْدِ بِسَبَبِ كَثْرَةِ أَيَادِيهِ وَأَنْوَاعِ آلَائِهِ عَلَى الْعِبَادِ، فَقَوْلُنَا: الْحَمْدُ لِلَّهِ مَعْنَاهُ أَنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ حَقٌّ يَسْتَحِقُّهُ لِذَاتِهِ، وَلَوْ قَالَ أَحْمَدُ اللَّهَ لَمْ يَدُلَّ ذَلِكَ عَلَى كَوْنِهِ مُسْتَحِقًّا لِلْحَمْدِ لِذَاتِهِ وَمَعْلُومٌ أَنَّ اللَّفْظَ الدَّالَّ عَلَى كَوْنِهِ مُسْتَحِقًّا لِلْحَمْدِ أَوْلَى مِنَ اللَّفْظِ الدَّالِّ على أن شخصاً واحد حَمِدَهُ.
وَثَالِثُهَا: أَنَّهُ لَوْ قَالَ أَحْمَدُ اللَّهَ لَكَانَ قَدْ حَمِدَ لَكِنْ لَا حَمْدًا يَلِيقُ بِهِ، وَأَمَّا إِذَا قَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ فَكَأَنَّهُ قَالَ: مَنْ أَنَا حَتَّى أَحْمَدَهُ؟ لَكِنَّهُ مَحْمُودٌ بِجَمِيعِ حَمْدِ الْحَامِدِينَ، مِثَالُهُ

[1] - ذكره في جامع لطائف التفسير (1 / 65)
[2] - التفسير الكبير للفخر الرازي (192/1)
[3] - السراج المنير للخطيب الشربيني (9/1) مطبعة بولاق (الأميرية) – القاهرة

مَا لَوْ سُئِلْتَ: هَلْ لِفُلَانٍ عَلَيْكَ نِعْمَةٌ؟ فَإِنْ قُلْتَ: نَعَمْ، فَقَدْ حَمِدْتَهُ وَلَكِنْ حَمْدًا ضَعِيفًا، وَلَوْ قُلْتَ فِي الْجَوَابِ: بَلْ نِعَمُهُ عَلَى كُلِّ الْخَلَائِقِ، فَقَدْ حَمِدْتَهُ بِأَكْمَلِ الْمَحَامِدِ أهـ[1].

10- (الحمد لله) له تعلق بالماضي وتعلق بالمستقبل ،أما تعلقه بالماضي فهو أن يقع شكرًا على النعم المتقدمة ،وأما تعلقه بالمستقبل فهو أنه يوجب تجدد النعم في الزمان المستقبل لقوله تعالى:{ لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ }[إبراهيم : 7][2]

11- قال الإمام ابن القيم - رحمه الله -:
" الملك والحمد في حقه تعالي متلازمان فكل ما شمله ملكه وقدرته شمله حمده فهو محمود في ملكه وله الملك والقدرة مع حمده ، فكما يستحيل خروج شيء من الموجودات عن ملكه وقدرته يستحيل خروجها عن حمده وحكمته ثم قال : فالحمد أوسع الصفات وأعم المدائح ، والطرق إلى العلم به في غاية الكثرة والسبيل إلى اعتباره في ذرات العالم وجزيئاته وتفاصيل الأمر والنهى واسعة جداً لأن جميع أسمائه تبارك وتعالي حمد ، وصفاته حمد ، وأفعاله حمد ، وأحكامه حمد ، وعدله حمد ، وانتقامه من أعدائه حمد ، وفضله في إحسانه إلى أوليائه حمد ، والخلق والأمر إنما قام بحمده ، ووجد بحمده وظهر بحمده وكان الغاية هي حمده " أهـ. [3]

12- أول كلمة ذكرها أبونا آدم عليه السلام هي قوله (الحمد لله) وآخر كلمة يذكرها أهل الجنة (الحمد لله) أما الأول فلأنه لما بلغ الروح إلى سرته عطس فقال الحمد لله رب العالمين ،وأما الثاني فهو قوله سبحانه وتعالى {وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ }[يونس : 10] ففاتحة العالم مبنية على الحمد وخاتمته مبنية على الحمد فاجتهد حتى يكون أول أعمالك وأخرها مقرونًا بهذه الكلمة فإن الإنسان عالم صغير فيجب أن تكون أحواله موافقة لأحوال العالم الكبير[4].

13- (الْحَمْدُ لِلَّهِ) ثَمَانِيَةُ أَحْرُفٍ، وَأَبْوَابُ الْجَنَّةِ ثَمَانِيَةٌ، فاجتهد أن تكون من أهل هذه الكلمة العاملين بمقتضاها لتدخل من أَبْوَابِ الْجَنَّة الثمانية.

14- وَقَدْ وَرَدَ فِي فَضْلِ الْحَمْدِ أَحَادِيثُ. مِنْهَا مَا أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ وَالنَّسَائِيُّ وَالْحَاكِمُ وَصَحَّحَهُ، وَالْبُخَارِيُّ فِي الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ عَنِ الْأَسْوَدِ بْنِ سَرِيعٍ قَالَ: « قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَلَا أَنْشُدُكَ مَحَامِدَ حَمَدْتُ بِهَا رَبِّي تَبَارَكَ وَتَعَالَى؟فَقَالَ: أَمَا إِنَّ رَبَّكَ يُحِبُّ الْحَمْدَ » .

---

[1] - التفسير الكبير (1/ 191)
[2] - التفسير الكبير(195/1)
[3] - طريق الهجرتين وباب السعادتين للإمام ابن القيم صـ125 - 126 بتصرف يسير
[4] - التفسير الكبير (195/1) بتصرف يسير

وَمنها ما أَخْرَجَ مُسْلِمٌ وَالنَّسَائِيُّ وَأَحْمَدُ عَنْ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:« الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ »
وَمنها ما أَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ وَحَسَّنَهُ وَالنَّسَائِيُّ وَابْنُ مَاجَهْ وَابْنُ حِبَّانَ وَالْبَيْهَقِيُّ عَنْ جَابِرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسلم: « أَفْضَلُ الذِّكْرِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَفْضَلُ الدُّعَاءِ الْحَمْدُ لِلَّهِ » .
وَمنها ما أَخْرَجَ ابْنُ مَاجَهْ وَالْبَيْهَقِيُّ بِسَنَدٍ حَسَنٍ عَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « مَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَى عَبْدٍ نِعْمَةً فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ إِلَّا كَانَ الَّذِي أَعْطَى أَفْضَلَ مِمَّا أَخَذَ »
وَأَخْرَجَ مُسْلِمٌ عَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ لَيَرْضَى عَنِ الْعَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الْأَكْلَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا، أَوْ يَشْرَبَ الشَّرْبَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا»
ومنها ما رواه الترمذي وغيره عن رِفَاعَةُ بْنُ رَافِعٍ قَالَ: صَلَّيْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَعَطَسْتُ، فَقُلْتُ: الحَمْدُ لِلَّهِ حَمْدًا كَثِيرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيهِ، مُبَارَكًا عَلَيْهِ، كَمَا يُحِبُّ رَبُّنَا وَيَرْضَى، فَلَمَّا صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ انْصَرَفَ، فَقَالَ: «مَنِ المُتَكَلِّمُ فِي الصَّلَاةِ؟» ، فَلَمْ يَتَكَلَّمْ أَحَدٌ، ثُمَّ قَالَهَا الثَّانِيَةَ: «مَنِ المُتَكَلِّمُ فِي الصَّلَاةِ؟» ، فَلَمْ يَتَكَلَّمْ أَحَدٌ، ثُمَّ قَالَهَا الثَّالِثَةَ: «مَنِ المُتَكَلِّمُ فِي الصَّلَاةِ؟» فَقَالَ رِفَاعَةُ بْنُ رَافِعِ ابْنُ عَفْرَاءَ: أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «كَيْفَ قُلْتَ؟» ، قَالَ: قُلْتُ: الحَمْدُ لِلَّهِ حَمْدًا كَثِيرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيهِ مُبَارَكًا عَلَيْهِ، كَمَا يُحِبُّ رَبُّنَا وَيَرْضَى، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَقَدْ ابْتَدَرَهَا بِضْعَةٌ وَثَلَاثُونَ مَلَكًا، أَيُّهُمْ يَصْعَدُ بِهَا» [1]،

• لطائف في معنى (رب العالمين)

1- قال القاسمي - رحمه الله - و"العالمين" جمع عالم وهو : الخلق كله وكل صنف منه ،وإيثار صيغة الجمع لبيان شمول ربوبيته تعالى لجميع الأجناس ، والتعريف لاستغراق أفراد كل منها بأسرها. أهـ[2]

2- قال القشيري - رحمه الله - " الرب هو السيد ، والعالمون جميع المخلوقات ، واختصاص هذا الجمع بلفظ العالمين لاشتماله على العقلاء والجمادات فهو مالك الأعيان ومنشيها ، وموجد الرسوم والديار بما فيها.
ويدل اسم الرب أيضاً على تربية الخلق .أهـ[3]
و قال السعدي - رحمه الله - " وتربيته لخلقه نوعان : عامة وخاصة

---

1 - الترمذي(2/ 254 رقم 404) وقال: وَفِي البَابِ عَنْ أَنَسٍ، وَوَائِلِ بْنِ حُجْرٍ، وَعَامِرِ بْنِ رَبِيعَةَ،: " حَدِيثُ رِفَاعَةَ حَدِيثٌ حَسَنٌ.أهـ.وحسنه الألباني.
[2] - تفسير القاسمي حـ 2 ص247 ط دار الحديث - القاهرة.
[3] - لطائف الإشارات حـ1 ص 46-47

فالعامة: هي خلقه للمخلوقين ورزقهم ، وهدايتهم لما فيه مصالحهم التي فيها بقاؤهم في الدنيا .
والخاصة : تربيته لأوليائه ، فيربيهم بالإيمان ، ويوفقهم له ، ويكملهم ، ويدفع عنهم الصوارف ، والعوائق الحائلة بينهم وبينه ، وحقيقتها : تربية التوفيق لكل خير ، والعصمة من كل شر ، ولعل هذا المعنى هو السر في كون أكثر أدعية الأنبياء بلفظ الرب ،فإن مطالبهم كلها داخلة تحت ربوبيته الخاصة "[1]

3- دل قوله (رَبِّ الْعَالَمِينَ) على انفراده بالخلق والتدبير، والنعم، وكمال غناه، وتمام فقر العالمين إليه بكل وجه واعتبار[2] .

4- فإن قيل لم جمع (العالمين) جمع قلة مع أن المقام يستدعي الإتيان بجمع الكثرة ؟ أجيب بأن فيه تنبيهاً على أنهم وإن كثروا قليلون في جنب عظمته وكبريائه تعالى[3].

5- وقال كعب الأحبار لا يحصى عدد العالمين أحد إلا الله ، قال تعالى: {وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ } [المدثر:31]. أهـ[4]

تفسيرقوله تعالى:{ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (3)}

تقدم تفسيرها مع البسملة.
(لطيفة 1) إن قيل : إنه تعالى ذكر الرحمن الرحيم في التسمية ثم ذكرهما مرة ثانية دون الأسماء الثلاثة الباقية ، فما الحكمة في ذلك ؟
أجيب بأن الحكمة في ذلك كأنه قال تعالى : أذكر أني إله ورب مرة واحدة وأذكر أني رحمن رحيم مرتين ليعلم أن العناية بالرحمة أكثر منه بسائر الأمور[5].

(لطيفة 2) قال القاسمي - رحمه الله - إيرادهما عقب وصف الربوبية من باب قرن الترغيب بالترهيب الذي هو أسلوب التنزيل الحكيم. أهـ[1]

---

[1] - تفسير تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي(ص39)- مؤسسة الرسالة
[2] - تفسير السعدي(ص39)
[3] - تفسير السراج المنير للخطيب الشربيني (9/1)
[4] - تفسير معالم التنزيل للبغوي (74/1) دار إحياء التراث ..وكل قرن أو جيل من الناس يعتبر عالماً. قال تعالى لبني إسرائيل " وأني فضلتكم على العالمين" والمراد عالمي زمانهم فمن يحصي هذه العوالم إلا الله الذي أحاط بكل شيء علما.
[5] - السراج المنير للخطيب الشربيني (9/1)

تفسير قوله { مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ (4) }

المعنى الإجمالي:
وهو وحده مالك يوم القيامة، وهو يوم الحساب والجزاء على الأعمال.
التفسير التحليلي:
(المالِك) وصفٌ من المِلك- بكسر الميم- بمعنى حيازة الشيء مع القدرة على التصرف فيه. والمالك هو المتصرف في الأعيان المملوكة كيف يشاء.
و(اليوم) في العرف: ما يكون من طلوع الشمس إلى غروبها، وليس هذا مرادًا هنا، وإنما المراد مطلق الزمن، وهو يوم القيامة، كما بَيَّنَهُ فِي قَوْلِهِ تعالى:{وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ }[الانفطار:17-19]
و(الدين): الجزاء والحساب، يقال: دنته بما صنع، أى: جازيته على صنيعه، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: { يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ}[النور:25] أَيْ: جَزَاءُ أَعْمَالِهِمْ بِالْعَدْلِ. ومنه قولهم (كما تدين تدان). أى: كما تَفعل تُجازى، وفي الحديث :"الكَيِّسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ المَوْتِ"[2] أى: حاسب نفسه[3].

- **لطائف في معنى الآية :**

---

[1] ـ تفسير القاسمي حـ2 ص247

[2] ـ الحديث أخرجه أحمد(17123-أرنؤوط) وقال الأرنؤوط: إسناده ضعيف لضعف أبي بكر بن أبي مريم، وباقي رجال الإسناد ثقات.. ورواه ابن المبارك في "الزهد" (171) ، ومن طريقه أخرجه الطيالسي (1112) ، والترمذي (2459) ، والطبراني في "الكبير" (7143) ، وفي "مسند الشاميين" (1485) ، والحاكم 57/1 و251/4. وقال الترمذي: هذا حديث حسن، وصححه الحاكم في الموضعين، فتعقبه الذهبي في الموضع الأول بقوله: لا والله، أبو بكر واه، ولم يتعقبه في الموضع الثاني.
وأخرجه ابن ماجه (4260) ، والبيهقي في "الآداب" (991) ، والبغوي في "شرح السنة" (4117) من طرق عن أبي بكر بن أبي مريم، به

[3] ـ أضواء البيان للشنقيطي(6/1) والتفسير الوسيط لسيد طنطاوي (20/1) دار نهضة مصر.وانظر تفسير البيضاوي(28/1) دار إحياء التراث العربي – بيروت.

والحديث المذكور أخرجه أحمد(17123-أرنؤوط) وقال الأرنؤوط: إسناده ضعيف لضعف أبي بكر بن أبي مريم، وباقي رجال الإسناد ثقات.. ورواه ابن المبارك في "الزهد" (171) ، ومن طريقه أخرجه الطيالسي (1112) ، والترمذي (2459) ، والطبراني في "الكبير" (7143) ، وفي "مسند الشاميين" (1485) ، والحاكم 57/1 و251/4. وقال الترمذي: هذا حديث حسن، وصححه الحاكم في الموضعين، فتعقبه الذهبي في الموضع الأول بقوله: لا والله، أبو بكر واه، ولم يتعقبه في الموضع الثاني.
وأخرجه ابن ماجه (4260) ، والبيهقي في "الآداب" (991) ، والبغوي في "شرح السنة" (4117) من طرق عن أبي بكر بن أبي مريم، به

16- قَرَأَ بَعْضُ الْقُرَّاءِ (مَالِك يَوْمِ الدِّينِ) وَقَرَأَ آخَرُونَ (مَلِكِ) بدون ألف، وَكِلَاهُمَا صَحِيحٌ مُتَوَاتِرٌ فِي السَّبْعِ. قَالَ قَوْمٌ: مَعْنَاهُمَا وَاحِدٌ مِثْلَ: فَرِهِينَ وَفَارِهِينَ، وَحَذِرِينَ وحاذرين، ومعناهما (الربّ)، كما يُقَالُ: رَبُّ الدَّارِ وَمَالِكُهَا

17- مَالِكُ مَأْخُوذٌ مِنَ المِلْك، كَمَا قَالَ تعالى: {إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ} [مَرْيَمَ: 40]، وَمَلِكٌ: مَأْخُوذٌ مِنَ الْمُلْكِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: {لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ} [غَافِرٍ: 16] وَقَالَ: {قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ} [الْأَنْعَامِ: 73] وَقَالَ: {الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا} [الفرقان: 26] . ومعنى المُلك يتضمنه بالاقتضاء معنى المِلْك، لأن من ملك شيئا ملك السلطان فيه، والسيطرة عليه، فالمِلْكَ يقتضي المُلْكَ والسلطان، والمُلْكُ لا يقتضي المِلك والسلطان، ولذلك يقال سبحان مالك الملك، ولا يقال مَلِكُ الملك. وليس لنا أن نراجح بين قراءة وقراءة، لأن كلتيهما تتمم لأخرى.ورأينا أن كل قراءة متواترة قرآن، و القرآن لَا يخالف بعضه بعضا، بل قد يُتِمُّ بعضه بعضا، وخلاصة القول في القراءتين أن قراءة (مَلِك يوم الدين) موضّحة لما تضمنته (مالك يوم الدين) [1]

18- المَلِك له هيبة وسياسة ، والمالِك له رأفة ورحمة ، وقال القرطبي : إِنْ وُصِفَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ بِأَنَّهُ (مَلِكٌ) كَانَ ذَلِكَ مِنْ صِفَاتِ ذَاتِهِ، وَإِنْ وُصِفَ بِأَنَّهُ (مَالِكٌ) كَانَ ذَلِكَ مِنْ صِفَاتِ فِعْلِهِ .أهـ[2]

19- أضاف الملك ليوم الدين، وهو يوم القيامة، يوم يدان الناس فيه بأعمالهم، خيرها وشرها، لأن في ذلك اليوم، يظهر للخلق - تمام الظهور- كمالُ ملكه وعدله وحكمته، وانقطاع أملاك الخلائق. حتى إنه يستوي في ذلك اليوم الملوك والرعايا والعبيد والأحرار.كلهم مذعنون لعظمته، خاضعون لعزته، منتظرون لمجازاته، راجون ثوابه، خائفون من عقابه [3]

20- فإن قيل : لم خص (يوم الدين) بالذكر مع كونه مالكاً للأيام كلها ؟
والجواب : لانقطاع أملاك الخلائق ، فالأملاك يومئذ زائلة ، فلا ملك ولا أمر إلا له عز وجلَّ، قال تعالى:{ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ} [غافر : 16] وقال : { وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ }[الانفطار : 19] [4] .
فَلَا يَدَّعِي أَحَدٌ هُنَالِكَ شَيْئًا، وَلَا يَتَكَلَّمُ أَحَدٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ، كَمَا قَالَ تعالى: {يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا} [النَّبَأِ: 38]

---

[1] - زهرة النفاسير للشيخ محمد أبو زهرة (61/1)- دار النشر: دار الفكر العربي.
[2] - تفسير القرطبي (143/1)
[3] - تفسير السعدي(ص:39)
[4] - تفسير البغوي (74/1) بتصرف

وَقَالَ تَعَالَى: {وَخَشَعَتِ الأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلا تَسْمَعُ إِلا هَمْسًا} [طه: 108] ، وَقَالَ: {يَوْمَ يَأْتِ لا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ} [هُودٍ: 105]1
قال القاسمي : وتخصيصه بالإضافة إما لتعظيمه وتهويله أو لبيان تفرده تعالى بإجراء الأمر وفصل القضاء. أهـ2

21- وإن قيل لمَ قدَّمَ (الرحمن الرحيم) على (مالك يوم الدين) فالجواب: لأن رحمة الله سبقت غضبه ، كما ورد في الحدث الصحيح عن أبيهُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: " إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ كِتَابًا قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ الخَلْقَ: إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي، فَهُوَ مَكْتُوبٌ عِنْدَهُ فَوْقَ العَرْشِ " 3

22- من أحكام كونه مَلِكاً كمال الرحمة ، والدليل عليه آيات :
إحداها : ما ذكر في هذه السورة من كونه رباً رحماناً رحيماً .
وثانيها : قوله تعالى : " هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ " ثم قال بعده : { هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ } [الحشر:22، 23] ثم ذكر بعده كونه قدوساً عن الظلم والجور ، ثم ذكر بعده كونه سلاماً ، وهو الذي سلم عباده من ظلمه وجوره ، ثم ذكر بعده كونه مؤمناً ، وهو الذي يؤمن عبيده عن جوره وظلمه ، فثبت أن كونه ملكاً لا يتم إلا مع كمال الرحمة.
وثالثها : قوله تعالى : { الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ }[الفرقان : 26] لما أثبت لنفسه الملك أردفه بأن وصف نفسه بكونه رحماناً ، يعني إن كان ثبوت الملك له في ذلك اليوم يدل على كمال القهر ، فكونه رحماناً يدل على زوال الخوف وحصول الرحمة4.

23- ذكر الله تعالى في هذه السورة من أسماء نفسه خمسة : الله ، والرب ، والرحمن ، والرحيم ، والمالك. والسبب فيه كأنه يقول خلقتك أولاً فأنا إله. ثم ربيتك بوجوه النعم فأنا رب ، ثم عصيتَ فسترتُ عليك فأنا رحمن ، ثم تبتَ فغفرتُ لك فأنا رحيم،ثم لا بد من إيصال الجزاء إليك فأنا مالك يوم الدين5 .

تفسير: { إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (5) }

1 - تفسير ابن كثير(134/1)
2 - محاسن التأويل للقاسمي حـ2 ص248
3 - رواه البخاري(7554) وأطرافه(7453 و7422)
4 - التفسير الكبير (205/1-208) ، وانظر جامع لطائف التفسير (1 / 77)
5 - المصدر السابق

المعنى الإجمالي:
نخصك وحدك بالعبادة، ونطلبُ منك وحدك المعونة على جميع أمورنا.
التفسير التحليلي:
(إيَّاك): لفظ «إيَّا» ضمير منفصل، و «الكاف» الملحقة به للخطاب.
(إيَّاك نعبد) أي نوحدك ونطيعك خاضعين ، والعبادة : الطاعة مع التذلل والخضوع . وسُمي العبدُ عبداً لذلته وانقياده، يقال : طريق مُعبَّد أي مذلل.
(إيَّاك نستعين): نطلب معونتك، فالاستعانة: طلب المعونة من أجل الاقتدار على الشيء والتمكن من فعله[1] .

• لطائف في معنى الآية :

1- أَشَارَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ إِلَى تَحْقِيقِ مَعْنَى (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) ؛ لِأَنَّ مَعْنَاهَا مُرَكَّبٌ مِنْ أَمْرَيْنِ: نَفْيٌ وَإِثْبَاتٌ. فَالنَّفْيُ: خَلْعُ جَمِيعِ الْمَعْبُودَاتِ غَيْرِ اللَّهِ تَعَالَى فِي جَمِيعِ أَنْوَاعِ الْعِبَادَاتِ. وَالْإِثْبَاتُ: إِفْرَادُ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَحْدَهُ بِجَمِيعِ أَنْوَاعِ الْعِبَادَاتِ عَلَى الْوَجْهِ الْمَشْرُوعِ. وَقَدْ أَشَارَ إِلَى النَّفْيِ مِنْ (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) بِتَقْدِيمِ الْمَعْمُولِ الَّذِي هُوَ (إِيَّاكَ) وَقَدْ تَقَرَّرَ فِي الْأُصُولِ فِي مَبْحَثِ دَلِيلِ الْخِطَابِ الَّذِي هُوَ مَفْهُومُ الْمُخَالَفَةِ. وَفِي الْمَعَانِي فِي مَبْحَثِ الْقَصْرِ: أَنَّ تَقْدِيمَ الْمَعْمُولِ مِنْ صِيَغِ الْحَصْرِ. وَأَشَارَ إِلَى الْإِثْبَاتِ مِنْهَا بِقَوْلِهِ: (نَعْبُدُ) [2].
2- إذًا قدم- سبحانه- المعبود على العبادة فقال: (إِيَّاكَ نَعْبُدُ)، لإفادة قصر العبادة عليه، وهو ما يقتضيه التوحيد الخالص..
وأيضًا:الابتداء بذكر المعبود أتم من الابتداء بذكر صفته - التي هي عبادته واستعانته - وهذه الصيغة أجزل في اللفظ ، وأعذب في السمع.
والعبادة تشير إلى بذل الجهد والمنة ، والاستعانة تخبر عن استجلاب الطول والمنة.فبالعبادة يظهر شرف العبد ، وبالاستعانة يحصل اللطف للعبد.
في العبادة وجود شرفه ، وبالاستعانة أمان تلفه ، والعبادة ظاهرها تذلل وحقيقتها تعزز وتحمل :
وإذا تذللت الرقاب تقرباً.....منا إليك فعزها في ذلها [3].
وقال القرطبي " وأيضاً لئلا يتقدم ذكر العبد والعبادة على المعبود.أهـ[4]
3- فإن قيل: ما معنى النون في قوله تعالى (إياك نعبد وإياك نستعين) فإن كانت للجمع فالداعي واحد وإن كانت للتعظيم فلا يناسب هذا المقام ؟

---

[1] - انظر: **تفسير البغوي(75/1) والتفسير الوسيط للطنطاوي(21/1)**
[2] -أضواء البيان للشنقيطي(7/1)
[3] - **لطائف الإشارات حـ1 ص48-49 بتصرف**
[4] - **تفسير القرطبي (145/1)**

وقد أجيب بأن (نَعْبُدُ) بنون الجماعة ،ليدل على أن العبادة أحسن ما تكون في جماعة المؤمنين ، وللإشعار بأن المؤمنين المخلصين يكونون في اتحادهم وإخائهم بحيث يقوم كل واحد منهم في الحديث عن شئونهم الظاهرة وغير الظاهرة مقام جميعهم، فهم كما قال النبي صلّى الله عليه وسلّم:« الْمُسْلِمُونَ تَتَكَافَأُ دِمَاؤُهُمْ. يَسْعَى بِذِمَّتِهِمْ أَدْنَاهُمْ، وَيُجِيرُ عَلَيْهِمْ أَقْصَاهُمْ، وَهُمْ يَدٌ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ »[1]
ومنهم من قال : يجوز أن تكون للتعظيم كأن العبد قيل له : إن كنت داخل العبادة فأنت شريف وجاهك عريض فقل : "إياك نعبد وإياك نستعين" والعبادة مقام عظيم يشرف به العبد لانتسابه به إلى جناب الله تعالى[2].

1- فإن قيل لم تكرر الضمير المنصوب [إياك] ؟
فالجواب : كما قال أبو السعود - رحمه الله - للتنصيص على تخصصه تعالى بكل واحدة من العبادة والاستعانة ،ولإبراز الاستلذاذ بالمناجاة والخطاب.
2- وإن قيل : لم قدم العبادة على الاستعانة ؟
فالجواب : لأن العبادة من حقوق الله تعالى ، والاستعانة من حقوق المستعين ، ولأن العبادة واجبة حتماً ، والاستعانة تابعة للمستعان فيه في الوجوب وعدمه ، وقيل: لأن تقديم الوسيلة على المسئول أدعى إلى الإجابة والقبول[3].
<u>وأجاب الخازن عن ذلك بأوجه منها</u> : إن الاستعانة نوع تعبد فكأنه ذكر جملة العبادة أولاً ، ثم ذكر ما هو من تفاصيلها ثانياً .
ومنها: كأن العبد يقول شرعت في العبادة فأنا أستعين بك على إتمامها.
ومنها: أن العبد إذا قال (إياك نعبد) حصل له الفخر وذلك منزلة عظيمة فيحصل بسبب ذلك العجب فأردف ذلك بقوله(وإياك نستعين) ليزول ذلك العجب الحاصل بسبب تلك العبادة. أهـ[4]

3- في قوله (إياك نعبد وإياك نستعين) انتقال من لفظ الغيبة-كما في الآيات السابقة- إلى لفظ الخطاب ، فما الفائدة فيه ؟
<u>الجواب من وجوه</u> [5]:
منها : أن أحسن السؤال ما وقع على سبيل المشافهة ، ألا ترى أن الأنبياء عليهم السلام لما سألوا ربهم شافهوه بالسؤال فقالوا : { رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا } [الأعراف : 23] ، و{ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا } [آل عمران : 147] ، و{ رَبِّ هَبْ لِي } [آل عمران : 38] ،

[1] - رواه أبو داود(2751) عن عبد الله بن عمرو، وقال الألباني حسن صحيح. وأخرجه أحمد(991-أرنؤوط) والنسائي(4735و 4745) عن علي بن أبي طالب ،وصححه الألباني والأرنؤوط، ورواه ابن ماجة(2683) عن ابن عباس.وصححه الألباني.
[2] - ابن كثير (136/1)
[3] - تفسير أبي السعود حـ1 ص17
[4] - تفسير الخازن (20/1) باختصار يسير.
[5] - التفسير الكبير (215-216) وانظر: جامع لطائف التفسير(1 / 82)،باختصار

و{ رَبِّ أَرِنِي } [الأعراف : 143] والسبب فيه أن الرد من الكريم على سبيل المشافهة والمخاطبة بعيد ،
ومنها: أنّ العبادة خدمة ، والخدمة في الحضور أولى .
ومنها : أن من أول السورة إلى قوله (إياك نعبد) ثناء ، والثناء في الغيبة أولى ، ومن قوله (إياك نعبد وإياك نستعين) إلى آخر السورة دعاء، والدعاء في الحضور أولى .
ومنها : أن العبد لما شرع في الصلاة ونوى الصلاة تقرباً إلى الله ، ثم إنه ذكر بعد هذه النية أنواعاً من الثناء على الله ، فاقتضى كرم الله إجابته في تحصيل تلك القربة ، فنقله من مقام الغيبة إلى مقام الحضور ، فقال (إياك نعبد وإياك نستعين).
ومنها: أن الانتقال من باب إلى باب في البيان تلوين للنظم يعطي للكلام روعة ، فالانتقال في القول من غيبة إلى خطاب يجدد في النفس الإقبال على الاستمتاع بالتلاوة، والاستمتاع بالسماع، والاعتبار بما في الكتاب، والإقبال الذي يتولد عنه التدبر والتفكر في آيات الله تعالى.وذلك من الأساليب القرآنية كما في قوله عز وجل { اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا ..الآية}[الروم:48] ، وقوله تعالى :{ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ }[يونس:22] إلى غير ذلك من الالتفاتات الواردة في التنزيل لأسرار تقتضيها ومزايا تستدعيها[1] .
و منها : ما ذكره أبو السعود:أن يترقى من رتبة البرهان إلى طبقة العيان وينتقل من عالم الغيبة إلى معالم الشهود ويلاحظ نفسه في حظائر القدس حاضراً في محاضر الأنس كأنه واقف لدى مولاه ماثل بين يديه وهو يدع وبالخضوع والإخبات ويقرع بالضراعة باب المناجاة قائلاً يا من هذه شئون ذاته وصفاته نخصك بالعبادة والاستعانة فإن كل ما سواك كائناً من كان بمعزل عن استحقاق الوجود فضلاً عن استحقاق أن يعبد أو يستعان ولعل هذا هو السر في اختصاص السورة الكريمة بوجوب القراءة في كل ركعة من الصلاة التي هي مناجاة العبد لمولاه ومئنة للتبتل إليه بالكلية.اهـ[2]

فوائد متعلقة بالعبادة:
العبادة : هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة.وقال ابن القيم: الْعُبُودِيَّةُ تَجْمَعُ كَمَالَ الْحُبِّ فِي كَمَالِ الذُّلِّ، وَكَمَالَ الِانْقِيَادِ لِمَرَاضِي الْمَحْبُوبِ وَأَوَامِرِهِ[3]

والعبادة الصحيحة تتأتى للمسلّم بتحقق أمرين: إخلاصها لله، وموافقتها لما جاء به النبي صلّى الله عليه وسلّم.

[1] - زهرة التفاسير لأبي زهرة(1/ 62)و تفسير أبي السعود حـ1 ص16
[2] - تفسير أبي السعود حـ1 ص16
[3] - مدارج السالكين لابن القيم (409/3)

والْعُبُودِيَّةُ نَوْعَانِ: عَامَّةٌ، وَخَاصَّةٌ.
فَالْعُبُودِيَّة الْعَامَّة: عُبُودِيَّة أَهْلِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلِّهِمْ لِلَّهِ، بَرِّهِمْ وَفَاجِرِهِمْ، مُؤْمِنِهِمْ وَكَافِرِهِمْ، فَهَذِهِ عُبُودِيَّةُ الْقَهْرِ وَالْمُلْكِ، قَالَ تَعَالَى {وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا * لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا * تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا * أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا *وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا* إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا} [مريم: 88 - 93] فَهَذَا يَدْخُلُ فِيهِ مُؤْمِنُهُمْ وَكَافِرُهُمْ. وَقَالَ تَعَالَى {وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ أَأَنْتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ} [الفرقان: 17] فَسَمَّاهُمْ عِبَادَهُ مَعَ ضَلَالِهِمْ، لَكِنْ تَسْمِيَةً مُقَيَّدَةً بِالْإِشَارَةِ، وَأَمَّا الْمُطْلَقَةُ فَلَمْ تَجِئْ إِلَّا لِأَهْلِ النَّوْعِ الثَّانِي، كَمَا سَيَأْتِي بَيَانُهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ.
وَأَمَّا النَّوْعُ الثَّانِي: فَعُبُودِيَّةُ الطَّاعَةِ وَالْمَحَبَّةِ، وَاتِّبَاعِ الْأَوَامِرِ، قَالَ تَعَالَى {يَاعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ} [الزخرف: 68] وَقَالَ {فَبَشِّرْ عِبَادِ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ} [الزمر: 17] وَقَالَ {وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا} [الفرقان: 63] وَقَالَ تَعَالَى عَنْ إِبْلِيسَ {وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ} [الحجر: 39] فَقَالَ تَعَالَى عَنْهُمْ {إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ} [الحجر: 42]
فَالْخَلْقُ كُلُّهُمْ عَبِيدُ رُبُوبِيَّتِهِ، وَأَهْلُ طَاعَتِهِ وَوِلَايَتِهِ هُمْ عَبِيدُ إِلَهِيَّتِهِ. . أهـ[1]

تفسير: { اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (6) }

المعنى الإجمالي:
أرشدنا ووفقنا إلى الطريق المستقيم - وهو الإسلام- طريق الحق والخير والسعادة.
التفسير التحليلي:
{ اهْدِنَا }: لها معنيان : الأول: أرشدنا ودلنا. كما قال طَرفة بن العبد:
لِلفَتَى عَقلٌ يَعِيشُ بِهِ ... حَيْثُ تَهْدِي سَاقَه قَدَمُهْ
والثاني : وفقنا، كما قال الشاعر :
فلا تعجلنَّ هداك المليكُ* فإنَّ لكلِّ مقامٍ مقالا
وقال ابن الجوزي - رحمه الله – (اهدِنا) فيه أربعة أقوال : أحدها : ثبتنا، قاله عليٌّ وأبيٌّ. والثاني : أرشدنا ، والثالث : وفقنا ، والرابع : ألهمنا ، وهذه الثلاثة عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أ هـ [1]

[1] - مدارج السالكين حـ1 ص91 ، 90 باختصار.

{ الصِّرَاطَ } : الطريق الموصل إلى رضاك وجنتك ، وهو الإسلام لك.

{ الْمُسْتَقِيمَ } : الذي لا ميل فيه عن الحق ولا زيغ عن الهدى.

وقد تكلم المفسرون كلاما كثيرًا عن المراد بالصراط المستقيم الذي جعل الله طلب الهداية إليه في هذا السورة أول دعوة علمها لعباده. والذي نراه: أن أجمع الأقوال في ذلك أن المراد بالصراط المستقيم، هو ما جاء به الإسلام من عقائد وآداب وأحكام، توصل الناس متى اتبعوها إلى سعادة الدنيا والآخرة [2].
وقد ورد في الأحاديث النبوية ما يؤيد هذا القول، ومن ذلك ما أخرجه الإمام أحمد في مسنده، عَنْ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ الْأَنْصَارِيِّ، عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " ضَرَبَ اللهُ مَثَلًا صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا، وَعَلَى جَنْبَتَيْ الصِّرَاطِ سُورَانِ، فِيهِمَا أَبْوَابٌ مُفَتَّحَةٌ، وَعَلَى الْأَبْوَابِ سُتُورٌ مُرْخَاةٌ، وَعَلَى بَابِ الصِّرَاطِ دَاعٍ يَقُولُ: أَيُّهَا النَّاسُ، ادْخُلُوا الصِّرَاطَ جَمِيعًا، وَلَا تَتَعَرَّجُوا، وَدَاعٍ يَدْعُو مِنْ فَوْقِ الصِّرَاطِ، فَإِذَا أَرَادَ يَفْتَحُ شَيْئًا مِنْ تِلْكَ الْأَبْوَابِ، قَالَ: وَيْحَكَ لَا تَفْتَحْهُ، فَإِنَّكَ إِنْ تَفْتَحْهُ تَلِجْهُ، وَالصِّرَاطُ الْإِسْلَامُ، وَالسُّورَانِ: حُدُودُ اللهِ، وَالْأَبْوَابُ الْمُفَتَّحَةُ: مَحَارِمُ اللهِ، وَذَلِكَ الدَّاعِي عَلَى رَأْسِ الصِّرَاطِ: كِتَابُ اللهِ، وَالدَّاعِي مِنْ فَوْقَ الصِّرَاطِ: وَاعِظُ اللهِ فِي قَلْبِ كُلِّ مُسْلِمٍ " [3].

---

[1] - **تفسير زاد السير لابن الجوزي حـ1 ص14**
[2] - **التفسير الوسيط لطنطاوي(24/1)**
[3] - **رواه أحمد(17634- أرنؤوط) وقال الأرنؤوط: حديث** صحيح، وهذا إسناد حسن من أجل الحسن بن سوار، وباقي رجال الإسناد ثقات رجال الصحيح.وأخرجه الطبري في "التفسير" (187) ، والطحاوي في "شرح مشكل الآثار" (2142) ، والآجري في "الشريعة" ص11-12 من طريق آدم بن أبي إياس، عن الليث بن سعد، بهذا الإسناد. ورواية الطبري مختصرة.
وأخرجه يعقوب بن سفيان في "المعرفة والتاريخ" 414/3، وابن أبي عاصم في "السنة" (19) ، والطبري في "التفسير" 75/1، والطحاوي في "شرح المشكل" (2041) ، والآجري ص 12-13، والطبراني في "الشاميين" (2024) ، والرامهرمزي في "الأمثال" (3) ، والحاكم 73/1 من طريق عبد الله بن صالح، والحاكم 73/1 من طريق ابن وهب، كلاهما عن معاوية بن صالح، به. قال
الحاكم: صحيح على شرط مسلم، ولا أعرف له علة، ولم يخرجاه. وسقط من مطبوع "المعرفة والتاريخ": معاوية بن صالح.وسيأتي الحديث-في المسند- برقم (17636)أهـ .
قوله: (وعلى جنبتي الصراط) قال السندي: الجنبة بفتحتين: الجانب، والأبواب المفتحة، قيل: وصفها بالفتح لأن الشهوات شارعة، والنفس نحوها نازعة.
"الستور": مثل لكل حاجز عن الحرام، حاجب عن المحظور، من دينٍ ومروءةٍ وحياء وهمة وعار وعفة.

- **لطائف وفوائد في معني الآية :**

1- إن قيل : ما معنى سؤال المسلمين الهداية وهم مهتدون؟
فالجواب: بأن المراد التثبيت ودوام الهداية ، فإن العبد مفتقر إلى الله في كل وقت لكي يثبته على الهداية للنجاة من الشهوات والشبهات المتتابعة .
وقيل المعنى: إهدنا لزوم الصراط، فحذف كلمة(لزوم) ، قاله ابن الأنباري
وقيل : المراد بذلك الزيادة في الهداية كما قال تعالى : { وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى}[محمد:17] وقال تعالى: "ومن يؤمن بالله يهد قلبه"
وقيل : يجوز أن يكون ذلك عبادة وانقطاعا إليه تعالى كما قال :{ قَالَ رَبِّ احْكُمْ بِالْحَقِّ}[الأنبياء:112] وإن علمنا أنه لا يحكم إلا بالحق ويكون لنا في ذلك مصلحة كسائر العبادات ، وكما تعبدنا بأن نكرر تسبيحه وتحميده والإقرار بتوحيده ، ولرسوله بالصدق وإن كنا معتقدين لجميع ذلك .
ويجوز أن يكون المراد استمرار التكليف والتعريض للثواب ؛والاستمرار في الدعاء مطلوب في كل حال لطلب الثواب [1]

2- الآية تدل على بطلان قول من يقول : لا يجوز الدعاء بأن يفعل الله ما يعلم أنه يفعله لأنه عبث
لأن النبي (صلى الله عليه وآله) كان عالما بأن الله يهديه الصراط المستقيم ، وأنه قد فعل ومع ذلك كان يدعو به ،

3- لقائل أن يقول : لم قال (اهدنا) ولم يقل: اهدني ؟
والجواب من وجوه :
الأول : أن الدعاء كلما كان أعم كان إلى الإجابة أقرب.ولأن المسلمين أمة واحدة يدعو بعضهم لبعض.
الثاني: كأنه يقول : أيها العبد ، ألست قلت في أول السورة (الحمد لله) وما قلت "أحمد الله"، فذكرتَ أولاً حمد جميع الحامدين فكذلك في وقت الدعاء أشركهم فقل اهدنا[2].
الثالث: قال بعض الناس في جوابه: إنَّ كلَّ عضو من أعضاء العبد، وكل حاسة ظاهرة وباطنة مفتقرة إلى هداية خاصة به فأتى بصيغة الجمع تنزيلا لكل عضو من أعضائه منزلة المسترشد الطالب لهداه ، واستضعف شيخ الإسلام ابن تيمية هذا الجواب جدًا وهو كما قال: "فإن الإنسان اسم للجملة، لا لكل جزء من أجزائه وعضو من أعضائه" والقائل إذا قال: "اغفر لي وارحمني واجبرني وأصلحني واهدني" سائل من الله ما يحصل لجملته ظاهره وباطنه فلا يحتاج أن يستشعر لكل

---

[1] - بدائع الفوائد لابن القيم (37/2) وتفسير زاد المسيرلابن الجوزي(21/1) والتفسير الوسيط لطنطاوي(24/1)والتبيان (40/1).
[2] - التفسير الكبير (219/1)

عضو مسألة تخصه يفرد لها لفظه، فالصواب أن يقال هذا مطابق لقوله: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} والإتيان بضمير الجمع في الموضعين أحسن وأفخم فإن المقام مقام عبودية وافتقار إلى الرب تعالى وإقرار بالفاقة إلى عبوديته واستعانته وهدايته، فأتى به بصيغة ضمير الجمع، أي: نحن معاشر عبيدك مقرون لك بالعبودية وهذا كما يقول العبد للملك المعظم شأنه نحن عبيدك ومماليكك وتحت طاعتك ولا نخالف أمرك فيكون هذا أحسن وأعظم موقعا عند الملك من أن يقول أنا عبدك ومملوكك، ولهذا لو قال أنا وحدي مملوكك استدعى مقته، فإذا قال أنا وكل من في البلد مماليكك وعبيدك وجند لك كان أعظم وأفخم، لأن ذلك يتضمن أن عبيدك كثير جدا وأنا واحد منهم وكلنا مشتركون في عبوديتك والاستعانة بك وطلب الهداية منك، ذلك من الثناء على الرب بسعة مجده وكثرة عبيده وكثرة سائليه الهداية ما لا يتضمنه لفظ الإفراد فتأمله، وإذا تأملت أدعية القرآن رأيت عامتها على هذا النمط نحو: {رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ} [البقرة: 201]ونحو دعاء آخر البقرة وآخر آل عمران وأولها وهو أكثر أدعية القرآن الكريم [1].

4- فإن قيل : لم قدم الحمد والثناء على الدعاء ؟

والجواب : لأن تلك السُّنّة في الدعاء، وشأن الطلب أن يأتي بعد المدح ، وذلك أقرب للإجابة[2]. فقد روى أحمد وغيره عن فَضَالَةَ بْنَ عُبَيْدٍ، صَاحِبَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: سَمِعَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلًا يَدْعُو فِي الصَّلَاةِ، وَلَمْ يَذْكُرِ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ، وَلَمْ يُصَلِّ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " عَجِلَ هَذَا " ثُمَّ دَعَاهُ فَقَالَ لَهُ وَلِغَيْرِهِ: " إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ فَلْيَبْدَأْ بِتَحْمِيدِ رَبِّهِ وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ، ثُمَّ لِيُصَلِّ عَلَى النَّبِيِّ، ثُمَّ لِيَدْعُ بَعْدُ بِمَا شَاءَ " [3].

5- في الآية تعدى الفعل [اهدنا] بنفسه دون حرف [إلى].

وذلك: أن الفعل من الهداية يتعدى بنفسه تارة كما في هذه الآية وكما في قوله تعالى : { وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا } [الفتح : 2] ويتعدى بحرف [إلى] تارة كقوله

---

[1] - بدائع الفوائد لابن القيم(40/2)

[2] - التسهيل لابن جزي (65/1)

[3] - رواه أحمد(23937-أرنؤوط) وأخرجه أبو داود (1481) عن الإمام أحمد، به.وأخرجه الترمذي (3477) ، وأخرجه النسائي 44/3، والبزار في "مسنده" (3748) ، وابن خزيمة (710) ، ، وابن حبان (1960) ، والطبراني في الكبير" 18/ (791) و (793) ، والحاكم 230/1 و268، والبيهقي 147/2-148. وقال الترمذي: حديث حسن صحيح، وصحَّحه الحاكم ووافقه الذهبي. وصححه الألباني. وقال الأرنؤوط:إسناده صحيح،
قال السندي: قوله: "عَجِل هذا" أي: في الدعاء حيث أَتى به قبل الحمد والصلاة، وحقُّه أن يكون بعدهما.

تعالى : { وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ } [الشورى : 52] وباللام تارة كقوله تعالى : { وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ } [الأعراف : 43] وقوله تعالى:{ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ } [الإسراء : 9]. وفعل الهداية متى عدى بـ [إلى] تضمن الإيصال إلى الغاية المطلوبة ، فأتى بحرف الغاية ، ومتى عدى باللام تضمن التخصيص بالشيء المطلوب فأتى باللام الدالة على الاختصاص والتعيين فإذا قلت : هديته لكذا ، فهو معنى ذكرته له وجعلته له وهيأته... ونحو هذا ، وإذا تعدى بنفسه تضمن المعنى الجامع لذلك كله ، وهو التعريف والبيان والإلهام. أ هـ[1]

6- حقيقة الصراط المستقيم شيء واحد:

وهو طريق الله الذي نصه لعباده على ألسن رسله وجعله موصلا لعباده إليه، ولا طريق لهم إليه سواه، بل الطرق كلها مسدودة إلا هذا، وهو "إفراده سبحانه بالعبودية وإفراد رسوله بالطاعة" فلا يشرك به سبحانه أحدًا في عبوديته ولا يشرك برسوله أحدًا في طاعته، فيجرد التوحيد ويجرد متابعة الرسول، وهذا معنى قول بعض العارفين: "إن السعادة والفلاح كله مجموع في شيئين صدق محبته وحسن معاملته" وهذا كله مضمون شهادة "أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله" فأي شيء فُسِّر به الصراط فهو داخل في هذين الأصلين[2]

7- أنواع الهداية أربعة :

أحدها : الهداية العامة المشتركة بين الخلق المذكورة في قوله تعالى: {قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى} أي أعطى كل شيء صورته التي لا يشتبه فيها بغيره وأعطى كل عضو شكله وهيئته وأعطى كل موجود خلقه المختص به ثم هداه إلى ما خلقه له من الأعمال، وهذه هداية الحيوان المتحرك بإرادته إلى جلب ما ينفعه ودفع ما يضره وهداية الجماد المسخر لما خلق له، فله هداية تليق به، كما أن لكل نوع من الحيوان هداية تليق به وإن اختلفت أنواعها وصورها وكذلك كل عضو له هداية تليق به فهدى الرجلين للمشي واليدين للبطش والعمل، واللسان للكلام والأذن للاستماع والعين لكشف المرئيات وكل عضو لما خلق له وهدى الزوجين من كل حيوان إلى الازدواج والتناسل وتربية الولد ، وهدى الولد إلى التقام الثدي عند وضعه ، وهدى النحل أن تتخذ من الجبال بيوتا ومن الشجر ومن الأبنية ثم تسلك سبل ربها مذللة لها لا تستعصي عليها ثم تأوي إلى بيوتها... فهذه أحد أنواع الهداية وأعمها .

النوع الثاني: هداية البيان والدلالة، والتعريف لنجدي الخير والشر وطريقي النجاة والهلاك – المذكورة في قوله تعالى:{ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ }[البلد:10]- وهذه الهداية

[1] - بدائع الفوائد لابن القيم حـ2 ص253 : 252. بتصرف يسير.
[2] - بدائع الفوائد لابن القيم(40/2)

لا تستلزم الهدى التام فإنها سبب وشرط، لا موجب، ولهذا ينبغي الهدى معها كقوله تعالى: {وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى} [فصلت:17] أي بيَّنا لهم وأرشدناهم ودللناهم فلم يهتدوا ،
ومنها قوله:{وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} [الشورى:52]
النوع الثالث: هداية التوفيق والإلهام ، وهي الهداية المستلزمة للاهتداء فلا يتخلف عنها، وهي المذكورة في قوله: {يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ} وفي قوله: {إِنْ تَحْرِصْ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ}[فاطر:8] وفي قول النبي صلى الله عليه وسلم: "من يهد الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له " رواه مسلم وأحمد والبيهقي وفي قوله تعالى: {إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ} [القصص:56] فنفى عنه- صلى الله عليه وسلم- هذه الهداية وأثبت له هداية الدعوة والبيان في قوله: {وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ}
النوع الرابع(غاية هذه الهداية): وهي الهداية إلى الجنة والنار، إذا سيق أهلهما إليهما، قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ}[يونس:9] وقال أهل الجنة فيها: {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا}[الأعراف:43] وقال تعالى عن أهل النار: {احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ} [الصافات:22-23] إذا عرف هذا فالهداية المسئولة في قوله: {الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ} إنما تتناول المرتبة الثانية والثالثة خاصة فهي طلب التعريف والبيان والإرشاد والتوفيق والإلهام[1].

8- فائدة في معاني (الهدى) في القرآن:

ذكر "الهدى" في القرآن على سبعة عشر وجهاً وهي كما يلي :
بمعنى البيان ، كقوله تعالى : "أولئك على هدى من ربهم" [البقرة : 5]
وبمعنى الدين : "إن الهدى هدى الله" [آل عمران : 73]
وبمعنى الإيمان : "ويزيد الله الذين اهتدوا هدى" [مريم : 76]
وبمعنى الداعي : "ولكل قوم هاد" [الرعد : 7]. "وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا" [الأنبياء : 73]
وبمعنى الرسل والكتب : "فإما يأتينكم مني هدى" [البقرة : 38]

[1] - بدائع الفوائد لابن القيم (2/35-37) باختصار

وبمعنى المعرفة : "وبالنجم هم يهتدون" [النحل : 16]
وبمعنى الرشاد : "اهدنا الصراط المستقيم" [الفاتحة : 6]
وبمعنى محمد صلى الله عليه وسلم : "إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى" [البقرة : 159] "من بعد ما تبين لهم الهدى" [محمد : 32]
وبمعنى القرآن : "ولقد جاءهم من ربهم الهدى" [النجم : 23]
وبمعنى التوراة : "ولقد آتينا موسى الهدى" [غافر : 53]
وبمعنى الاسترجاع : "وأولئك هم المهتدون" [البقرة : 57] ، ونظيرها في التغابن : "ومن يؤمن بالله" [التغابن : 11] أي في المصيبة أنها من عند الله "يهد قلبه" [التغابن : 11] للاسترجاع.
وبمعنى الحجة : "والله لا يهدى القوم الظالمين" بعد قوله "ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه" [البقرة : 258] ، أي لا يهديهم إلى الحجة.
وبمعنى التوحيد : "إن نتبع الهدى معك" [القصص : 57]
وبمعنى السنة : "وإنا على آثارهم مهتدون" [الزخرف : 22]
وبمعنى الإصلاح : "وأن الله لا يهدي كيد الخائنين" [يوسف : 52]
وبمعنى الإلهام : "أعطى كل شيء خلقه ثم هدى" [طه : 50] ، هدى كلاً في معيشته.
وبمعنى التوبة : "إنا هدنا إليك" [الأعراف : 156] أي تُبنا . أهـ[1]

تفسير: {صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ (7)}

المعنى الإجمالي:
طريق الذين أنعمت عليهم من النبيين والصدِّيقين والشهداء والصالحين، فهم أهل الهداية والاستقامة، ولا تجعلنا ممن سلك طريق المغضوب عليهم، الذين عرفوا الحق ولم يعملوا به، وهم اليهود، ومن كان على شاكلتهم ، ولا طريق الضالين، وهم الذين لم يهتدوا عن جهل منهم، فضلوا الطريق، وهم النصارى، ومن كان على شاكلتهم.

[1] - البرهان في علوم القرآن. حـ1 ص136 : 134

التفسير التحليلي:

{صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ}: هم النبيُّون، والصديقون، والشهداء، والصالحون، قاله ابن عباس رضي الله عنهما[1].وهو الراجح فقد فسَّرها قول الله تعالى:{وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا } [النساء : 69].

وقيل: هم الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - وقيل هم قوم موسى وعيسى - عليهما السلام- قبل أن يغيروا دينهم ، - وقيل : هم الرسول -صلى الله عليه وسلم - وأبو بكر وعمر - رضي الله عنهما - وقيل : إنه رسول الله - صلى الله عليه وسلم- وأهل بيته ، وقيل : هم أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم -وأهل بيته[2]. ولا شك أن هؤلاء داخلون فيمن ذكرهم ابن عباس.

{الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ}: الذين عرفوا الحق وتركوه- على علم- كاليهود ونحوهم.

{وَلا}: في قوله "ولا الضّالّين": لتأكيد النفي المستفاد من كلمة (غَيْر).وقيل: بل زائدة[3] كما في قوله تعالى:{ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ}[الأعراف:12]

{الضَّالِّينَ }: الذين تركوا الحق على جهل وضلال، كالنصارى ونحوهم.

وقيل: {المغضوب عليهم} :المشركون ، و{الضالين}: المنافقون .
وقيل : {المغضوب عليهم} باتباع البدع و{الضالين} عن سنن الهدى ، قال القرطبي -رحمه الله- وهذا حسن ، وتفسير النبي - صلى الله عليه وسلم- أولى وأعلى وأحسن [4]. فقد أَخْرَجَ عَبْدُ الرَّزَّاقِ في تفسيره و عنه أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ – واللفظ له- وَابْنُ جَرِيرالطبري عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شَقِيقٍ قَالَ: « أَنَّهُ أَخْبَرَهُ مَنْ سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ بِوَادِي الْقُرَى، وَهُوَ عَلَى فَرَسِهِ، وَسَأَلَهُ رَجُلٌ مِنْ بُلْقِينَ [5]، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَنْ هَؤُلَاءِ؟ قَالَ: " هَؤُلَاءِ الْمَغْضُوبُ عَلَيْهِمْ "، وَأَشَارَ إِلَى الْيَهُودِ " قَالَ: فَمَنْ هَؤُلَاءِ؟ قَالَ: " هَؤُلَاءِ الضَّالُّونَ " يَعْنِي النَّصَارَى، »[6] . وَأَخْرَجَهُ ابْنُ مَرْدَوَيْهِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شَقِيقٍ عَنْ أبي ذرّ[1].

---

1 - **تفسير زاد المسير لابن الجوي(21/1)**
2 - **معالم التنزيل للبغوي حـ1 ص29 بتصرف**
3 - **تفسير الطبري(12/ 324) تحقيق:أحمد شاكر-ط الرسالة**
4 - **تفسير القرطبي (150/1)**
5 - **أي: بني القَين، وهو حيٌّ من بني أَسد، كما قالوا: بَلحارث وبَلهُجَيم، وهو من شواذ التخفيف، قال ابن الجواني: العرب تعتمد ذلك فيما ظهر في واحده النطقُ باللام مثل: الحارث والخزرج والعَجلان، ولا يقولونه فيما لم تظهر لامُه، لذلك لا يقولون: بلنجَّار في بني النجار، لأن اللام لا تظهر في النطق بالنجار، فلا تجوَّزُه العربية.**
6 - **أخرجه عبد الرزاق في "تفسيره" (1 / 37) ومن طريق عبد الرزاق أخرجه الإمام أحمد في "المسند" (20351 و 20736 -أرنؤوط) وابن جرير الطبري في "تفسيره" (1 / 187 و 195 رقم 198 و 212)**

وَأَخْرَجَهُ أَحْمَدُ وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ وَالتِّرْمِذِيُّ وَحَسَّنَهُ وَابْنُ جَرِيرٍ وَابْنُ الْمُنْذِرِ وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ وَابْنُ حِبَّانَ فِي صحيحه عن عدي ابن حَاتِمٍ-فِي قصة إسلامه- وفيه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « فَإِنَّ الْيَهُودَ مَغْضُوبٌ عَلَيْهِمْ، وَإِنَّ النَّصَارَى ضُلَّالٌ »[2]

قَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ: لَا أَعْلَمُ خِلَافًا بَيْنَ الْمُفَسِّرِينَ فِي هذا.

وَيَشْهَدُ لِهَذَا التَّفْسِيرِ النَّبَوِيِّ آيَاتٌ مِنَ الْقُرْآنِ، فقد وصف الله اليهود بالمغضوب عليهم فقالَ تَعَالَى فِي خِطَابِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ: {بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَغْياً أَنْ يُنَزِّلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ فَباؤُ بِغَضَبٍ عَلى غَضَبٍ }[البقرة: 90.] وَقَالَ:{ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ }[المائدة: 60]

وقال: { إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ }[الأعراف :152]

ووصف النصارى بالضالين في قوله تعالى:{وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ}[المائدة :77]

- **لطائف وفوائد:**

1- فإن قلت : ما فائدة البدل ؟ وهلا قيل: اهدنا صراط الذين أنعمت عليهم، مستغنيًا عن ذكر الصراط المستقيم

فالجواب: ليدل أن صراط هؤلاء المنعم عليهم هو الصراط المستقيم.

وقال الزمخشري: : فائدته التوكيد لما فيه من التثنية والتكرير ، والإشعار بأن الطريق المستقيم بيانه وتفسيره : صراط المسلمين ، ليكون ذلك شهادة لصراط المسلمين بالاستقامة على أبلغ وجه وآكده. أ هـ[3]

2- فإن قيل : لم أطلق الإنعام ؟ أجيب : ليشمل كل إنعام [4] ، لأن من أنعم عليه بنعمة الإسلام لم تبق نعمة إلا أصابته واشتملت عليه. أ هـ[5]

3- فإن قيل : لِمَ عَبَّر بصيغة الماضي في (أنعمت) ؟

وذكره الهيثمي في "مجمع الزوائد" (6 / 310 - 311) من رواية الإمام أحمد، وذكر أن رجاله رجال الصحيح.أهـ وقال الأرنؤوط: إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الصحيح غير صحابيَّه، ولا تضرُ

1 - وذكره ابن كثير في تفسيره (142/1)، وقال الحافظ ابن حجر في "فتح الباري" (8 / 159) : ((اخرجه ابن مردويه بإسناد حسن عن أبي ذر

2 - الترمذي(2953) وقال(حسن غريب) وحسنه الألباني.

3 - التفسير الوسيط (24/1)

4 - قال صاحب الانتصاف - رحمه الله - والتحقيق أن الإطلاق إنما يقتضي إبهاماً وشيوعاً ، والنفس إلى المبهم أشوق منها إلى المفيد لتعلق الأمل مع الإبهام لكل نعمة تخطر بالبال أ هـ [هامش الكشاف حـ1 ص25]

5 - الكشاف حـ1 ص26 ، 25

فالجواب : لِيَدُلَّ ذلِك على ثبوتِ إنعام الله عليهم وتحقيقه لهم[1].

4-فإن قيل : ما السر في إضافة [الصراط] في قوله تعالى {صراط الذين أنعمت عليهم } إلى الموصول المُبهم ، دون أن يقول صراط النبيين والصديقين.. ؟

فالجواب: ، ليدل على أن الدين في ذاته نعمة عظيمة، ويكفى للدلالة على عظمتها إسنادها إليه- تعالى- في قوله "أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ" لأن المراد بالإنعام هنا- على الراجح- الإنعام الديني. فالمنعم عليهم هم من عرفوا الحق فتمسكوا به، وعرفوا الخير فعملوا به[2].

وأيضًا:لإن الآية عامة في جميع طبقات المنعم عليهم ، ولو أتى باسم خاص لكان لم يكن فيه سؤال الهداية إلى صراط جميع المنعم عليهم ، فكان في الإتيان بالاسم العام من الفائدة أن المسئول الهدى إلى جميع تفاصيل الطريق التي سلكها كل من أنعم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين.

وهذا أجل مطلوب وأعظم مسئول ، ولو عرف الداعي قدر هذا السؤال لجعله هجيراً ، وقرنه بأنفاسه ، فإنه لم يدع شيئاً من خير الدنيا والآخرة إلا تضمنه.

ولما كان بهذه المثابة فرضه الله على جميع عباده فرضاً متكرراً في اليوم والليلة ، لا يقوم غيره مقامه[3] .

5-فإن قيل : لم قال : {الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ} ولم يقل (المنعم عليهم) كما قال : المغضوب عليهم ؟

وجوابه من وجوه:

الأول: أن هذا جاء على الطريقة المعهودة في القرآن الكريم وهي أن أفعال الإحسان والرحمة والجود تضاف إلى الله سبحانه وتعالى فيذكر فاعلها منسوبة إليه ولا يبني الفعل معها للمفعول فإذا جيء بأفعال العدل والجزاء والعقوبة حذف وبني الفعل معها للمفعول أدبا في الخطاب .

فمنه هذه الآية فإنه ذكر النعمة فأضافها إليه ولم يحذف فاعلها ولما ذكر الغضب حذف الفاعل وبنى الفعل للمفعول فقال: {الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ} وقال في الإحسان {الذين أنعمت عليهم}.

ونظيره قول إبراهيم الخليل صلوات الله وسلامه عليه: {الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ} فنسب الخلق والهداية والإحسان بالطعام والسقي إلى الله تعالى ولما جاء إلى ذكر المرض قال {وإذا مرضت} ولم يقل "أمرضني" وقال {فهو يشفين}

ومنه قوله تعالى حكاية عن مؤمني الجن: {وَأَنَّا لا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَداً} فنسبوا إرادة الرشد إلى الرب وحذفوا فاعل إرادة الشر وبنوا الفعل للمفعول.

---

1 - الدر المصون فى علم الكتاب المكنون حـ1 صـ 75 - 76

2 - الكشاف حـ1 ص26 ، 25

3 - بدائع الفوائد لابن القيم (18/2) باختصار يسير

ومنه قول الخضر عليه الصلاة والسلام في السفينة: {فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا} فأضاف العيب إلى نفسه وقال في الغلامين: {فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا}
ومنه قوله تعالى: {أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ} فحذف الفاعل وبناه للمفعول لأن في ذكر الرفث ما يحسن منه أن لا يقترن بالتصريح بالفاعل .
الثاني: أن الإنعام بالهداية يستوجب شكر المنعم بها، وأصل الشكر ذكر المنعم والعمل بطاعته، وكان من شكره إبراز الضمير المتضمن لذكره تعالى الذي هو أساس الشكر وكان في قوله: {أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ} من ذكره وإضافته النعمة إليه ما ليس في ذكر المنعم عليهم لو قاله فضمن هذا اللفظ الأصلين وهما الشكر والذكر المذكوران في قوله: {فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلا تَكْفُرُونِ}.
الثالث: أن النعمة بالهداية إلى الصراط لله وحده، وهو المنعم بالهداية دون أن يشرك أحد في نعمته، فاقتضى اختصاصه بها أن يضاف إليه بوصف الإفراد فيقال أنعمت عليهم أي أنت وحدك المنعم المحسن المتفضل بهذه النعمة وأما الغضب فإن الله سبحانه غضب على من لم يكن من أهل الهداية إلى هذا الصراط وأمر عباده المؤمنين بمعاداتهم وذلك يستلزم غضبهم عليهم موافقة لغضب ربهم عليهم فموافقته تعالى تقتضي أن يغضب على من غضب عليه ويرضى عمن رضي عنه فيغضب لغضبه ويرضى لرضاه وهذا حقيقة العبودية واليهود قد غضب الله عليهم فحقيق بالمؤمنين الغضب عليهم فحذف فاعل الغضب وقال المغضوب عليهم لما كان للمؤمنين نصيب من غضب الله عليه بخلاف الإنعام فإن لله وحده، فتأمل هذه النكت البديعة.
الرابع: أن المغضوب عليهم في مقام الإعراض عنهم وترك الالتفات والإشارة إلى نفس الصفة التي لهم والاقتصار عليها، وأما أهل النعمة فهم في مقام الإشارة إليهم وتعيينهم والإشادة بذكرهم، وإذا ثبت هذا فالألف واللام في المغضوب وإن كانتا بمعنى الذين، فليست مثل الذين في التصريح والإشارة إلى تعيين ذات المسمى، فإن قولك: الذين فعلوا ، معناه القوم الذين فعلوا، وقولك الضاربون والمضروبون ليس فيه ما في قولك الذين ضربوا أو ضربوا، فتأمل ذلك. فالذين أنعمت عليهم إشارة إلى تعريفهم بأعيانهم وقصد ذواتهم، بخلاف المغضوب عليهم

فالمقصود التحذير من صفتهم والإعراض عنهم وعدم الالتفات إليهم.أهـ[1]

6- ما فائدة زيادة [لا] بين المعطوف والمعطوف عليه ؟ ففي ذلك أربع فوائد :

أحدها : أن ذكرها تأكيد للنفي الذي تضمنه (غير) فلولا ما فيها من معنى النفي لما عطف عليها بـ (لا) مع الواو ، فهو في قوة لا المغضوب عليهم ولا الضالين ، أو غير المغضوب عليهم وغير الضالين.

[1] - بدائع الفوائد (2/18-20) بتصرف يسير

الفائدة الثانية : أن المراد المغايرة الواقعة بين النوعين ، وبين كل نوع بمفرده ، فلو لم يذكر (لا)وقيل : غير المغضوب عليهم والضالين ، أوهم أن المراد ما غاير المجموع المركب من النوعين لا ما غاير كل نوع بمفرده ، فإذا قيل ولا الضالين كان صريحاً في أن المراد صراط غير هؤلاء وغير هؤلاء.
وبيان ذلك أنك إذا قلت ما قام زيد وعمرو ، فإنما نفيت القيام عنهما ، ولا يلزم من ذلك نفيه عن كل واحد منهما بمفرده.
الفائدة الثالثة : رفع توهم أن الضالين وصف للمغضوب عليهم ، وأنهما صنف واحد وصفوا بالغضب والضلال ، ودخل العطف بينهما كما يدخل في عطف الصفات بعضها على بعض ، نحو قوله تعالى : { قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ *الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ }[المؤمنون : 1-3] إلى آخرها فإن هذه صفات المؤمنين ، ومثل قوله :{ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى *الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى * وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى }[الأعلى : 1-3]... ونظائره.
فلما دخلت (لا) علم أنهما صنفان متغايران مقصودان بالذكر[1].
7- فإن قيل:لماذا قال(ولا الضالين) ولم يقل"غير الضالين"
فالجواب: (لا) أولى بهذا المعنى من (غير) لوجوه :
أحدها **: أنها أقل حروفاً.** ***الثاني*** **: التفادي من تكرار اللفظ.** ***الثالث*** **: الثقل الحاصل بالنطق بـ (غير) مرتين من غير فصل إلا بكلمة مفردة ، ولا ريب أنه ثقيل على اللسان.** ***الرابع*** **: أن (لا) إنما يعطف بها بعد النفي ، فالإتيان بها مؤذن بنفس الغضب عن أصحاب الصراط المستقيم ، كما نفى عنهم الضلال ، و(غير) وإن فهمت هذا فـ (لا) أدخل في النفي منها....أ هـ[2]**

8- فإن قيل : لم أتى في أهل الغضب باسم المفعول ، وفي الضالين باسم الفاعل ؟

فجوابهما ظاهر ، فإن أهل الغضب من غضب الله عليهم وأصابهم غضبه ، فهم مغضوب عليهم ، وأما أهل الضلال فإنهم هم الذين ضلوا وآثروا الضلال واكتسبوه ، ولهذا استحقوا العقوبة عليه ، ولا يليق أن يقال : ولا المضلين مبنياً للمفعول ، لما في رائحته من إقامة عذرهم ، وأنهم لم يكتسبوا الضلال من أنفسهم بل فعل فيهم. أ هـ[3]

9- وتأمل كيف قال : المغضوب عليهم ولا الضالين ، ولم يقل اليهود والنصارى ، مع أنهم هم الموصوفون بذلك تجريداً لوصفهم بالغضب والضلال الذي به غايروا المنعم عليهم ولم يكونوا منهم بسبيل ، لأن الإنعام المطلق ينافي

---

[1] - بدائع الفوائد حـ2 ص263 ، 264
[2] - بدائع الفوائد حـ2 ص264
[3] - بدائع الفوائد حـ2 ص263 بتصرف يسير

الغضب والضلال ، فلا يثبت لمغضوب عليه ولا لضال ، فتبارك من أودع في كلامه من الأسرار ما يشهد بأنه تنزيل من حكيم حميد [1].

10- فإن قيل لِمَ خَصَّ اليهود بالغضب والنَّصارى بالضلال ؟

فالجواب: الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى وَإِنْ كَانُوا ضَالِّينَ جَمِيعًا مَغْضُوبًا عَلَيْهِمْ جَمِيعًا، فَإِنَّ الْغَضَبَ إِنَّمَا خُصَّ بِهِ الْيَهُودُ، لِأَنَّهُمْ يَعْرِفُونَ الْحَقَّ وَيُنْكِرُونَهُ، وَيَأْتُونَ الْبَاطِلَ عَمْدًا، فَكَانَ الْغَضَبُ أَخَصَّ صِفَاتِهِمْ. وَالنَّصَارَى جَهَلَةٌ لَا يَعْرِفُونَ الْحَقَّ، فَكَانَ الضَّلَالُ أَخَصَّ صِفَاتِهِمْ[2] وجاءت آيات القرآن تصف كلا منهما بالوصف اللائق به.

وقال ابن كثير: طريقة أهل الإيمان مشتملة على العلم بالحق والعمل به، واليهود فقدوا العمل، والنصارى فقدوا العلم، ولهذا كان الغضب لليهود، والضلال للنصارى؛ لأن من علم وترك استحق الغضب، بخلاف من لم يعلم. والنصارى لما كانوا قاصدين شيئًا لكنهم لا يهتدون إلى طريقه؛ لأنهم لم يأتوا الأمر من بابه وهو اتباع الحق، ضلوا، وكل من اليهود والنصارى ضال مغضوب عليهم

11- لم قدم "المغضوب عليهم" على "الضالين" ؟

تقديم المغضوب عليهم على الضالين فلوجوه :

أحدها : أن اليهود متقدمون على النصارى في الزمان.

الثاني : أنهم كانوا الذين يلون النبي - صلى الله عليه وسلم- من أهل الكتابين فإنهم كانوا جيرانه في المدينة ، والنصارى كانت ديارهم نائية عنه ، ولهذا تجد خطاب اليهود والكلام معهم في القرآن الكريم أكثر من خطاب النصارى كما في سورة (البقرة والمائدة وآل عمران).. وغيرها من السور.

الثالث : أن اليهود أغلظ كفراً من النصارى ، ولهذا كان الغضب أخص بهم واللعنة والعقوبة ، فإن كفرهم عن عناد وبغي كما تقدم فالتحذير من سبيلهم ، والبعد منها أحق وأهم بالتقديم ، وليس عقوبة من جهل كعقوبة من علم.

الرابع : وهوأحسنها ، أنه تقدم ذكر المنعم عليهم، ومعنى المغضوب عليهم كالضد لمعنى المنعم عليهم، ولأن المقابلة بينهما أوضح منها بين المنعم عليهم والضالين، فكان جديرا بأن يوضع في مقابلته قبل الضالين، والسورة هي السبع المثاني التي يذكر فيها الشيء ومقابله. أ هـ[3]

12- فإن قيل : لم قال (غير المغضوب عليهم) ولم يقل (لا المغضوب عليهم) ؟

فيقال : لا ريب أن "لا" يعطف بها بعد الإيجاب ، كما تقول : جاءني زيد لا عمرو ، وجاءني العالم لا الجاهل ، وأما (غير) فهي تابع لما قبلها ، وهي صفة ليس إلا. وإخراج الكلام هنا مخرج الصفة أحسن من إخراجه مخرج العطف ، وهذا إنما يعلم إذا عرف فرق ما بين العطف في هذا الموضع ، والوصف ، فتقول : لو أخرج الكلام مخرج العطف ، وقيل : صراط الذين أنعمت عليهم لا المغضوب عليهم ، لم

[1] - بدائع الفوائد حـ2 ص255 ، 254 بتصريف يسير

[2] - تفسير أضواء البيان للشنقيطي(9/1)

[3] - بدائع الفوائد حـ2 ص262 بتصرف

يكن في العطف بها أكثر من نفي إضافة الصراط إلى المغضوب عليهم ، كما هو مقتضى العطف ، فإنك إذا قلت : جاءني العالم لا الجاهل ، لم يكن في العطف أكثر من نفي المجيء عن الجاهل وإثباته للعالم وأما الإتيان بلفظ (غير) فهي صفة لما قبلها ، فأفاد الكلام معها وصفهم بشيئين :
أحدهما : أنهم منعم عليهم ، والثاني : أنهم غير مغضوب عليهم ، فأفاد ما يفيد العطف مع زيادة الثناء عليهم ومدحهم ، فإنه يتضمن صفتين ثبوتية هي كونهم منعماً عليهم ، وصفة سلبية : وهي كونهم غير مستحقين لوصف الغضب ، وأنهم مغايرون لأهله.
ولهذا لما أريد بها هذا المعنى جرت صفة على المنعم عليهم ، ولم تكن صفة منصوبة على الاستثناء ، لأنه يزول منها معنى الوصفية المقصود ، وفيها فائدة أخرى : وهي أن أهل الكتاب من اليهود والنصارى ادعوا أنهم هم المنعم عليهم دون أهل الإسلام ، فكأنه قيل لهم : المنعم عليهم غيركم لا أنتم ، وقيل للمسلمين المغضوب عليهم غيركم لا أنتم فالإتيان بلفظة غير في هذا السياق أحسن وأدل على إثبات المغايرة المطلوبة... فتأمله.

13- دلت هذه الآية الكريمة على أن المكلفين ثلاث فرق : أهل الطاعة ، وإليهم الإشارة بقوله : "أنعمت عليهم" وأهل المعصية وإليهم الإشارة بقوله "غير المغضوب عليهم" ، وأهل الجهل في دين الله والكفر وإليهم الإشارة بقوله "ولا الضالين"[1]

وقال فى البحر المديد ما نصه : واعلم أن الحق - سبحانه - قسم خلقه على ثلاثة أقسام : قسم أعدَّهم للكرم والإحسان ، ليُظْهِرَ فيهم اسم الكريم أو الرحيم ، وهو المنعم عليه بالإيمان والاستقامة. وقسم أعدَّهم للانتقام والغضب ، ليُظهر فيهم اسمه المنتقم أو القهار ، وهم المغضوب عليهم والضالون عن طريق الحق عقلاً أو عملاً،وهم الكفار ، وقسم أعدَّهم الله للحِلْم والعفو ، ليُظهر فيهم اسمه تعالى الحليم والعفو ، وهم أهل العصيان من المؤمنين.
فمن رَامَ أن يكونَ الوجودُ خالياً من هذه الأقسام الثلاثة ، وأن يكون الناس كلهم سواء في الهداية أو ضدها ، فهو جاهل بالله وبأسمائه ؛ إذ لا بد من ظهور آثار أسمائه في هذا الآدمي والله تعالى أعلم. أهـ [2]

14- الغضب صفة – من الصفات الفعلية- ثابتة لله تعالي – في القرآن والسنة- على الوجه اللائق به فهو سبحانه { لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ } [الشورى:11] ومن الأدلة عليها قول الله تعالى:{ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ}[المجادلة:14] وقوله تعالى:{ يَا أَيُّهَا

[1] - التفسير الكبير حـ1 ص223
[2] - البحر المديد المجيد حـ1 صـ25.

الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ }[الممتحنة:13] ،ولا يقال :إن الغضب هو الانتقام، فقد قال تعالى :{فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ} [الزخرف: 55] يعني: لما أغضبونا وأسخطونا انتقمنا منهم. فجعل الانتقام غير الغضب، لأن الشرط غير المشروط. لكن الانتقام من المجرمين وتعذيب الكافرين دليل على السخط والغضب.

فائدة :

إنه تعالى كرر في كلامه ذكر الصراط والسبيل ، ولم ينسب لنفسه أزيد من صراط مستقيم واحد ، وعد لنفسه سبلاً كثيرة فقال عز من قائل :{ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا } [العنكبوت : 69]. وكذا لم ينسب الصراط المستقيم إلى أحد من خلقه إلا ما في هذه الآية (صراط الذين أنعمت عليهم الآية) ولكنه نسب السبيل إلى غيره من خلقه ، فقال تعالى :{ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ } [يوسف : 108] وقال تعالى : { وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ } [لقمان : 15] وقال :{ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ } [النساء : 114] ، ويعلم منها : أن السبيل غير الصراط المستقيم فإنه يختلف ويتعدد ويتكثر باختلاف المتعبدين السالكين سبيل العبادة بخلاف الصراط المستقيم كما يشير إليه قوله تعالى : { قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ * يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ }" [المائدة :15- 16] ، فعد السبل كثيرة والصراط المستقيم إما هي السبل الكثيرة وإما أنها تؤدي إليه باتصال بعضها إلى بعض واتحادها فيها[1].

****

** ((آمين)) وهي دعاء، بمعنى (اللهم استجب لنا) عند أكثر أهل العلم.
وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ: مَعْنَاهُ لَا تُخَيِّبْ رَجَاءَنَا.
وَفِي (آمِينَ) لُغَتَانِ: الْمَدُّ عَلَى وَزْنِ فَاعِيلَ كَيَاسِينَ. وَالْقَصْرُ عَلَى وَزْنِ يَمِينَ.
قَالَ الشَّاعِرُ فِي الْمَدِّ:
يَا رَبِّ لَا تَسْلُبْنِي حُبَّهَا أَبَدًا ... وَيَرْحَمُ اللَّهُ عَبْدًا قَالَ آمِينَا
وَقَالَ آخَرُ:
آمِينَ آمِينَ لَا أَرْضَى بِوَاحِدَةٍ ... حَتَّى أُبَلِّغَهَا أَلْفَيْنِ آمِينَا
وَقَالَ آخَرُ فِي الْقَصْرِ:

[1] ـ أنظر جامع لطائف التفسير للقماش(96/1)

تَبَاعَدَ مِنِّي فُطْحُلٌ إِذْ سَأَلْتُهُ ... أَمِينَ فَزَادَ اللَّهُ مَا بَيْنَنَا بُعْدًا[1].

وهي ليست من القرآن.ولذلك لم تكتب في المصاحف

ويسن للمأمومين وكذا الإمام أن يقولوا(آمين) بعد (ولا الضالين) . ففي الحديث الصحيح عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " إِذَا قَالَ الإِمَامُ: {غَيْرِ المَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ} [الفاتحة: 7] فَقُولُوا: آمِينَ، فَإِنَّهُ مَنْ وَافَقَ قَوْلُهُ قَوْلَ المَلاَئِكَةِ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ "2.وعنه أيضًا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " إِذَا أَمَّنَ الإِمَامُ، فَأَمِّنُوا، فَإِنَّهُ مَنْ وَافَقَ تَأْمِينُهُ تَأْمِينَ المَلاَئِكَةِ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ_ وَقَالَ ابْنُ شِهَابٍ - وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: آمِينَ "3.وروى أبو داود عَنْ وَائِلِ بْنِ حُجْرٍ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا قَرَأَ {وَلَا الضَّالِّينَ} [الفاتحة: 7] ، قَالَ: «آمِينَ» ، وَرَفَعَ بِهَا صَوْتَهُ"[4]

قال القرطبي - رحمه الله - في تفسيره:"ويسن لقاريء القرآن أن يقول بعد الفراغ من الفاتحة بعد سكتة على النون : " ولا الضالين" آمين ، ليتميز ما هو قرآن مما ليس بقرآن...ثم ذكر حديث أبي هريرة السابق ثم قال: قال علماؤنا - رحمة الله عليهم - فترتبت المغفرة للذنب على مقدمات أربع ، تضمنها هذا الحديث : الأولى : تأمين الإمام ، الثانية : تأمين من خلفه ، والثالثة : تأمين الملائكة ، الرابعة : موافقة التأمين ؛ قيل في الإجابة ، وقيل في الزمن ، وقيل في الصفة من إخلاص الدعاء. أهـ[5].

وقال علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - آمين خاتم رب العالمين ، يختم بها دعاء عبده المؤمن. أ هـ[6].

وقال القشيري - رحمه الله - والتأمين سنة ، ومعناه يارب افعل واستجب ، وكأنه يستدعي بهذه القالة التوفيق للأعمال ، والتحقيق للآمال ، وتحط رجله بساحات الافتقار ، ويناجي حضرة الكرم بلسان الابتهال ، ويتوسل بتبريه عن السؤال والطاقة والمنة والاستطاعة إلى حضرة الجود ، وبأقوى وسيلة للفقير تعلقه بدوام الاستعانة لتحققه بصدق الاستغاثة. أ هـ[7].

---

[1] - تفسير القرطبي(1/ 128) والمحرر الوجيز حـ1 صـ79

[2] - رواه البخاري(782و 4475) ومسلم(410)(76) وأبو داود(935)

3 - أخرجه البخاري [780] ، ومسلم [410] ، وأبو داوود [936] ، والترمذي [250] ، والنسائي [927] ، وابن ماجه [851] و[852] ، ومالك [190] وأحمد [7203] ، [9605] وابن أبي شيبة [314/2] وأبو يعلى [5874] وابن خزيمة [750] والبيهقي [2485] من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه-

[4] - رواه أبو داود(932) وصححه الألباني

[5] - الجامع لأحكام القرآن حـ1 صـ97 - 98 باختصار يسير

[6] - المصدر السابق

7 - لطائف الإشارات حـ1 صـ52

تم بحمد الله الجزء الأول،وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله.

إعداد: السيد مختار العصري
مصر- دمياط

أهم المراجع

1- القرآن الكريم
2- كتب السنة
3- كتب الألباني
4- البرهان في علوم القرآن للزركشي - تحقيق:محمد أبو الفضل إبراهيم- دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه.
5- الإتقان في علوم القرآن للسيوطي- تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم-مكتبة دار التراث-القاهرة.
6- التبيان في علوم القرآن لمحمد علي الصابوني- دار عمر بن الخطاب-الإسكندرية
7- الموسوعة القرآنية لإبراهيم بن إسماعيل الأبياري-الناشر: مؤسسة سجل العرب.
8-- كتاب المصاحف لابن أبي داود تحقيق: محمد بن عبده-الناشر: الفاروق الحديثة - القاهرة
9- غاية المريد في علم التجويد للشيخ عطية قابل نصر-دار التقوي- مصر
10- التفسير والمفسرون للدكتور محمد حسين الذهبي- مكتبة وهبة- مصر- الطبعة السابعة

11- تفسير الطبري- تحقيق:أحمد شاكر-ط الرسالة
12- تفسير معالم التنزيل للبغوي - دار إحياء التراث
13- تفسير القرطبي - تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش-الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة
14- تفسير زاد المسير لابن الجوزي- دار الكتاب العربي – بيروت.
15- التفسير الكبير للرازي - دار إحياء التراث العربي - بيروت
16- دقائق التفسير من تفسيرالإمام ابن تيمية

17- لطائف الإشارات للقشيري- المحقق: إبراهيم البسيوني-الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب - مصر
18- تفسير الكشاف للزمخشري- دار الكتاب العربي - بيروت
19- تفسير ابن كثير- تحقيق:سامي سلامة- الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع
20- التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي- تحقيق: الدكتور عبد الله الخالدي- دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت
21- تفسير فتح القدير للشوكاني - دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت
22- نفسير الخازن : دار الكتب العلمية – بيروت.
23 - السراج المنير للخطيب الشربيني - مطبعة بولاق (الأميرية) - القاهرة
24- تفسير القاسمي - ط دار الحديث - القاهرة.
25- البحر المديد فى تفسير القرآن المجيد لابن عجيبة-المحقق: أحمد عبد الله القرشي رسلان-الناشر: الدكتور حسن عباس زكي - القاهرة
26- تفسير تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي - مؤسسة الرسالة
27- تفسير البيضاوي- دار إحياء التراث العربي – بيروت.
28- زهرة النفاسير للشيخ محمد أبو زهرة- دار النشر: دار الفكر العربي.
29- تفسير أضواء البيان للشنقيطي- دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع -بيروت
30- التفسير الوسيط لسيد طنطاوي - دار نهضة مصر.
31- الحاوى فى تفسير القرآن الكريم للقماش –المكتبة الشاملة الالكترونية
32- جامع لطائف التفسير للقماش–المكتبة الشاملة الالكترونية

33- المعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية بالقاهرة – دار الدعوة
34- الصارم المسلول لابن يتمية- دار الكتب العلمية – بيروت.
35- كتاب بدائع الفوائد لابن القيم- الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان
36- طريق الهجرتين وباب السعادتين للإمام ابن القيم
37- موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم - لمحمد بن علي الفاروقي الحنفي التهانوي- مكتبة لبنان ناشرون - بيروت
38- كتاب الكليات-تحقيق: عدنان درويش و محمد المصري- الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت